

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

"الدلالة الزمنية للفعل في القرآن الكريم" موضوع ظل يشد انتباهي منذ سنين خلت، فقد كنت أجد للصيغ الفعلية الواردة في القرآن الكريم وضعا زمنيا خاصا، لم يتطرق اليه النحاة والمفسرون. وكنت أحس أن أزمنة الفعل القرآني، أغنى، وأوسع من أن تحيط بها دراسة عاجلة أو إشارة عابرة مما كتب في هذا الموضوع.(1).

ويقدر ما كان حماسي كبيرا لإنجاز بحث في الموضوع، بقدر ما كنت أجد من يشيني عن هذا العزم، تهبيا من صعوبة الموضوع، وإشفاقا علي من المخاطر والمزائق المحدقة بموضوع في مثل هذا العمق والمجدة(2).

وظلت هذه الرغبة فكرة وجيهة تعيش وتنمو مع الزمن في خاطري الى أن كان اتصالي بالاستاذ الدكتور رمضان عبدالنواب الذي اقتنع بالموضوع بعد مناقشة فاحصة، وجلسات طويلة.

وأشهد أنه كان لاستاذي الدكتور /رمضان عبد النواب/ فضل إقبالي على الموضوع، واطمئناني الى ما اخترت.

والحقيقة أن مهمتي في هذا البحث لم تكن سهلة، بل كانت مهمة شاقة عسيرة تتطلب كثيرا من الصبر والدرس، والاطلاع، فالموضوع جديد غير مطروق فيما نعلم، والقرآن- وهو مصدر هذا البحث- آية من آيات الله الدالة

1 - كتب الاستاذ حامد عبدالقادر في "الماضي والمضارع في القرآن الكريم" في مقالتي اثنتين لا غير وهذا في مجلة مجمع اللغة العربية ج 1/1958، ج 13/1961.

2 - من بينهم الاستاذ الدكتور عبده الراجحي الأستاذ بجامعة الاسكندرية، والاستاذ الدكتور أحمد صفوت مرسي (جامعة الزقازيق) وزملاء آخرون في جامعة وهران.

على إتقان صنعه نظاما، وبيانا، واعجازا، ولم يكن من اليسير فهم معانيه وإدراك مرامييه البلاغية كما لم يكن من السهل دراسة الاستعمال القرآني لأزمة الفعل بكل تقاطعاتها، وإيحاءاتها وملابساتها.

يرمي هذا البحث -إذن- إلى إبراز بعد الزمن في السياق القرآني من خلال دراسة الصيغ الفعلية الواردة فيه، إذ وجدت أن المكتبة القرآنية في حاجة إلى دراسات تطبيقية، تهدف إلى تبيان الدلالات الزمنية المختلفة التي تضمنها النص القرآني.

فلقد تناول النحاة والمفسرون والفقهاء زمن الفعل في اللغة العربية إلا أنهم جميعا لم يعنوا به قدر عنايتهم بالجوانب اللغوية الأخرى لأنه لم يكن من طبيعة علمهم أن يتناولوا الزمن اللغوي وحده فيدرسونه دراسة شمول، وعمق واستقلال، أو يعنوا بتطبيقه على النصوص القرآنية.

وإذا كانت الدراسات اللغوية الحديثة قد بدأت تهتم بعض الاهتمام بالجانب الزمني في اللغة العربية فإنها مازالت دراسات نظرية تطفو على سطح الجملة دون الغوص في النص لتبين كيف يعمل الزمن عمله في التركيب والسياق.

ولعل أهم ملاحظة توجه إلى من تصدوا لهذا الموضوع، وهي أنهم أغفلوا الزمن السياقي الداخلي الذي يسري في الصيغ المفردة والمركبة وما له من أثر في توجيه المعنى الزمني للصيغة. لذلك كان على هذه الدراسة أن تربط بين الزمنين، الزمن الداخلي، والزمن الخارجي عند تناول التركيب اللغوي في النص القرآني.

ولتحقيق هذه الغاية، عمل البحث على رصد الفعل القرآني ودراسة دلالاته الزمنية ضمن السياق العام الذي يرد فيه الفعل عندما يكون صيغة مجردة

وعندما يأتي صيغة مركبة، وبذلك لا تكون دراسة الجوانب النحوية والصرفية للفعل في هذا البحث إلا جزءاً من الجوانب الدلالية الأخرى التي التمسناها في القرآن نفسه، ثم في كتب التفسير، واللغة، أي أن هذه الدراسة تقوم على الاتصال المباشر بلغة النص القرآني، وملاحظة سلوك زمن الفعل فيه مع مراعاة الأمور التالية :

- 1) الاعتماد على النص القرآني لمعرفة السياق الذي يرتبط به الفعل.
 - 2) الاعتماد على كتب التفسير لفهم مدلول الفعل الزمني من خلال فهم المعنى العام للنص.
 - 3) دراسة الصيغ الفعلية والأدوات الداخلة عليها لما لها من آثار في التعبير عن الزمن.
 - 4) الاستفادة من التراث النحوي القديم ومن النظريات اللغوية الحديثة عند دراسة الجانِبِ الزمني للفعل.
- أما المنهج الذي عاجلت فيه هذا الموضوع، فهو منهج يقوم على الوصف والاحصاء والاستقراء والاحتكام إلى الأساليب القرآنية مما مكن هذه الدراسة من عرض وتحليل قدر كاف من أنماط الصيغ والتراكيب الفعلية في القرآن والانتهاء إلى نتائج قد تضيي قيما دلالية جديدة لما نعرفه الآن عن البعد الزمني في لغة القرآن.

يقع البحث في أربعة أبواب واثني عشر فصلا :

جعلت الباب الأول خاصا لمصادر هذا البحث، فكان الفصل الأول منه لدراسة زمن الفعل عند المفسرين حيث بين أن المنهج اللغوي في التفسير هو المعسول

عليه في دراسة زمن الفعل وعرضت الخصائص التي يقوم عليها هذا المنهج في التفسير، كما عرضت نماذج من دراسة المفسرين لزمن الصيغة الفعلية مجردة ومركبة.

وانصرف **الفصل الثاني** لتقويم منهج الأصوليين في دراسة زمن الفعل حيث بين الآراء التي انفردوا بها في امكانات الصيغة للتعبير عن الزمن كما عرض هذا الفصل نماذج من تطبيقاتهم لزمن الصيغة في النصوص الفقهية.

أما الفصل الثالث : فقد عرض دراسة زمن الفعل عند النحاة حيث بين أن قدامى النحاة لم يجعلوا زمن الفعل حبيس الصيغة، كما لم يجعلوا دلالة الفعل مقصورة على الأثر الذي يحدثه فيما بعده (كما زعم بعض المفسرين، وبعض النحاة المحدثين)، اذ جعلوا التعبير عن الزمن موكولا لصيغة الفعل وللقرائن التي تسبقه، أو تلحقه، على نحو ما بينته التعاريف والأمثلة التي خلفها قدامى النحاة لصيغة الفعل مثل سيبويه والمبرد، والزمخشري...، وقد وقف هذا الفصل وقفات مع النحاة عند صيغة فعل الأمر ودلالاتها الحقيقية عن الزمن.

واختص **الباب الثاني** بالدلالة الزمنية للصيغ المجردة في القرآن الكريم في **الفصول الثلاثة** : **فَعَلَ، يَفْعَلُ، أَفْعَلُ** حيث احاط هذا الباب بكل المراحل الزمنية بنسبها المتفاوتة التي تدل عليها هذه الصيغ وهي مجردة من الادوات حيث كشفت الاحصاءات عما لهذه الصيغ من طاقة تعبيرية عن الزمن وأنها لا تكتفي بالدلالة على الازمنة الثلاثة الكبرى، وانما تدل على أزمنة شبه متفرعة عنها.

ولقد انفرد **الفصل الثالث** من هذا الباب بالكشف عن الدلالات الزمنية

المتعددة لصيغة **افعل** في القرآن الكريم في ضوء السياق القرآني الذي ترد فيه.

وفي الباب الثالث درس **الفصل الأول** : الدلالات الزمنية المختلفة التي تعبر عنها الصيغة مع **كان** ومركباتها، ومشتقاتها، حيث أبرز هذا الفصل المراحل الزمنية المختلفة التي تدل عليها **كان** ومركباتها ومشتقاتها، كالماضي القريب، والماضي البعيد، والماضي الأبعد، وماضي المستقبل... الخ.

ودرس **الفصل الثاني** دلالات الصيغة مع النواسخ الاخرى، حيث تبين أن لكل ناسخ من هذه النواسخ لونا زمنيا خاصا تضيفه على الصيغة فتدل تارة على التحول من حالة الى حالة، وتارة على مرحلة زمنية من النهار أو الليل، وتارة أخرى تدل على استمرار الفعل أو ملازمته في النهار.

وانصرف **الفصل الثالث** لدراسة الدلالات الزمنية الذاتية للنواسخ، فاذا هو يكشف أسراراً زمنية ذاتية في هذا النواسخ مما مكن من تحليل نماذج كافية لنواسخ الجملة الاسمية والوقوف عند أبعادها الزمنية الخاصة التي أغفلها الدارسون.

أما **الباب الرابع** فقد درست فصوله الثلاثة الدلالات الزمنية المتعددة التي تضيفها أدوات الشرط والنفي والاستفهام وأدوات أخرى على الصيغة حيث وجد أن من هذه الأدوات ما يحول زمن الصيغة من الماضي الى المستقبل، كأدوات الشرط، وغيرها، ومنها ما يحولها من الحاضر والمستقبل الى الماضي، ك: **لم، لما، إذ،** ومنها ما يثبت الصيغة في دلالتها الأولية ك**بعض** أدوات النفي والاستفهام، ومنها ما خرج عن النطاق الدلالي الزمني الذي أقامه لها النحاة كدلالة أدوات الشرط على الماضي. أو دلالة **إذ** على الاستقبال أو دلالة **إذ** على الماضي.

ويعد ...

فانه لمن أسباب توفيق هذا البحث أن قبض الله للاشراف عليه عالما من أبرز علماء المدرسة اللغوية الحديثة، ومن أكثرهم بحثا وتأليفا في المجالات اللغوية الحديثة، هو الاستاذ الدكتور رمضان عبدالنواب أستاذ علوم اللغة بكلية الآداب جامعة عين شمس (القاهرة) الذي بذل جهدا صادقا مخلصا في توجيه مسار هذا البحث.

ولن أستطيع بكلمات أن أوافيه حقه فيما تفضل وأجزل العطاء فأرجو الله مخلصا أن يجزيه الجزاء الأوفى.

وأقدم في ختام ذلك بوافر الشكر الى الأخوة الزملاء الذين قدموا لي يد العون في تهيئة هذا البحث بكل ما يملكون من مصادر أو ما يحسنون من تقنيات الطبع والاخراج، فجزاهم الله عني أحسن الجزاء.

وختاما أتقدم بهذا البحث وأزجى أمامه الاعتذار عن الهفوات والأخطاء، وجل من لا يخطئ.

بكري عبدالكريم

الباب الأول

مصادر الدراسة

obeykhalid.com

obeikandi.com

الفصل الأول

كتب التفسير :

* النحو وتفسير القرآن.

* فعَلّ الدالة على الماضي.

* فَعَلَّ مسبوقه بـ "قد".

* يفعل مجردة من الأدوات.

* يفعل مع الأداة.

كتب التفسير

النحو وتفسير القرآن الكريم

كتب التفسير من أهم المصادر التي يعول عليها في دراسة النحو القرآني، ونعني بالنحو دراسة الكلمة وتحليلها في سياقها العام وتحديد وظيفتها الدلالية في التركيب الذي يفضل به ينشز المعنى العام للكلمة.

ومن هذا المجال العريض الذي تحتله كتب التفسير في النحو القرآني تأتي أهمية دراسة زمن الفعل، من خلال كتب التفسير، ولقد أصبح المهتمون بموضوع التفسير، يقسمون المباحث التفسيرية قديماً وحديثاً، الى اتجاهين كبيرين هما :

التفسير بالرأي، والتفسير بالأثر(1)، وهما اتجاهان انضوت تحتها مناهج تقترب أو تبتعد عن أصلها الأول.

والمنهج الذي يهمننا في هذه الدراسة هو المنهج اللغوي، ولقد ظهر هذا المنحى الدراسي في القرن الثاني الهجري، نتيجة للدراسات اللسانية التي عرفها القرن الثاني الهجري في علم النحو، والصرف، والبلاغة، والقراءات وغيرها من الدراسات التي نشأت أساساً من أجل فهم القرآن، والاقتراب من معانيه(2)، ويهدف هذا المنهج في التفسير الى شرح معاني القرآن وفق

1 - انظر - التفسير والمفسرون للذهبي 1/156 وما بعدها.

- مقدمة التفسير للراغب الأصفهاني 423.

- بحوث في تفسير القرآن الكريم، للدكتور محمد ابراهيم شريف.

2 - انظر

- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية 220-222.

- مقدمة معاني القرآن للفراء بقلم المحققين محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاي.

- مقدمة مجاز القرآن لأبي عبيدة محققه محمد فؤاد سزكين.

التحليلات النحوية والصرفية، والبلاغية «وكان رائدهم في ذلك أن النص القرآني، ليس نصا دينيا فقط، وإنما هو كذلك نص أدبي معجز، ومن ثم اتجهوا في فهمه اتجاها لغويا بعيدا عن التأثير بدنيات، قد لا تعطيها الدلالة اللغوية، ولا يسعف على استنباطها من النص تركيبه الأدبي المعجز» (1):

ونحسب أن هذا الضرب من التفسير، قد استفاد من المنهجين السابقين التفسير بالأثر، والتفسير بالرأي، إذ هو يجعل نصوص القرآن مصدرا أساسيا للتفسير والشرح: تفسير معنى آية بآية أخرى، وإعراب آية قياسا على آية أخرى ولكنه في الوقت ذاته يعتمد على الاجتهاد وإعمال الرأي في الاستدلال بالصحيح من الشواهد الشعرية والنثرية. «ولاجدال أن هذا الاتجاه، كان قد أصبح متميزا، له منزعه الخاص وقدرته على التحليل الذي لا يدع النص مغلقا دون الاستدلال بكل ما فيه وربما كان هذا الاتجاه من أهم الأشياء التي طورت معنى التفسير، ووسعت في مفهومه.

لذلك نجد أننا لا نكاد نظفر بمنهج متفق عليه بين الناس سوى المنهج التحليلي للنص. وإذا وجد من العلماء من عاب على الاتجاهات الأخرى، إبرازها بجانب معين دون جوانب أخرى فلا يوجد منهم من عاب هذا الاتجاه أو قلل من شأنه (2) ويمكن أن نجمل الخصائص التي يتميز بها هذا المنهج الذي عليه مدار بحثنا في هذا الفصل بما يلي :

1- الاعتماد على المأثور من السنة النبوية الشريفة وعلى ما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من شرح وتفسير للآية والاستفادة من التفاسير السابقة.

من ذلك تفسير الفراء لقوله تعالى : «وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا

1- بحوث في تفسير القرآن الكريم : 158 د/محمد ابراهيم الشريف.

2- المصدر نفسه : 160.

مترفيها ففسقوا فيها» (الاسراء 16/17): بقوله : أي أن المترف إذا أمر بالطاعة خالف الى الفسوق. وفي قراءة أبي كعب : بعثنا فيها أكابر مجرميها وقرأ الحسن : أمرنا. وروى عنه أمرنا، ولا تدري أنها حفظت عنه، لأننا لا نعرف معناها هنا، ومعنى أمرنا بالمد أكثرنا. وقرأ أبو العالية الرياحي : أمرنا مترفيها. وهو موافق لتفسير ابن عباس. وذلك أنه قال : سلطنا رؤساءها ففسقوا فيها(1).

2- تفسير معنى آية -كما قدمنا بآية أخرى أو اعراب آية قياسا على آية أخرى.

ومن ذلك تفسير الفراء لقوله تعالى : «ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله» (البقرة : 246/2) قال : نقاتل مجزومة لا يجوز رفعها فإن قرئت بالياء (يقاتل) جاز رفعها، وجزمها فأما الجزم، فعلى المجازاة بالأمر وأما الرفع، فأن تجعل يقاتل صلة للملك ومثله «اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم». (يوسف : 9/12) لا يجوز الا الجزم(2).

3- دراسة البنية التركيبية للوصول الى معانيها يقول أبو حيان في تفسير قوله تعالى : «كونوا قردة خاسئين» (البقرة : 65/2) :

كلاهما خبر كان والمعنى أنهم يكونون قد جمعوا بين القردة والخسوء، ويجوز أن تكون «خاسئين» صفة لقردة، ويجوز أن تكون حالا من اسم كونوا(3).

4- رد الراء النحوية اذا تعارضت مع المعنى الذي يقتضيه السياق القرآني. يقول ابن جني في باب عقده للعلاقة بين النحو والتفسير : «إذا مر بك شئ من هذا عن أصحابنا فاحفظ نفسك منه، ولا تسترسل اليه فان أمكنك أن

1 - معاني القرآن للفراء. 117/2-119.

2 - المصدر نفسه 157/1.

3 - تفسير البحر المحيط 246/1.

يكون تقدير الاعراب على سمت تفسير المعنى، فهو ما لا غاية وراءه، وان كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت تقديرا الإعراب حتى لا يشدّ منها شيء عليك. واياك أن تسترسل، فنفسد ما تؤثّر اصلاحه(1).

5- اظهر ما في القرآن الكريم من الثورة البلاغية التي أعجزت مشركي العرب، عن الاتيان بمثل أقصر سورة منه، ولقد بلغ الذروة في ذلك الزمخشري في "الكشاف" إذ لم يكتف بالتركيز على الجانب اللغوي فحسب، بل نجده يحتفل بالتحليل الاعرابي احتفالا كبيرا لإظهار مقاصد القرآن الكريم في الترتيب والتركيب، وهو نهج اقتداه معظم من جاء بعده من المفسرين(2).

6- الإكثار من الاستشهاد بالتراث اللغوي من شعر ونثر للاستدلال على شرح آية أو توجيهها وجه معينة وهذا من الكثرة والاطراد، بحيث لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحات الكتب ذات الاتجاه اللغوي.

7- الافادة من الأصوات اللغوية للوقوف على أصل الكلمة المفردة من ذلك ما جاء في معاني القرآن الأخص الأوسط في قوله تعالى :

«واذكر بعد أمة» (يوسف : 45/12) قال : وانما هي افتعمل (اذتكر). ولكن اجتمعنا في كلمة واحدة، ومخرجهما متقاربان.

وأرادوا أن يدغموا، والأول حرف مجهور، وانما يدخل الأول في الآخر، والآخر مهموس فكر هو أن يذهب منه الجهر، فجعلوا في موضع التاء حرفا من موضعها مجهورا، وهو الدال، لأن الحرف الذي قبلها مجهور، ولم يجعلوا

1 - الخصائص 384/1.

2 - انظر على سبيل المثال ولزيد من التعمق في هذا الموضوع :

- التفسير والمفسرون 444/1.

الطاء لأن الطاء مع الجهر مطبقة فأبدل التاء ذالا، ثم أدخل الذال فيها (1).

وتأسيسا على هذا المنهج اللغوي فإن معالجتنا لهذا الموضوع ستفيد من كل الكتب التي اقترنت من معاني القرآن سواء كانت مؤلفات مختصرة، ككتب معاني القرآن أم كتب تفسير مطولة كالبحر المحيط والكشاف، وتفسير القرطبي وغيرها (والنحوية على الخصوص) في تفسير آي القرآن الكريم.

ويبدو أن المفسرين قد فهموا أكثر من غيرهم أن دور القاعدة النحوية لا ينتهي عند شكل الكلمة، وإنما يتجاوزه الى التركيب، تركيب الكلمة داخل الجملة، وما تؤديه من عمل في تجلية المعنى ومن هنا تأتي أهمية العلاقة الحميمة التي حاول المفسرون اقامتها بين القاعدة النحوية والنص القرآني.

ومن بين تلك العلاقات التي اهتم بها المفسرون بعض الاهتمام البعد الزمني في السياق القرآني من خلال دراستهم للصيغ الفعلية الواردة فيه. اذ وجدوا أن القرآن الكريم يزخر بأساليب يصطبغ فيها الفعل بألوان زمنية مختلفة.

وسنحاول في الصفحات القادمة أن نبين مدى اهتمامهم بزمن الفعل في القرآن على أن نفرد لكل صيغة. من صيغ الفعل (مجردة ومركبة) طائفة من ارائهم في تحديد زمن الفعل القرآني على أن نتناولها على النحو التالي :

1- "فعل" مجردة من الادوات وتختلف دلالاتها الزمنية.

2- "فعل" مع الادوات ودور هذه الادوات في تحديد زمن "فعل" عندهم.

3- "يفعل" مجردة من الادوات وكيف تدل على مختلف الأزمنة.

4- "يفعل" مع الادوات في مختلف الازمنة.

5- "افعل" مدرجة في السياق بمختلف دلالاتها الزمنية.

1- فعل مجردة من الادوات دالة علي الماضي

عندما تكون "فعل" مجردة من الادوات واقعة في ظل قرينة اخبارية، كسرد قصص الاولين، وذكر أخبارهم مما يفيد حصر زمن الفعل في الماضي : فان ما نلاحظه عند أغلب المفسرين هو اقتصارهم علي شرح "فعل" بصيغ مماثلة في المعنى والزمن إبدانا بأن هذا الفعل يدل على الماضي لفظا، ومعنى، وكأنهم يذهبون إلى ما ذهب اليه جمهور قدامى النحاة من أن الأصل في صيغة "أفعل" الدلالة على الزمن الماضي : ففي قوله تعالى : «واذ استسقى موسى لقومه، فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا» (البقرة 60/2). يقول أبو حيان وهو يشرح هذه الآية : «هذا هو الانعام التاسع وهو جامع لنعم الدنيا والدين. أما في الدنيا، فلأنه أزال عنهم الحاجة الشديدة الى الماء... الى أن يقول : اذا استسقاء قومه، أي طلبوا منه السقيا» (1).

وقد يعمدون الى السياق القرآني لتوكيد مضي زمن الفعل، يقول ابو حيان : «وفهم من الآية أن الانفجار قد وقع وتحقق لذلك قد علم كل أناس مشربهم. وبالطريقة نفسها يرد على الزمخشري الذي يذهب الى أن "انفجرت" جواب للشرط محذوف، لأنه يجعل الفعل غير واقع «اذ يصير مستقبلا معلقا على تقدير وجود مستقبل... والمعلق على تقدير وجود مستقبل لا يقتضي امكانه فضلا عن وجوده» (2). ومن ذلك تفسيره للفعل "أزل" من جانبه الزمني في قوله تعالى. «فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه» (البقرة 26/2). يقول : والمعنى جعلهما زلأ باغوائه وحملهما على أن زلأ وحصلا في الزلأ (3).

ومن ذلك تفسير الفراء لقوله تعالى : «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى»

1 - البحر المحيط 226/1.

2 - البحر المحيط 228/1.

3 - المصدر نفسه 160/1.

(البقرة 125/2) : اذ يقول : ومن قرأ واتخذوا بفتح الحاء كان خيرا (1) أي فعلا ماضيا.

و من القرائن التي تبين اعتماد المفسرين على السياق القرآني أن أبا حيان وهو يشرح قوله تعالى : «إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم» (المائدة 34/5) يجعل "تابوا" فعلا أريد به الاستقبال (2) اذ يبدو أنه اعتمد في هذا الرأي على الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى : «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا» (المائدة 34/5). فجعل زمن تابوا ينحصر في المستقبل.

وقد اعتمد علي السياق أيضا في قوله تعالى : «والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم، وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم» (الرعد : 21/13-22) حيث يقول : وجاءت الصلة هنا بلفظ الماضي في الموصولين في قوله تعالى : «وأقاموا وأنفقوا» ولفظ المضارع في قوله تعالى «يصلون.. ويخشون» على سبيل التفتن في الفصاحة ويبرز هذا التغيير في الصيغتين (من أقاموا وأنفقوا، الى قوله يصلون ويخشون) لما في الايتين السابقتين من معنى الشرط(3) حيث ان أسماء الشرط غالبا ما تقلب صيغة "فعل" الى المستقبل.

ولقد رأينا أن النحاة يذهبون الى أن الفعل الماضي الواقع صلة أو صفة لنكرة عامة يحتمل أن يراد به الماضي، ويحتمل أن يرد له الاستقبال(4).

1 - الفراء معاني القرآن 77/1.

2 - البحر المحيط 385-386.

3 - المصدر نفسه.

4 - انظر الفصل الذس خصصناه لزمن الفعل عند النحاة.

ومن ذلك قوله تعالى : « ففزع من في السموات ومن في الارض » (النمل 83/37) يجمع المفسرون على أن "فزع" استقبال جاء بصيغة الماضي لأن القرائن المحيطة به تدل على ذلك وهي قوله تعالى يوم ينفخ في الصور وأن "يوم" تشير غالبا الى يوم القيامة يقول أبو حيان : عبر بالماضي في قوله : "فزع" وان كان لم يقع إشعار لصحة وقوعه، وأنه كائن لا محالة، وهذه فائدة وضع الماضي موضع المستقبل(1).

ومثله قوله تعالى : « يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار » (هود 98/11) حيث جاءت "اوردهم" بصيغة الماضي "فعدل عن فيوردهم" الى "فأوردهم ليحقق وقوعه لا محالة، فكأنه قد وقع(2) ولقد ذهب العكبري- الذي نهج نهج النحاة- الى أن "أوردهم" تقديره "يوردهم"(3) وهذا تجريد للتعبير القرآني- في هذه الاية من جانبه البلاغي، حيث أن الفعل الماضي "أورد" يريد له الاعجاز القرآني أن يبقى على مضميه في اللفظ للايحاء بوقوعه، وأن يشير الى الاستقبال بالقرينة.

فَعَلْ مَسْبُوقَةٌ بِـ "قَدْ"

يرى المفسرون رأيا في هذا التركيب لا يختلف في دلالة الزمنية عما ذهب اليه النحاة، وهو أن "قد" تفيد التوقع أو الماضي القريب في أغلب الايات التي ورد فيها مثل هذا التركيب.

ومن ذلك أن الزمخشري يشرح قوله تعالى : « وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به » (المائدة 61/5) بأن قوله تعالى "بالكفر وبه حالان، أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين(4) وتقديره متلبسين بالكفر ولذلك دخلت "قد" تقريبا

1 - البحر المحيط 99/7.

2 - المصدر نفسه : 259/7.

3 - املاء ما من به الرحمن 25/2 للعكبري.

4 - الكشاف 226/1.

للماضي من الحال، ولمعنى آخر وهو أن أمارات الكفر كانت لائحة عليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لظهور الله ما كتموه، فدخل حرف التوقع، وهو متعلق بقوله : "آمنا" أي قالوا ذلك، وهذا حالهم.

ومن ذلك قوله تعالى " «لقد أرسلنا نوحا الى قومه» (الأعراف 59/7) حيث يجعل الزمخشري "قد" للتوقع، وهذا بسبب القسم المحذوف الذي يقدره في هذه الآية بـ : تالله لقد أرسلنا، أما سبب مجيئ "قد" مقترنة باللام، فهو أن الجملة القسمية لا تساق إلا لتأكيد الجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى "قد" عند استماع المخاطب كلمة القسم (1) وهو رأي يشبه كثيرا ما يذهب اليه النحاة من أن "قد" الواقعة في جواب القسم تفيد التقريب من الحال. يقول ابن عصفور "إن القسم اذ أجيب بماض متصرف مثبت فان كان قريبا جيئ باللام وقد نحو قوله تعالى : «تالله لقد آثرك الله علينا» (2) (يوسف 91/12) ومنه قوله تعالى : «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» (المجادلة 1/58) فإن صاحب البحر يجعلها للتوقع لأنه هو عليه السلام، والمجادلة كانا متوقعين أن يسمع الله مجادلتها وشكواها (3) وقد تأتي "قد فعل" لغير التوقع، على نحو ما يوجه المفسرون من ذلك قوله تعالى : «وقد بلغني الكبير» (آل عمران 40/3) اذ يجعلها الأخفش للحال يقول قد بلغني الكبير كما تقول : وقد بلغني الجهد، أي أنا في الجهد (4)

ويفهم من تفسير أبي حبان لقوله تعالى : «أن يسرق فقد سرق أخ له من قبل» (يوسف 27/12) أن "قد" هنا لا تفيد الماضي القريب، أو التوقع إنما

1 - الكشاف 84/2.

2 - معنى اللبيب لابن هشام الأنصاري.

3 - البحر المحيط 109/8.

4 - معاني القرآن 405/1.

جاءت إخبارا عن حدث، وقع، أو احتمال وقوعه منذ زمن : وهو ما يؤيده السياق القرآني والقرينة : والدليل علي ذلك أن الآية ختمت بـ : "من قبل" التي هي للماضي المطلق، لذلك يفسر أبو حيان هذه الآية بقوله : أي إن كان وقعت منه سرقة فهو يتأسى بمن سرق قبله فقد سرق أخ له من قبل(1)

اذ فعل

من الأوجه التي ذكرها السيوطي لهذه الأداة في القرآن أن تكون في الغالب اسما للزمن الماضي(2)، وهو ما يذهب اليه جمهور النحاة. من ذلك قوله تعالى : «واذكروا اذ كنتم قليلا فكتركم» (الاعراف 86/7) «واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا» (مريم 16/19) «واذكروا نعمة الله عليكم، اذ جعل فيكم أنبياء» (المائدة 20/5) غير أن أبا حيان لا يخلص "جعل" في هذه الآية الأخيرة الى الماضي بل يراها الى المستقبل أقرب لأن "جعل" هنا، لا يراد بها حقيقة الماضي بالفعل "اذ أن بعض الأنبياء كان قد ظهر عند خطاب موسى اياهم وبعضهم لم يكن قد خلق بعد(3). يعني أن المعنى الزمني للفعل هو أن الله قد جعل فيكم أنبياء، وسيجعل فيكم أنبياء فكأن زمن هذا الفعل عنده يمتد من الماضي الى المستقبل عبر الحاضر.

كان فعل

من بين الصور التي ورد فيها هذا التركيب، السياق الشرطي في نحو قوله تعالى : «وان كان كبر عليك أعراضهم فإن استطعت (الانعام 35/6) وهذا التركيب مكون من "كان" التي تفيد الماضي و "كبر" وصيغتها ماضية و "إن" الشرطية التي غالبا ما تفيد الاستقبال، أما الدلالة الزمنية الكلية لهذا

1 - البحر 333/5.

2 - الاتقان 147/1.

3 - البحر 452/3 المصدر نفسه 133/4.

التركيب، فيراها أبو حيان على النحو التالي :

- أن "كبر" فعل ماضي انقطع وانتهى تماما، لأنه مسبوق بـ "كان".

- أن "إن" الشرطية هنا لا تدل على الاستقبال، بل تفيد التبين والتوضيح، والتأكيد على أن الفعل قد وقع مثل قوله تعالى : «إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين» (يوسف 27/12) وهكذا نجد أن الأسلوب القرآني وسباق الآية قد فرض على المفسرين اتجاهها آخر في حكم وظيفة "إن" وهو اتجاه مغاير لما ذهب إليه النحاة من أن "إن" تصرف الفعل إلى المستقبل.

إذا فعل

يقسمها السيوطي إلى قسمين(1)

1- الدلالة على الماضي

2 - الدلالة على الحال والاستقبال

فالدلالة على الماضي، يمثل لها بقوله تعالى : «واذ رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها» (الجمعة 11/62). وقوله عز وجل، «ولا على الذين ما أتوك لتحملهم» (التوبة 92/9)، وقوله تعالى : «حتى إذا بلغ مطلع الشمس» فهي كقوله تعالى : «والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى» (الليل 2/92)، وقوله تعالى : «والنجم إذا هوى» (النجم 1/53). ونستأذن العلامة السيوطي للقول بأن الأمثلة التي اختارها للدلالة على زمن الماضي، لا تدل على الحال فقط ولا على الحال والاستقبال فإذا وقفنا على سبيل المثال عند قوله تعالى «والليل إذا يغشى» فإنا نجد أن غشيان الليل كما يقول السيوطي مقارن

1 - الاتقان 148/1-149.

الليل والنهار(1) وهو كذلك في كل الأزمنة، ومثله قوله تعالى : «والنجم اذا هوى» فالنجم هوى، وسيظل يهوي الى أن يشأ الله، وهذا على مذهب من يفسر "النجم اذا هوى" بالنجم الذي يرحم به، أما اذا فسرت الاية بـ "النجم اذا قرب وانتشر يوم القيامة"، فلن تكون دلالة أخرى لـ "اذا هوى" غير الاستقبال(2).

أما العكبري فيفسر هذه الاية تفسيراً يحتمل الدالتين السابقتين فهي "اقسم بالنجم وقت هويه"(3).

ان فعل

في وقوله تعالى : «فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا (البقرة 137/2): يميل أبو حيان الى جعل "آمنوا" استقبالا لأن المعنى : "ان آمنوا بكتابهم المماثل لكتابهم، أي فان آمنوا بالقرآن الذي هو مصدق لما في التوراة والانجيل»(4) "فقد اهتدوا" أما الزمخشري، فإنه يرى أن هذا التركيب يراد به الماضي المفترض لغرض التبكيت والتحدي. "لأن دين الحق لا مثل له وهو دين الاسلام. ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه، أي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم، مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا..... ومثل هذا قولك للرجل الذي يشير عليه، هذا هو الرأي، فان كان عندك رأي أصوب منه، فاعمل به، وقد علمت أن لا أصوب من رأيك، ولذلك تريد تبكيت صاحبك وتوقيعه على أن ما رأيت، لارأي وراءه"(5). وليس يخفى أن الزمخشري يتوجه بهذا الفعل الى الماضي، إلا أنه ماض مفترض مقدر كما

1 - المصدر نفسه.

2 - الكشف للزمخشري 27/4.

3 - املاء ما من به الرحمن 132/2.

4 - البحر 409/1-410.

5 - الكشاف : 315/1.

مثل.

ولقد أورد السيوطي صورا لهذا التركيب من القران تفيد المستقبل المحقق الوقوع، منها قوله تعالى : « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين » (الفتح 27/48) وقوله عز وجل : « وأنتم الأعلمون ان كنتم مؤمنين ». (آل عمران 193/3) وأن أصل هذا الشرط، يذكر للتبرك وأن المعنى : لتدخلن جميعا أن لا يموت منكم أحد قبل الدخول (1) لعل السيوطي يريد أن يجعل هذا التركيب مستقبلا مفرغة من معنى الشرط، فقد نقل عن الجمهور أن "إن" وردت بصيغة الشرط، وهو غير مراد في ستة مواضع (2) منها قوله تعالى : « ولا تكهروا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا » (النور 33/24). قوله عز وجل : « واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون » (البقرة 112/2).

ومن قوله تعالى : « فذكر ان نفعت الذكرى » (الأعلى 9/87) حيث يروي السيوطي عن قطرب محمد بن المستنير أن "إن" هنا جاءت بمعنى "قد" وينقلب زمن الآية الى الماضي ويصبح (المعنى) فذكر قد نفعت الذكرى، يقول ولا يصح فيها الشرط لأنه مأمور بالتذكير على كل حال (3) لأن هناك من من يرى غير رأي قطرب ويجعل "إن" في "أن نفعت" للشرط المراد به ذمهم، لأن الشرط جاء بعد الأمر "ذكر" الدال على الاستقبال (4). ومن التراكيب الشرطية التي وقف عندها المفسرون، قوله تعالى : « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » (البقرة 95/2) اذ وجدوا ان "كان" مع "ان" من قبيل الماضي المفترض الذي لم يكن، وسياتق الاية ببيان أن الدار الآخرة (أي الجنة) لن تكون بهم لأن من ادعى أن الجنة خالصة له دون

1 - الاتقان : 155/1.

2 - المصدر نفسه : 155/1.

3 - المصدر نفسه : 155/1.

4 - المصدر نفسه : 155/1.

الناس ممن اندرج تحت الخطاب في قوله تعالى : « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة لا يمكن أن يتمنى الموت»(1). ولذلك كان حرف النفي "لن" الذي يفيد استغراق الأزمان، ونعني بالأبد هنا ما يستقبل من الأزمان(2)، وذلك في الآية 196 التي تليها قوله تعالى : «ولن يتمنوه أبدا».

ان فعل

في قوله تعالى « أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» (آل عمران 144/3)، وجد المفسرون - وهم يدرسون هذا التركيب أن همزة الاستفهام في قوله تعالى " أفإن مات" تعتبر من أحكام الشرط، لأن همزة الاستفهام دخلت في التقدير على "انقلبتم" أي، أنتقلبون ان مات) وجواب الشرط محذوف (لأن الغرض، انما هونتقلبون على أعقابكم إن مات محمد)(3).

وانما وقف المفسرون عند هذا البناء، لأن معناه تتجاذبه أداتا الاستفهام، والشرط ولما كانت الدلالة على الاستقبال الذي تضمنه سياق الآية من تبعات التركيب الشرطي وليست ناتجة عن أداة الاستفهام. فإن كثيرا من المفسرين قالوا : إن ألف الاستفهام دخلت في غير موضعها، لأن الغرض، انما هو أنتقلبون إن مات محمد؟ أما الاخفش والفراء، فيريان أن الجواب في قوله تعالى : انقلبتم على أعقابكم...» هو جزء للشرط، وليس جوابا للاستفهام لذلك لم يقل : أنتقلبتم، فتقطع الزلف، لأنه جواب المجازاة التي وقعت عليه، ومنه قوله تعالى « أفان مت فهم الخالدون»(4)

1 - الكشاف 315/1.

2 - المصدر نفسه.

3 - البحر 68/3-69.

4 - انظر معاني القرآن للفراء 236/1 ومعاني القرآن للأخفش الأوسط 422/1.

(يفعل) مجردة من الأدوات

درس المفسرون صيغة (يفعل) في القرآن الكريم في جوانبها الزمنية التي يضيفها عليها السياق، اذ وجدوا أن مقولات بعض النحويين المتعلقة بحصر هذه الصيغة في الحال والاستقبال لا تستوعب كل المقامات الزمنية التي تعبر عنها هذه الصيغة المجردة. وانما تنتقل الى مواقع زمنية من الصيغ مزيجا من التحليلات النحوية والبلاغية من ذلك نجد أن الزمخشري، وهو يشرح قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة » (الحج/63) (22) يسعى ليعلل مجيء معنى الماضي في صيغة المضارع وكيف استطاعت صيغة المضارع " يصيح " أن تجعل عملية الاخضرار تتجدد وتجيئ عبر الأزمان يقول : " فان قلت هلا قيل، فأصبحت " ولم صرف الى لفظ المضارع قلت لنكتة فيه، وهي افادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول أنعم علي فلان عام كذا، فأروح، وأغدو شاكرا له، ولو قلت فرحت وغدوت، لم يقع ذلك الموقع (1) ومن ذلك : "تجهلون" في قوله تعالى « قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون » (الاعراف 138/7) حيث يجعل أبو حيان زمن هذا الفعل عاما لا ينصرف الى زمن خاص يقول : وأتى بلفظ "تجهلون" ولم يقل جهلتم إشعارا بأن ذلك منهم كالطبع والغريزة، ولا ينتقلون عنه في ماض، ولا مستقبل (2) ومن قوله تعالى « يدبر الأمر من السماء الى الأرض » (السجدة/5) (32) حيث يدل الفعل "يدبر" و "يعرج" في قوله تعالى « ثم يعرج اليه » على زمن يمتد من الماضي السحيق الى المستقبل ما دامت السموات والأرض قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية يدبر أمر الدنيا كلها من السماء الى الأرض، بكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة... ويعرج اليه، يصير اليه ويثبت عنده ويكتب عنده كل وقت من أوقات هذه المدة الى ان تبلغ المدة آخرها، ثم يدبر

1 - الكشاف 21/3.

2 - البحر 378/4.

أيضا اليوم آخر، وهلم جرا... الى أن تقوم الساعة(1).

ومنه قوله عز وجل «يخادعون الله والذين آمنوا»(البقرة 8/2) فد "يخادعون" وجدها المفسرن في السياق القرآني، لاتدل على الحاضر أو المستقبل، وانما هي "صفة" مصاحبة لهم ولمن أتى بأفعالهم في كل زمان(2).

(يفعل) مع الأداة

ان يفعل

قال تعالى إن يمكم قرح فقد مس القوم قرح مثله يقف أبو حيان عند شرحه للآية -عند الفعلين " يمكم" و "ومس". ليبين أن هذا التركيب الشرطي، قد تضمن فعلين : أحدهما مضارع لفظا ماض معنى والثاني ماض لفظا ومعنى اذ أن المعنى عنده، ان نالوا منكم يوم أحد، فقد نلتهم منهم يوم بدر، أما جواب الشرط عنده، فهو "تأسوا" فقد مس القوم قرح "لأن الماضي معنى، يمتنع أن يكون جوابا للشرط"(3).

إذا يفعل

في قوله تعالى : «إذا تتلى عليهم آياتنا»(يونس 15/10) يرى بعض المفسرين انه يجوز في مثل هذا التركيب القرآني، وقوع الفعل المضارع بعد "إذا" وجوابه الماضي بخلاف أدوات الشرط الأخرى. فإنه لا يجوز ذلك فيها الا في الشعر.

أما الجانب الزمني لـ "إذا تتلى" فان السيوطي يرى أن "إذا" في مثل هذا

1 - الكشاف 241/3.

2 - المصدر نفسه 171/1.

3 - البحر 62/2.

السياق تستعمل للاستمرار في الاحوال الماضية والحاضرة والمستقبلية(1) سواء كانت المصيغة "فعل" أم "يفعل" مثل قوله تعالى «واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا»(البقرة 14/2) «واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى»(النساء 142/4) أما أبو حيان فيجعل الفعل "تتلى" ماضيا لأن الآية تروي ما قاله النضر بن الحارث وآخرون(2) عند نزول آيات من القرآن الكريم، أي أن الآية كانت تروي أحداثا ماضية. وليس هناك ما يمنع من القول : بأنه يشير الى معنيين وزمنين : زمن ومعنى مطلقين يدخل في حكمهما كل من اتصف بهذه الصفة في كل زمان. أما المعنى الآخر والزمن الآخر فهما ينصرفان الى ما قاله النضر بن الحارث وصحبه.

من يفعل

قال تعالى : «ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله»(النساء 100/4) من يخرج هنا لا تنصرف الى زمن معين، ولا يتقيد بفئة من الناس، بل يمتد زمنها من الماضي الى المستقبل. وينقل أبو حيان عن المفسرين لهذه الآية، ان كل هجرة (أي في أي زمان) لغرض ديني من طلب علم، أو حج، أو جهاد، أو فرار، الى بلد تزداد فيه طاعة الله أو ابتغاء رزق طيب، فهي هجرة الى الله ورسوله أي أن "من يخرج" لا ينصرف الى زمن معين، ولا يتقيد بفئة من الناس بل يمتد زمنها من الماضي الى المستقبل(3).

لما يفعل

يتفق المفسرون مع النحاة على أن "لما" في قوله تعالى : «ولما يدخل الايمان

1 - الاتقان 149/1

2 - البحر 131/5-132.

3 - البحر 337/3.

في قلوبكم» (الحجرات 14/49) تفيد التقريب من الحال يقول الزمخشري وهو يشرح قوله تعالى : "ولما يدخل" توقع لما أمروا به أن يقوله كأنه قيل لهم : ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم، وألستكم، لأن الكلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا" وما، وفي "لما" من معنى التوقع، دال على أن هؤلاء، قد آمنوا فيما بعد(1).

لن يفعل

قال تعالى : «قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها» (المائدة 24/5)، يقول الزمخشري وهو يحدد زمن هذا التركيب : (لن ندخلها : نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد، والتأيد، وأبدا تعليق للنفي بالدهر المتطاوول)(2). وعلى ذلك تكون "لن" في هذه الآية هي الدالة على الاستقبال، وليس "أبدا"، غير أن أبا حيان يذهب الى أن معنى تأييد نفي الدخول، لا يستفاد من "لن" ولكن يستفاد من الظرف المختص بالاستقبال هو "أبدا"(3).

حتى يفعل

يجمع النحاة على أن "حتى" تصرف المضارع للاستقبال في قوله تعالى «واذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة» (البقرة 55/2) لأنها في معنى : «في إيمانهم مستصجبا الى هذه الغاية، ومفهومها أنهم اذا رأوا الله جهرة آمنوا»(4)

سافعل - سوف افعل

إذا كان النحاة يميلون الى جعل السين خاصة بالاستقبال القريب وسوف خاصة

1 - الكشاف 570/3.

2 - المصدر نفسه 604/1.

3 - البحر : 456/3.

4 - المصدر نفسه 450/3.

بالاستقبال البعيد فان المفسرين عندما وقفوا عند قوله تعالى « قال سوف أستغفر لكم ربي» (يوسف 98/12) لم يتفقوا على المدى الزمني الذي يشير اليه "سوف" هنا جاءت للمستقبل القريب وقال آخرون الى ليلة الجمعة وقالوا أيضا إنما آخر الاستغفار لهم حتى يسأل يوسف إن عفا عنهم(1) أي أنهم جعلوا سوف في الاية -هذه- المرة للاستقبال البعيد أما قوله تعالى : « سيقول السفهاء من الناس» (البقرة 142/2) فان القرطبي يجعل سيقول ماضيا. قال علم الله تعالى أنهم سيقولون في تحويل المؤمنين من الشام الى الكعبة. سيقول بمعنى قال : جعل المستقبل موضع الماضي دلالة على استدامة ذلك، وأنهم يستقرون على ذلك القول(2).

ويكاد القرطبي ينفرد بجعل المضارع المسبوق باحد حرفي التنفيس دالا على الماضي، ولعله يريد القول : أن زمن هذا الفعل يسري من الماضي الى المستقبل، أي أنهم قالوا ذلك وعدا، وسيستمررون في قوله . ولقد أشار الى مثل هذا، الزمخشري في الكشاف(3).

كان يفعل

جاءت "كان يفعل" في الغالب دالة على الماضي في السياق القرآني إلا أنها قد تأتي محتملة زمنين ماضيين مختلفين فمن ذلك قوله تعالى : «ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء» (المائدة 81/5). اذ نجد المفسرين يدرجونها في السياق الذي جاء قبلها وهو قوله تعالى : (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) فاذا كان الضمير في "منهم يعود على أسلافهم فان المراد بالنبي هو النبي داود أو عيسى فيكون "كانوا يؤمنون" للماضي البعيد أما اذا كان المراد "بالذين كفروا" عبدة الأوثان والنبي هو محمد صلى الله عليه

1- المصدر نفسه 436/5.

2- الجامع لأحكام القرآن : 147/2.

3- الكشاف : 317/1.

وسلم- اذ لو كان هؤلاء المتولون من المشركين يؤمنون بالله، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- ما اتخذتم هؤلاء اليهود أولياء (1) فان زمن "كانوا يؤمنون بالله" يصبح دالا على الماضي القريب من الحال.

كاد يفعل - ما كاد يفعل

يذهب بعضهم الى أن "كاد يفعل" اذا أثبت دلت على نفي الخبر، واذا نفت دلت على اثبات الخبر(2) ويذهب البعض الآخر من المفسرين الى أن "كاد" في الثبوت تدل على المقاربة، فاذا قلت "ما كاد زيد يقوم" فمعناه مقاربة القيام دون التلبس به، فاذا قلت "ما كاد زيد يقوم" فمعناه كغيرها من الأفعال وجوبا ونفيا، ولكن هذا الرأي الأخير لا ينطبق على قوله تعالى «فذبوها وما كادوا يفعلون»(البقرة 71/2)، وهي الآية التي أورد أبو حيان من أجلها الرأي السابق لأنه يستحيل أن تكون "ما كاد" لنفي مقاربة الفعل اذ يصبح الكعنى في الآية وماقاربوا ذبحها. وليس هذا هو المراد، لأنهم ذبحوها حقيقة كما جاء في الآية (فذبوها وما كادوا يفعلون) أي ذبحوها، وكادوا لا يذبوها. وفي ذلك يقول عبدالقاهر الجرجاني : فذبوها وما كادوا يفعلون : تركيب مثبت في الصدر، ومثلو بنفي لا يغير شيئا من الفعل "ذبح" كونه قد وقع وانتهى.

اذا أخرج يده لم يكده يراها، فانما هو على حد تعبير الجرجاني لم يراها، ولم يكده، بل المراد أن الفعل لم يكن من أصله ولا قارب أن يكون، ولا أضن أنه يكون.... وذلك لأن سبيل لم يكدهنا ليس سبيل ما كادوا في قوله تعالى : وما كادوا يفعلون في أنه معقب على إثبات. وليس المعنى على أن رؤية كانت من بعد أن كادت لا تكون ولكن المعنى على أن رؤيتها لا تقارب أن تكون فضلا عن أن تكون(3).

1 - البحر : 542/3.

2 - البحر : 258/1.

3 - دلائل الاعجاز 213-214.

وقد وجد المفسرون أن "كاد" دلت على نفي الخبر وهي مثبتة في قوله تعالى: «أن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» (الاعراف 150/7) إذ معنى الآية أن قومه لم يلتفتوا الى وعظه وقاربوا أن يقتلوه (1)

ولعلنا نلاحظ أن المفسرين لم يقولوا شيئا عن زمن هذا التركيب، ولكن شرحهم لـ "كاد يفعل" و "ما كاد يفعل" يوحى بما يأتي :

1 - أن كاد تقلب زمن المضارع الى الماضي (وذلك في نحو قوله تعالى : فذبحوها وما كادوا يفعلون).

2 - أن هناك حدثا كان يمكن أن لا يتم ولكنه تم (كما في الآية السابقة).

3 - الدلالة على أن هناك حدثا كان وشيك الوقوع لكنه لم يقع في نحو قوله تعالى : على لسان سيدنا هارون (وكادوا يقتلونني)

افعل

في قوله تعالى : «كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم اياه تعبدون» (البقرة 57/2).

يفهم من شرح المفسرين لهذه الآية أن فعل الأمر "كلوا" يدل على :

1 - الأمر بإنجاز فعل لم يقع، ولم يحدث من قبل.

2 - أو الاستمرار في انجاز فعل حدث من قبل، مما يعني دلالة على ما يستقبل من الزمن بالنسبة لزمن التلفظ به، أو دلالة على الزمن المنطلق من الماضي الى المستقبل عبر الحاضر يقول أبو حيان وهو يشرح هذه الآية "كلوا" أمر اباحة واذن كقوله : "فاصطادوا" (المائدة 2/5) "فانتشروا في الأرض" (الجمعة 10/62) وذلك على قول من قال : أن الاصل في الأشياء الحظر، أو دوموا

1 - البحر : 396/4 والكشاف : 289/1.

على ذلك على قول من قال : الأصل فيها الإباحة(1) ومنه قوله تعالى : «فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم، وكلوا واشربوا»(البقرة2/187) حيث نجد أن كل أفعال الأمر الواردة في الآية دالة على الاستقبال الذي يفيد الاستمرار أو التجدد لأنها أوامر إباحة لمباشرة الزوجة، والأكل والشرب في كل ليالي الصيام. يقول أبو حيان : وهذا أمر إباحة لكونه ورد بعد النهي. أما قوله تعالى «كلوا واشربوا حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود»(البقرة 2/187) فهو إباحة أيضا : أبيحت لهم الأشياء الثلاثة التي كانت محرمة عليهم في بعض ليالي الصيام(2).

ومن الدلالات الواضحة لفعل الامر على الاستمرار قوله تعالى «يا أيها النبي اتق الله»(المؤمنون 1/23) اذ وجد المفسرون أن سياق الآية يبين أن الأمر بالتقوى للنبي صلى الله عليه وسلم انما هو على سبيل الاستمرار والاستزادة، وعلى ذلك يكون زمن فعل الأمر "اتق" الزمن الذي يسع الماضي والحاضر، والمستقبل : يقول أبو حيان(3) أمره التقوى للمتلبس بها أمر بالديمومة عليها، والازدياد منها غير أن جمهور الفقهاء وبعض النحاة ينكرون دلالة فعل الأمر على الحدث كما ينكرون دلالته على الزمن على نحو ما سنفصله في الفصل الذي خصصناه لزمن الفعل عند الفقهاء. ويبدو أن أبا حيان استأنس برأيهم وهو يوجه دلالة الفعل "كونوا" في قوله تعالى : «فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين»(البقرة 2/65) اذ استفاد من تفسيره لهذه الآية أن "كونوا" خلو من الدلالة على الحدث ولكنه لا يخلو من الدلالة على الزمن المستقبل القريب من الحال يقول : فقلنا لهم "كونوا" أمر من الكون، وليس بأمر حقيقة، لأن صيرورتهم الى ما ذكر ليس فيه تكسب لهم لأنهم ليسوا قادرين على قلب

1- البحر : 214/1.

2 - البحر : 50-49/2.

3 - المصدر نفسه : 210/7.

أعيانهم قدرة، بل المراد منه سرعة الكون على هذا الوصف كقوله تعالى : إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ومجازه أنه لما أراد منهم ذلك صاروا كذلك (1).

ويلاحظ في هذه النماذج التي عرضناها من كتب التفسير أن دراسة زمن الفعل عندهم تمتاز بكونها دراسة وظيفية دلالية، لا يكتفي بالفعل وحده، أو بالأداة التي تسبقه أو تلحقه بل تعتمد في المقام الأول، على الملابس والسياق الذي يتحرك لهما الفعل.

لذلك جاءت دراستهم تختلف عن دراسة النحاة من حيث إنها استغرقت قدرا (وإن كان غير كاف) من زمن أفعال القرآن لدراستها وفق المنهج الذي بيناه، على حين نجد أن النحاة الأقدمين لم يتوسعوا فيما اختاروه من شواهد قرآنية. واختيار هذه الشواهد، لم يكن في غالب الأمر قائما على أساس دلالي وجاء النحاة التابعون لهم، فوقفوا عند هذه الشواهد لا يتجاوزونها ولسنا نعيب على النحاة سكوتهم عن دراسة هذا الجانب.

فالدراسة النحوية وحدها لا تمكن الدارس من التعمق في بحث زمن الفعل، لأن الفعل -يحكم ارتباطه بأنسخة بلاغية ودلالية، وتاريخية لا يتحدد زمنه بالصيغة وحدها، أو باقترانه بالأداة : وإنما هو يحتاج بالاضافة الى ذلك الى معرفة "وضع الفعل" داخل السياق الذي يرد فيه وهذا بفضل المعارف التي ذكرناها.

الفصل الثاني

- * كتب اصول الفقه
- * صلة الفقه بعلوم اللغة.
- * الفعل عند الأصوليين.
- * زمن الفعل عند الأصوليين.
- * فَعَلَ، يَفْعَلُ، افعل.
- * نماذج من تطبيقات الأصوليين لزمن الفعل على المسائل الفقهية.

كتب أصول الفقه

صلة الفقه بعلوم اللغة :

لما كانت اللغة العربية الفصحى، هي الأداة التي توصل بها الفقهاء، لاستنباط الاحكام الشرعية، حظيت الدراسات اللغوية عندهم بالاهتمام الكافي للوقوف على أسرار الكلمة، ومقاصدها في البيان والتعبير ولقد ظلت علوم اللغة تسير في ركاب الفقه وعلوم الدين منذ أن نشأ النحو العربي أساسا من أجل صيانة القرآن من اللحن، ثم من أجل شرحه والاقتراب من معانيه.

ولكن حاجة الناس الى تعلم العربية ظلت قائمة، فلقد تبين لهم أن كل علم من العلوم الاسلامية لا يتيسر لطالبه الا بالامام بقواعد اللغة العربية.

يقول الزمخشري : "إنهم لا يجدون علما من العلوم الاسلامية فقهها وكلامها، وتفسيرها، وأخبارها إلا وافتقاره الى العربية بين لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع، ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه، ومسائلها مبنيا على الاعراب" (1) لذلك كان لا بد لمن أراد علم الشريعة، فيما يقرر ابن خلدون، أن يعرف العلوم المتعلقة باللسان العربي : "والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو العربي الذي به تتبين أصول المقاصد بالدلالة (2).

ومن مظاهر صلة الفقه بعلوم اللغة، الرواية التي جاء بها الزبيدي في الطبقات يقول : قال أبو بكر بن شقير : حدثني أبو جعفر الطبري قال : قال سمعت الجرمي يقول : أنا منذ ثلاثين سنة أفتي في الناس في الفقه من كتاب سيبويه قال فحدثت به ابن يزيد على وجه التعجب والانكار فقال : أنا سمعت

1 - مقدمة المفصل للزمخشري.

2 - مقدمة ابن خلدون ص: 499.

الجرمي يقول هذا، ذلك أن أبا عمر الجرمي كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش (1) يريد أنه كان يفيد من الكتاب في الاستنتاج والقياس والتعليل.

وسئل الفراء عن الرجل سها في سجدتي السهو، قال لاشئ عليه، قيل من أين لك هذا؟ قال : قسته على مذاهنا في العربية، وذلك أن المصغر عندنا لا يصغر. وكذلك لا يلتفت الى السهو في السهو(2).

ومما يؤيد الصلة التي تجمع المباحث النحوية بالقضايا الفقهية، أننا نجد السبوطي يقر بأنه رتب أصول النحو على ترتيب أصول الفقه لأن "القياس" وتركيبه، وأقسامه من قياس العلة، وقياس الشبه، وقياس الطرد الى غير ذلك على أصول الفقه، فإن بينهما من المناسبة ما لاخفاء به، لأن النحو معقول من منقول، كما أن الفقه معقول من منقول(3).

منهج الأصوليين في الدراسة النحوية واللغوية

تنبه الأصوليون الى أهمية اللغة بمختلف فروعها في فهم النصوص لكونها أدواتهم الأولى في استنباط الاحكام، وتخريج المسائل الفقهية، لذلك نجد أنهم انفردوا مع قلة قليلة من علماء اللغة الأقدمين في وصل علوم اللغة في اطارها النظري، بالنصوص التي تعمل فيها اللغة عملها لذلك يمكن القول : إن دراستهم للغة كانت دراسة وظيفية، تطبيقية، تنظر الى اللغة وهي تحيا في عالم النص فتعطي الاعتبار الأول للمعنى الذي يؤديه كل عنصر من عناصر الكلمة. وبذلك يمكن التفريق بين المنهج الذي أسسته المدارس النحوية، والمنهج اللغوي للفقهاء، أن الأول قواعد تنظيرية يراد لها الاطراد، والشمول لاستيعاب

1 - طبقات النحويين واللغويين للزبيدي 66.

2 - نزهة الألباب لابن الأثيري : 69.

3 - الاقتراح في علم أصول النحو للسبوطي : 22.

التراث اللغوي، وأن الثاني نظرة تطبيقية لهذه القواعد مع جعل فهمهم لروح النص، ومدلولاته في المقام الأول.

الفعل عند الأصوليين

تجاوز الأصوليون - وهم يعرفون الفعل - ما أثر عن سيبويه وتلاميذته إلى تعريف آخر، أشمل وأقرب إلى طبيعة الفعل في رأيهم، وهو التعريف الذي أورده النحاة فيما أورده عن نشأة النحو العربي، فلقد أثر عن علي بن أبي طالب قوله لأبي الأسود الدؤلي بعد أن أمره بوضع النحو، "الاسم ما أنبئ عن المسمى، والفعل ما أنبئ به" (1) إلى آخر الرواية فالفعل عندهم كلمة تنبئ عن حركة صادرة من المسمى، حيث ينشأ الإنباء من صيغة الفعل، لا من مادته، ولقد رأينا كيف عرف متقدمو النحاة، وأولهم سيبويه بأنه ما دل على حدث وزمن (2) وأن متأخريهم، حددوا وظيفته في أنه ما دل على الحدث بمادته، وعلى الزمن بصيغته (3) وأضاف بعضهم دلالة على النسبة إلى الفاعل (4) فالفعل عند الفقهاء : كلمة تنبئ عن حركة المسمى فقط، ولا علاقة لها بالزمن، ولقد اختلفوا في تحديد ماهية المسمى، فمنهم من ذهب إلى أن المسمى هو الفاعل باعتبار أن الفعل ينبئ عن حركة الفاعل "لأن الأفعال تدل على أن الحدث الذي اشتملت عليه هيئاتها، وهو من آثار الفاعل، وصادره المتحرشة من ذاته، بحسب ظاهر لفظها وإن لم يكن لذلك مطابق بحسب الخارج كما في امتنع ويمتنع، واستحال الفعل عندهم ينم عن حركة الفاعل سواء كانت هذه الحقيقة خرجت إلى الوجود، كما في "كتب" و "ذهب: أم كانت مجازيه، لا وجود لها في الخارج مثل استحال، وانعدم، وامتنع (5)، ومنهم من يرى أن المسمى، هو

1 - نزعة الألباء لابن الأثيري : 18.

2 - الكتاب : 12/1.

3 - شرح الرضي على الكافية : 224/2.

4 - حاشية الصبان على الأشموني : 73/2.

5 - بدائع الأفكار للمراعي : 604.

الحدث نفسه، وأن حركة المسمى ما هي إلا تحقق هذا الحدث، وصدوره من الفاعل بعد أن لم يكن متحققا ولا صادرا عنه. وهو ما يسمونه بالخروج من القوة (أي قوة الوجود) الى الفعلية ومن العدم الى الوجود(1) "وهكذا لا تزيد دلالة الفعل عند الأصوليين عن نسبة الحدث الى فاعله، وقبل أن نتطرق الى النظرة التي رأوا فيها الدلالة الزمنية للفعل.

نذكر أن بعض النحاة، قد فصلوا بين الحدث والزمن، بل عرفوا الفعل على أساس إسناد الفعل على وجه الحقيقة والمجاز كما بينوا أن الفاعل انما ينوب عن حركات الفاعلين(2).

وتعريف سبويه للفعل : "أما الفعل فأمثله أخذت من لفظ احداث الاسماء ، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع"، تعريف لا يعني أكثر من أن هذه الأمثلة (الابنية) انتزعت من المصادر أولا : لتدل على مجرد الاحداث. ثم اشتقت منها بعد ذلك الصيغ للدلالة على الأزمنة المختلفة. ولقد مال بعض النحاة الى فهم تقسيم سبويه للفعل على أنه تقسيم باعتبار الحدث، وليس باعتبار الزمن قال ابن الطراوة في الانصاح معقبا على ظن الفارسي أن الفعل ينقسم بانقسام الزمان : "ولو قال الفعل ينقسم بانقسام الحدث كان مصيبا، قال سبويه رحمه الله : وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الاسماء..... يعني لما مضى من الحدث، وما ينظر وما هو كائن في الخبر(3).

زمن الفعل عند الأصوليين

لا نستطيع تقييم رأي الأصوليين في زمن الفعل، ودلالة صيغته الا اذا

1 - البحث النحوي عند الأصوليين : 148.

2 - الايضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي : 86.

3 - انظر هامش المرجع السابق عن الانصاح لابن الطراوة : 53.

أجملنا آراء النحاة، قدماء ومحدثين في مدى إمكانات الصيغة للتعبير، وذلك على النحو التالي :

1 - اللغة العربية غنية بالصيغ التي تعبر عن أقسام الزمان وجهاته وقد استطاعت أن تستوعب جميع الدلالات الزمنية، شأنها في ذلك شأن اللغات الهند أوروبية.

2 - زمن الفعل يحدده السياق، لا الصيغة، وأن اللغة العربية لا تعاني من أي نقص في التعبير عن جميع المراحل، بشرط أن يرتبط الزمن بالسياق، أما الصيغة فدورها ثانوي.

3 - أن الزمن الذي يدل عليه الفعل، هو الزمن الطبيعي الذي ينقسم الى ثلاثة أقسام، ماض وحاضر، ومستقبل، وذلك باعتبار أن الازمنة تخضع لنظام فلكي، منها حركة مضت ومنها حركة لم تأت، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية.

4 - أن هناك زمنين : زمن صرفي تحدده الصيغة في مجال بنائها الإفرادي، وزمن يتحدد في مجالها التركيبي (الأداة أو الفعل الذي يسبقه، أو يلحقه)(1).

ويتجلى جوهر الخلاف بين النحاة والأصوليين، في أن الأصوليين ينكرون دلالة الفعل على الزمن سواء كانت بمادته أم بصيغته، فالمادة "قام" لاتدل الا على معنى القيام مجردا من أية نسبة زمنية. أما الصيغة فهي معنى حرفي لاتدل الا على نسبة المادة، أي الى الفاعل، والفاعل مدلول الصيغة، والصيغة تتخذ بناء عند نسبتها الى الفاعل، غير البناء الذي تأخذه، في حالة النسبة الى المبنى للمجهول فالفرق بين "ضَرَبَ" و "ضُرِبَ" أن الأولى جاءت لنسبة الحدث

1 - انظر الفصل الذي خصصناه لزمن الفعل عند النحاة.

الى الفاعل المعلوم. أما الثانية، فقد دلت بصيغتها على أن الفعل مبني لما لم يسم فاعله، أي أن شكل الصيغة يخضع للنسبة الى الذات ولا يخضع للجهة الزمنية في رأيهم، أما أن الزمن ليس مدلول الفعل، فلأن الفعل يجوز اسناده الى الزمن. اذ نلاحظ أنه لا فرق بين قولنا : (علم الله) و علم زيد من حيث جاز اسناد الفعل الى من كان زمانيا كزيد، وغير زمني كذاته تعالى: وكذلك نلاحظ أن مثل قولنا مضى الزمان ويأتي الزمان وخلق الله الزمان والصبح، والمساء أمثلة صحيحة، لا تحوز في اسنادها ولا تجريد، ولو كان الزمان جزءا في مثل مضى، ويأتي لكانت هذه الامثلة غلطا... لأن لازمها أن يقع المسند اليه في زمان آخر هو زمن المسند ثم ان النحاة يذهبون الى أن للمضارع معنى مطلقا يصح انطباقه على كل الزمانين فينطبق على الحال مرة وعلى الاستقبال مرة أخرى بحسب القرائن : واذا صح ذلك فلا فرق بين الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، لأن جملة "زيد ضارب" لها معنى يصح انطباقها على كل واحد من الأزمنة الثلاثة مع عدم دلالتها وضعا على أي واحد منها، فتكون الجملة الفعلية مثلها، ولو كان الزمان جزءا من مقومات حقيقة الفعل لما أمكن تحقيق الفعل بدونه لعدم تحقق النوع الا بفصله، وقد تحقق الفعل في جميع الانشاءات(1).

فعل - يفعل - افعل

ذكرنا أن الاصوليين خصوصا المتأخرين منهم، أنكروا أن يكون للصيغة الافرادية أية دلالة زمنية، وأنهم جعلوا السياق دلتهم الفاصلة في أمر تحديد زمن الصيغة بنسبه المتفاوتة لذلك لم يظهروا كثيرا بما يطرأ على الصيغة الافرادية من تحولات زمنية أما لوقوعها في سياق معين وأما لتعرضها لاحدى الادوات، فالزمن الماضي في صيغة "فعل" مثلا لا يكون ماضيه حقيقة بل

1 - عن الفعل وعلاقته بالزمن : انظر : بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية : 32/1-35 والإحكام في أصول الأحكام للأمدي : 83/1 و النحو عند الأصوليين ص 160 وما بعدها.

مستقبل حقيقه وذلك في قولنا : (يجيئني عمرو بعد شهر وقد نجح في الامتحان) على أننا نجد ابن القيم الجوزية وان آمن بعدم دلالة الصيغة على الزمن، فانه وقف وقفات مع النحاة عند صيغة "فعل" لدراستها مقترنة بأداة الشرط وذلك من خلال الآيات القرآنية التالية قوله تعالى : «ان كان قميصه قد من قبل فصدقت» (يوسف 26/12) وقوله تعالى : «ان كنت قلته فقد علمته» (المائدة 116/5) حيث بين فساد تأويل النحاة لفعل الشرط في هذه الآية، فقد ذهبوا الى أن معنى "ان كنت قلته" ان ثبت في المستقبل وقوع ذلك في الماضي. يقول وهو يعقب على هذا الرأي (أفترى المسيح يقول لربه : ان ثبت في المستقبل أي قلته في الماضي فقد علمته، وهل هذا الإفساد في الكلام ممتنع من العاقل اطلاقه) وتنصرف عنده الأفعال الماضية في الايات التالية الى الاستقبال لأنها جاءت وعدا، وذلك في قوله تعالى : «أنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر» (الكوثر 1/108). «وأشرق الأرض بنور ربها» (الزمر 69/39)، وقوله تعالى : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين» (التوبة 122/9). اذ هو يفضل أن تدرس هذه الافعال في السياق الذي وردت فيه وهذا على الرغم مما قاله النحاة في أن "لولا" للمستقبل يقول ابن القيم وهو يدرس زمن الفعل "نفر" والآية انما نزلت في غزوة تبوك في سياق ذم المتخلفين عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبر تعالى : أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كافة ... ثم ينتهي الى أن "نفر" في الآية ماض وانما يفهم منه الاستقبال لأن التخصيص يؤذن به ويرى رأيا في نحو : سواء على أقعدت أم أقتت اذ الصواب عنده أن المراد هنا ليس المضي أو الاستقبال. وان المراد هو المصدر الذي هو أعم من ذلك (أي سواء على قيامك أو قعودك) أما اذ اقترن الفعل بعدم أم بـ "فلم يتعين الفعل الماضي حتى بعد دخول لم على الفعل الثاني وذلك في نحو قوله تعالى : «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (البقرة 6/2) اذا المعنى، سواء عليهم الإنذار أو عدمه، فلا فرق بين

ذلك، وبين أن يقال سواء عليهم، أنذرت أم تركت الإنذار(1).

ويبدو أن ابن القيم، قد تأثر في هذه المسألة بما جاء (في نتائج الفكر) للسهيلي المتوفى سنة 581هـ. (وقد بين ابن القيم غير ما مرة أنه قرأ للسهيلي. توفي ابن القيم سنة 751هـ). وقد كان السهيلي يرى أن قوله تعالى : سواء عليهم «أدعوتهم أم أنتم صامتون» (الاعراف 193/7). يراد بها التسوية بين الدعاء والصمت على الإطلاق من غير تقييد بوقت ولا حال.(2)

أما قوله تعالى : «من حيث خرجت فول وحكه شطر المسجد الحرام»(البقرة 149/2). فإن خرجت جاءت دالة على الاستقبال. ليس لكونها بعد حيث كما ذهب ابن مالك من معنى الشرط ولهذا لو تجرد من الشرط لم يكن إلا للمضي كقولك : (اذهب حيث ذهب فلان). ويلاحظ من جملة ما قدمنا من آراء لابن القيم، أن المعول عليه في دراسة زمن الفعل وتحديدده هو السياق الذي يجعله ابن القيم ليفصل في معرفة زمن الفعل.

صيغة يفعل

ومما يؤيد ما ذهبوا اليه من عمومية زمن الفعل ودلالته على الإطلاق أن "يفعل" تدل بصيغتها هذه على الأزمنة الثلاثة حسب السياق الذي ترد فيه من ذلك مثلا قوله تعالى: «وجاءوا أباهم عشاء يبكون» (يوسف 16/12). فإن "يبكون" فعل مضى، وانقضى زمنه بالنسبة لزماننا، وإن دل على الحال في الظرف الزماني الذي وقع فيه ولو كان الحال والاستقبال جزءا من مدلول الفعل "يفعل" بحسب وضعها اللغوي لدل على ذلك في كل الأحوال، ولما كان تابعا

1 - بدائع الفوائد 51/1 وما بعدها :

2 - نتائج الفكر : 70.

3 - بدائع الفوائد : 251/4.

لاطلاق الفعل وتقييده(1).

ولقد فصل ابن القيم بعض التفصيل في دلالات "يفعل" من خلال مواضعها في السياق. فمن ذلك أنه يجعل "ما" و "لا" النافيتين صالحتين للحال فقط، معارضا في ذلك سيويه والزمخشري ودليله في ذلك، أن المضارع نفي بهما، وهو مرفوع، وهما لا يريدان رفعه لتشاكل المنفي بالمثبت، وبفاعل مرفوع بمرفوع، وشواهد في ذلك قوله تعالى : « مالنا لانؤمن بالله»(المائدة 84/5) وقوله تعالى : « مالكم لا ترجون لله وقارا»(نوح13/71) وقوله عز وجل : « مالي لا أرى الهدهد» (النمل 20/27)، وأن لام الابتداء ترجع الفعل للحال، وقد تخلص للاستقبال اذا اقترن الفعل بقرينة استقبال نحو قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام : «اني ليحزنني أن تذهبوا به» (يوسف 13/12) "اذ أن ذهابهم يقع في المستقبل. وهو (أي الذهاب) فاعل الحزن ويمتنع أن يكون الفاعل مستقبلا والفعل حالا"(2).

وجلي أن هذه الآراء ليست بعيدة عن مجمل ما رآه النحاة في هذا القبيل من التراكيب، ولكن يبدو أن ابن القيم، قد ساق هذه الامثلة، ليدل على أن الصيغة -بهيئتها الإفرادية لافضل لها في تحديد الزمن، ويوكل هذه المهمة الى السياق والى القرائن.

صيغة "افعل"

في الفصل الخاص بـ "زمن الفعل عند النحاة" نجد أن قدامى النحاة من بصريين وكوفيين، يلبسون فعل الأمر، أحكام المضارع بما في ذلك دلالاته الزمنية، اذ هو بناء اشتق من المضارع فزمانه الاستقبال عند البصريين، أو هو (أي فعل الأمر) المضارع نفسه، حذف منه التاء لكثرة الاستعمال.

1 - النحو عند الأصوليين عن تقريرات العراقي 159/1.

2 - بدائع الفوائد 253/7.

أما الأصوليون فلقد تعددت آراؤهم في زمن هذه الصيغة وقبل أن نعرف هذه الآراء، يحسن أن نقف معهم، وهم يعرفون فعل الأمر، فالأمر عندهم : صيغة الفعل بشرط إرادات ثلاث. إرادة إحداث الصيغة، وإرادة الدلالة بها على الأمر وإرادة الامتثال(1).

أما دلالات "افعل"، فهي الوجوب، كقوله : أقم الصلاة، والندب، كقوله تعالى «فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا»(النور 33/24) والارشاد، كقوله تعالى : «فاستشهدوا شهيدين من رجالكم» (البقرة 282/2). والاباحة كقوله تعالى : «واذا حللتم فاصطادوا» (المائدة 2/5). والامتنان كقوله تعالى : «كلوا مما رزقكم الله»(البقرة 168/2) والاكرام كقوله تعالى : «ادخلوها بسلام» (الحجر 46/15)، والتهديد كقوله تعالى : «اعملوا ما شئتم» (فصلت 40/41)، والانذار كقوله تعالى : «كلوا وتمتعوا قليلا» (المراسلات 46/77)، والتسخير كقوله تعالى : «كونوا قردة خاسئين» (البقرة 65/2)، والتعجيز كقوله تعالى : «قل كونوا حجارة» (الاسراء 50/170)، والاهانة كقوله تعالى : «ذق انك أنت العزيز الكريم» (الدخان 49/44)، والتسوية كقوله تعالى : «اصبروا أو لا تصبروا» (الطور 16/52) والدعاء كقوله تعالى : «اغفر لنا وارحمنا» (البقرة 286/2) والتمني كقول امرئ القيس: ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ... (2) ...

وكمال القدرة كقوله تعالى «كن فيكون» (آل عمران 59/3).

وانما اوردنا هذه التعريفات والحدود التي حددها الفقهاء أنفسهم لتكون دالتنا في مناقشة بعض الأصوليين الذين ينكرون زمنية فعل الأمر، ذلك أنا نجد فريقا منهم يجردها من الزمن تماما، ويجعل صيغة فعل الأمر : طلب إيجاد

1 - الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 200/2

2 - الاحكام للآمدي 200/2-202.

حقيقة الفعل. والمرة، والتكرار، خارجان عن حقيقته كالزمان والمكان ونحوهما. فكما أن قول القائل : اضرب غير متناول لمكان ولا زمان، ولا آلة يقع بها الضرب (فإنه) كذلك غير متناول للعدد في كثرة ولا قلة.

فاعترضات الأصوليين على زمنية الفعل واقتناعهم بعدم دلالة على الفور، والتراخي. قائمة على عدم مصاحبة الحدث للفعل، إذ نجد أن هناك فاصلا زمنيا ومعنويا بين أداة الطلب التي هي فعل الأمر، وحدث الفعل على وجه الحقيقة. ويبدو أن الأصوليين قد ابتعدوا بهذه الآراء عن طبيعة اللغة وضيقوا -بمقولاتهم المنطقية- من مجالات استعمالها ومن حسن الحظ، أن فريقا منهم قد التزم الاعتدال في هذا الموضوع. من ذلك أنا نجد الآمدي لا يفتنح بدلالة الفعل على العدد أو على التراضي، يقول ما ملخصه : والمختار أن المرة الواحدة لا بد منها في الامتثال، وهو معلوم قطعاً، فإن اقترنت به قرينة أشعرت بإرادة المتكلم التكرار وحمل عليه، وإلا كان الاقتصار على المرة الواحدة كافياً، والدليل على ذلك أنه إذا قال له "صل" أو "صم" فقد أمره بإيقاع فعل الصلاة، والصوم، وهو مصدر " افعل" والمصدر يحتمل الاستغراق، والعدد، ولهذا يصح تفسيره به.

والمصدر يحتمل العدد، فإن اقترنت به قرينة مشعرة بإرادة العدد حمل عليه، وإلا فالمرة الواحدة تكون كافية.

ومنها قوله تعالى : « اقتلوا المشركين » (التوبة 5/9) يعم كل مشرك فقوله "صل" و "صم" ينبغي أن يعم جميع الأزمنة لأن نسبة اللفظ الى الأزمان كنسبته الى الأشخاص، ومنها أنه لو لم يكن الأمر للتكرار، لما صح الاستثناء منه لاستحالة الاستثناء من المرة الواحدة، ومنها أن الأمر الشئى نهى عن جميع أضداده والنهي عن أضداده، يقتضى استغراق الزمان، وذلك يستلزم استدانة فعل المأمور به (1).

ويستخلص من هذا النص المختصر أن فعل الأمر يدل على التكرار كما يدل على الزمن بنسبه المتفاوتة و "الأمر لا يكون الا للاستقبال ولذلك فلا يقترن به ما يجعله لغيره، وأما وروده لمن هو متلبس بالفعل، فلا يكون المطلوب منه، الا أمرا متجددا، وهو إما الاستدامة واما تكميل الأمور به(1)، نحو : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله » (النساء 136/4).

ونضيف بأن هناك فروقا نسبية بين أزمنة فعل الأمر حسب السياق الذي يرد فيه، فقولك : "استقم" يوحي بزمن غير الزمن الذي يقول فيه الضابط للجندي: "استعد" أما الفارق الزمني الذي رأوه بين التلفظ بصيغة :أفعل" ووقوع الحدث فانه يمحي في نحو قوله عز وجل بـ « فقال لها وللأرض اتينا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين » (11/41).

ولقد رأينا في الفصل الخاص بزمن الفعل عند النحاة أن لفظ الأمر قد يؤدي بصيغة إخبارية كأن تقول : إني أمرك أن تفعل كذا. أو كقوله : اذا لم تستحي فافعل ما شئت. اذ مؤدي هذا التركيب ومعناه : من لا يستحي يفعل ما يشاء. فهل نحكم على مثل هذه التراكيب بأنها خالية من الزمن....؟

نماذج من تطبيقات الفقهاء لزمن الفعل

على المسائل الفقهية :

تميز الفقهاء عن النحاة كما رأينا بأنهم انطلقوا من النصوص يعرضونها بدلالاتها وملاساتها على القاعدة النحوية لتكون أداتهم في التفسير لشرح مقاصد المتكلم، باعتبار ان الألفاظ أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، ومن هنا جاءت آرائهم النحوية منتزعة.

من مواقف، وحالات تقتضي من المشرع أن يفصل فيها في ضوء الكلام

1 - بدائع الفوائد لابن القيم 247/4.

المنطوق الصادر من المتكلم، وتأتي أهمية تحديد زمن الفعل من حيث إنه قد يكون الفصل في كثير من القضايا الفقهية، ولعل المناظرة التي جمعت الكسائي بأبي يوسف القاضي، تبين لنا صلة اللغة بالفقه وحساسية اللغة في تغيير المعنى وملخص المناظرة أن الكسائي يسأل أبا يوسف القاضي : ما تقول في رجل، قال لرجل : أنا قاتل غلامك بتنونين قاتل، وفتح غلام، وقال له آخر : أنا قاتل غلامك بجر غلام؟ فقال أخذهما جميعاً، فقال له هارون الرشيد (وقد جرت المناظرة في حضرته) : أخطأت وكان له علم بالعربية فاستحى القاضي، وقال كيف ذلك قال الذي يأخذ بقتل الغلام، هو الذي قال : أنا قاتل غلامك بالاضافة لأنه فعل ماض، فأما الذي قال : أنا قاتل غلامك بلا إضافة فانه لا يؤخذ، لأنه مستقبل لم يكن، كما قال الله تعالى : «ولا تقولن لشيئ إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله» (الكهف 23/18)، فلولا أن التنوين مستقبل ما جاز فيه غدا. (1)

دلالة المضارع على الحال والاستقبال

رأينا أغلب النحاة يميلون الى أن الفعل المضارع يدل على ما يستقبل من الزمان، وأنه قد يدل على الحال بقرينة ولكن الفقهاء - وهم يرصدون صيغة "يفعل" في ثنايا النصوص والقضايا الفقهية، وجدوا أن دلالة الزمنية لا تقف عند الحال أو الاستقبال، وإنما هي تصطبغ بألوان زمنية مناسبة للظروف والمواقف التي يصدر فيها الكلام، ومن هنا جاءت دراستهم لزمن الفعل كما قلنا محيطة بالزمن من جميع جهاته، وأقسامه (2) من ذلك :

1 - إذا قال امرؤ لزوجته : طلقي نفسك، فقالت له : أطلق، فلا يقع في الحال شيئ، لأن كلمة أطلق هنا تنصرف الى الاستقبال، ما دامت عارية من القرائن

1 - الأشباه والنظائر للسيوطي 223/3.

2 - انظر الفصل الذي خصصناه لزمن الفعل عند النحاة وأساليب النفي في القرآن للدكتور أحمد محمود البقري ص 21 وما بعدها.

التي تحول مدلول زمنها، والمضارع مطلقه الاستقبال. أما اذا قالت : أردت الانشاء أي أن نية الطلاق تصاحب التلفظ بهذه الكلمة، وبذلك يكون حكمها حكم : "بعث"، "اشترت"، وما جرى مجراها من عبارات العقود.

2 - اذا قال : أقسم بالله لأفعلن، وأطلق ذلك فالأصح انه يكون يمينا، ولا يحمل على الوعد، وانما كان يمينا لأنه انشاء على نحوها ما رأينا في الأمثلة السابقة.

3 - أكثر النحاة على أن النفي بـ "لا" يعين المضارع للحال وهو ما استند اليه الفقهاء في جعل الحكم الفقهي للحال.

4 - اذا قال الوصي : لا أقبل هذه الوصية، فإنه يكون رد لها وذلك باعتبار أن النفي حصر لزمان الفعل في الحال، فلم يبق الا الحكم بأنها رد ونقص وقع في الحال، ولا يحتمل المستقبل.

حكم الفعل الماضي يحتمل الماضي والاستقبال

يرى ابن مالك : أنه اذا وقع الفعل المذكور صلة، أو صفة لنكرة عامة، احتمل الماضي والاستقبال.

فمثال دلالاته على الماضي : قوله تعالى : «الذي قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» (آل عمران 173/3) ومثال دلالاته على الاستقبال، قوله تعالى «إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم» (المائدة 34/5)(1) ومثال الصفة قوله صلى الله عليه وسلم : "نظر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدلهما كما سمعها(2)، ومما يتفرع عن هذه المسألة النحوية في الحكم الفقهي : أن يقول رجل لامرأته : إن أكرمت الذي اهنته (حيث وقع الفعل الماضي صلة،

1 - انظر التسهيل لابن مالك ص : 5.

2 - همع الهوامع للسيوطي 9/1.

فهو يحتمل الماضي والاستقبال) أو رجلا أهنته (صفة لنكرة عامة)، فأنت طالق، فإن أكرمت الذي أهانه قبل التعليق أو بعده، أي إن أكرمته في الماضي أو في المستقبل وقع في الحنث.

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما رأى حمارا قد رسم على وجهه، فقال : لعن الله من فعل هذا (وقعت فعل صفة لـ "من" فهي تحتمل الماضي والاستقبال).

وإن حملنا "فعل" على الاستقبال. دل على التحريم وإن حملناه على الماضي فلا دلالة فيه على التحريم، لأنه أخير عن هذا الشخص بخصوصه بأن الله لعنه أو دعا عليه بذلك.

كان ودلالاتها على الماضي المتصل والماضي المنقطع

ذهب بعض النحاة الى أن كان تدل على استمرار مضمون الخبر في جميع زمن الماضي، والحاضر، والاستقبال، وذلك في نحو قوله تعالى «وكان الله سميعا بصيرا» (النساء 134/4)

ويرتب الفقهاء عن هذه المسألة النحوية قضايا فقهية من ذلك، أنه لو ادعى رجل عينا، فشهدت له بيعة في الملك في الشهر الماضي مثلا، وشهد شاهد له، بأنها كانت ملكه، فلا يعمل بشهادته، الا أن يشهد له الملك في الحال. أي أن زمن كان لا يمتد الى الحاضر في هذا المقام.

وأجمال ما نقوله في النظرات النحوية للأصوليين أنها وجهت النحو وجهة جديدة تقوم على أساس الانطلاق من النص ليمارس فيه النحو وظيفته.

وبذلك استطاع :النحو الفقهي" أن يقول كلمته في أشياء كثيرة سكت
النحاة والمفسرون عنها(1).

1 - انظر هذه المسائل في : الكوكب الدرّي في كيفية تخريج المسائل الفقهية على المسائل النحوية
للإمام جمال الدين أبي محمد عبدالرحيم الإسنوي ص 120/118.

الفصل الثالث

كتب النحو :

* نشأة النحو العربي.

* دلالة الصيغة.

* فَعَلَ دالة على الماضي.

* فَعَلَ دالة على الحاضر.

* فَعَلَ دالة على المستقبل.

كتب النحو :

ارتبطت نشأة النحو العربي بالقرآن الكريم، اذ من أجله وضع أبو الأسود الدؤلي النواة الأولى لعلم النحو، ومن أجل دراسته والاقتراب من معانيه، شهد التاريخ الاسلامي، أول حركة لغوية كبرى تهدف الى توثيق الثروة اللغوية التي تضمنها القرآن الكريم ثم تفسيرها عن طريق التراث الشعري، والنثري الذي قام بجمعه ثلة من العلماء الثقات الرواة، من أمثال الخليل

بن أحمد المتوفى سنة 175 ويونس بن حبيب المتوفى سنة 183هـ، والكسائي المتوفى سنة 189هـ. وهكذا نرى أن القرآن الكريم كان محورا لجميع الدراسات التي قامت في الاساس لخدمته، ومن بينها الدراسات اللغوية ولولاه لاندثرت اللغة العربية الفصحى، وأصبحت لغة أثرية تشبه اللاتينية أو السنسكريتية" (1).

وهكذا يجوز لنا أن نسجل مطمئنين أن النحو العربي، انما نشأ نحو قرآنيا، وسيظل التراث النحوي المصدر الأول الذي يرجع اليه دارسو القرآن لذلك كان النحو العربي -بمفهومه الوظيفي الدلالي -أداتنا الاساسية في معالجة موضوع زمن الفعل في القرآن الكريم.

ولقد كان من اليسير علينا أن ننساق وراء ما ذهب اليه بعض النحاة المحدثين، وأغلب المستشرقين عند دراستهم لزمن الفعل فنحكم على قدامى النحاة بالقصور، والتقصير في دراسة الجانب الزمني للفعل، وأنهم تناولوه في

1 - فصول في فقه اللغة للدكتور رمضان عبدالنواب ص 115.

جانب ضيق محدود هو الزمن الذي يحدثه الفعل فيما يليه... (1).

أقول : كان من اليسير علينا أن نفعل ذلك ولكن تقاليد البحث العلمي جعلتنا ننظر فيما تركه النحاة الأقدمون من دراسة للفعل في اطار تصورهم العام لبناء النحو كله، وهي دراسة نريد لها أن تمكننا من الوقوف على مبلغ توفيقهم في دراسة زمن الفعل وعندما نقف على أول تعريف في اللغة العربية نجد أنه يحدد الوظيفة الأساسية للفعل : "الإنباء على المسمى" مما يعني أن الدلالة الزمنية عارضة على الفعل، وليست جوهرها فيه. فمن ذلك ما جاء في الدراسة التي ساقها ابن الأنباري وهو يعرض لسبب وضع النحو حيث يقول :

"وسبب وضع علي رضي الله عنه لهذا العلم. وما روى أبو الأسود الدؤلي قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي عنه، فوجدت في يده رقعة الى أن يقول : ثم ألقى الى الرقعة، وفيها مكتوب : الكلام كله اسم، وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ على المسمى، والفعل ما أنبى به والحرف ما جاء لمعنى" (2).

وذلك أن التعبير عن الزمن في اللغة العربية موكول لصيغة الفعل، وللقرائن المختلفة التي تسبقه أو تلحقه، لذلك يعرف ابن الحاجب الفعل بأنه : ما دل بهيئته على أحد الأزمنة (3) الثلاثة، أي أن الدلالة على المعنى أو الأنباء عن الفاعل هي الوظيفة الأساسية للفعل، ثم تأتي الصيغة لتحديد الزمان، بل ان الصيغة قد تفقد قيمتها الزمنية عندما يندرج داخل الجملة

1 - انظر على سبيل المثال : اللغة ل قندير ص135 وفي النحو العربي وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي ص144 وما بعدها.....

وانظر مقالة د/تمام حسان عن اللغة العربية والحداثة في مجلة "فصول" العدد الثالث أبريل يونيه 1984. ومقالة محمود أمين العالم عن مفهوم الزمن في الفكر العربي الاسلامي حاضرا وماضيا مجلة 15هـ، 21م، تونس العدد 14، 1987.

2 - نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص18.

3 - الكافية لابن الحاجب 223/2.

الشرطية إذ أن الزمن تحدده سلفا، أداة الشرط فالزمن عند النحاة الأوائل، ومن خلال التعريف المذكور لا يتحدد بالفعل وحده، وبعبارة أخرى فإن الفعل يظل قاصرا عن تحديد الزمن ما لم تساعده قرائن أخرى، أو يقع في سياق معين، وقد رأينا في فصل آخر من هذا الباب أن الأصوليين قد أنكروا دلالة الفعل على الزمن لأن الزمن عندهم صادر من صيغة الفعل لا من مادته، ومن ذلك أن صيغة الفعل الماضي -مثلا- ربما لا يحمل زمنا على الاطلاق، وذلك عندما يعبر عن نوايس لا تتخلف، أو اذا عبر فيها عن عادة، أو عريضة أو ما الى ذلك.

وآية ذلك أن كلمة "دل" في قولنا : "الفعل ما دل على حدث وزمان" لا تحدد زمنا فهو فعل بمثابة منزلة صفة للموصوف، ومن ذلك الأمثلة في قولهم : "استنوق الجمل" و "الصيف ضيعت اللبن" و "بلغ السيل الزبي".

فالأفعال "استنوق" و "ضيع" و "بلغ" على الرغم من أنها جاءت على صيغة الماضي، فإنها فقدت قيمتها الزمنية داخل سياق المثل. "لأن الأمثال ينبغي أن تؤخذ كما هي، وأي تعديل في صيغتها بالتقديم، أو التأخير، أو التبديل، أو الحذف، أو الزيادة يخرج مبنائها من المثل الى جملة خيرية" (1).

وعلى أية حال، فإن هذا التعريف المبكر، والتميز (والذي لم يلتفت اليه أحد من الذين اهتموا بدراسة زمن الفعل) يقترب كثيرا مما ذهب اليه الفقهاء والنحاة المحدثون على نحو ما سنرى في هذا الفصل والفصل الذي يليه.

على أن سيبويه هو أول من جعل الفعل يقترن بالزمن ويقسمه الى ثلاثة أقسام : ماض، وحال، واستقبال حيث يقول :

"وأما الفعل، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما

1 - راجع الزمن في النحو العربي للدكتور كمال ابراهيم بدري : 139/137.

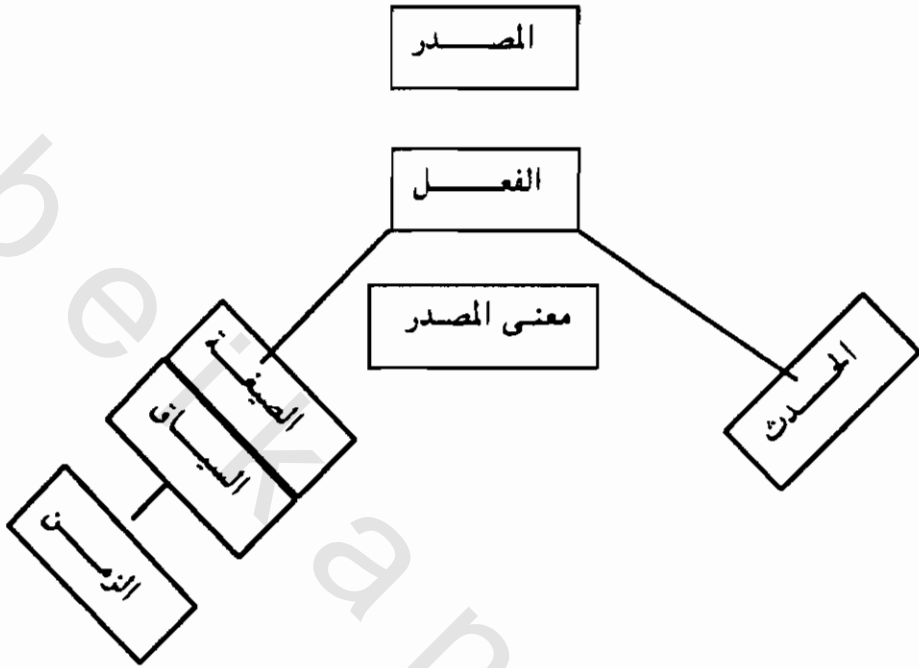
يكون. ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع" وهو كائن، اذا اخبرت(1). فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الاسماء، ولها أبنية كثيرة ولذلك نستخلص من تعريف سيبويه للفعل الاستنتاجات التالية :

- 1 - أن الفعل يدل بمادته على معنى المصدر (أي الحدث).
- 2 - أن صيغة الفعل هي التي تدل على الزمن، ولا تحدده كما توهم بعضهم.
- 3 - أن الازمنة ثلاثة : ماض، وحاضر، ومستقبل.
- 4 - أن بناء "فعل" دليل على أن الحدث وقع فيما مضى من الزمان.
- 5 - أن بناء "يفعل" يصلح للحال كما يصلح للاستقبال.
- 6 - أن بناء "افعل" ينصرف الى الاستعمال فقط.

وينبغي ألا يفهم من تقسيم سيبويه أن صيغة "فعل" تدل على الماضي فقط، وأن صيغة "يفعل" لا تدل الا على الحال أو الاستقبال، اذ يتضح من مؤدي هذا النص أنه يفرق بين التقسيم الصرفي، والتقسيم النحوي للفعل، وآية ذلك أنه يدرج الصيغ الفعلية في السياق ليتحدد منها بدقة يقول :

أما المستقيم الحسن، فقولك : أتيتك أمس وسأتيك غدا، وأما المحال : فان تنقص أول كلامك بآخره فنقول : أتيتك غدا، وسأتيك أمس.

والشكل التالي يوضح كيف يعبر الفعل عن الزمن (1) :



وبناء على ما قدمناه اشارة الى ارتباط الفعل بالقرينة والصفة والسياق
فسنحاول أن نعرض امكانات الصيغة الواحدة في التعبير عن أزمنة مختلفة.

أولاً : فعل :

أفردها معظم النحاة للدلالة على الزمن الماضي، وذلك باعتبار الوضع
والأصالة، إذ الدلالة على الزمن هي الأساس الذي تنوع من أجله أي أن "فعل"
تدل في صيغتها الافرادية على المضي، وتتلون بألوان زمنية عندما تندرج في
السياق، أو تعترضها عوامل التبديل من زمن الى زمن آخر، كأدوات النصب،
والجزم والشرط، وغيرها :

1. - الجدول مستوحى من الجداول المستعملة في : الزمن في النحو العربي لـ مالك يوسف المطليبي
وأقسام الكلام في اللغة العربية لاسماعيل محمد الخطيب.

قال سيبويه : "أما بناء ما مضى : فذهب وسمع ومكث وحمد. ثم قال : ان الفعل يتعدى الى الزمان نحو قولك : ذهب لأنه بني لما مضى منه، وما لم يمض. فاذا قال ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان، واذا قال سيذهب، فانه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان"(1).

والكسائي، وابن فارس يريان أن الفعل ما دل على زمان كخرج يخرج، دلنا بهما على ماض، ومستقبل(2).

وقال الزمخشري : "الفعل الماضي : هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك"(3).

وقال ابن الحاجب : الفعل الماضي ما دل على زمان قبل زمانك(4)

أما أبو العباس المبرد فيذهب الى أن صيغة فعل وضعت أصلا للدلالة على الزمان الماضي المطلق. ويقول : أما بناء فعل وما كان في معناه لما مضى ... قلت حروفه، أو كثرت نحو : ضرب وعلم، وكرم، وكل ما أحاط به من معنى فعل "وكذلك أن بنيته بناء ما لم يتم فاعله نحو ضرب ويخرج وسيخرج"(5)، فالتحاة متفقون على أن صيغة "فعل" إنما تدل بالاصالة على الزمن الماضي بصرف النظر عما يطرأ عليها من تفسير زمني من جراء دخول الأدوات عليها، أو عندما ندرج في سياق معين، وهي في كل هذه الاحوال خارجة عن الاصل الذي وضعت له والدليل على ذلك أن الكلام لا يستقيم في قولك : "أتيت غدا" باعتبار الغد ظرفا لما يستقبل من الزمان فان خرجت عن أصلها قبلت هذا الظرف تماما، كما تقبله صيغة "يفعل" اذ نستطيع أن نقول : ان خرجت غدا،

1 - الكتاب 1/12، 35.

2 - الصاحبى في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها : 85

3 - المفصل : 243.

4 - شرح الرضى على الكافية 2/224.

5 - المقتضب 2/2.

وجدت مبتغاك.

غير أن بعض الكتب النحوية المتأخرة قليلا، قد اهتمت بانصراف صيغة الماضي "فعل" عن الزمن الماضي الى الحال أو الاستقبال، فنهجت بذلك نهجا يوسع دائرة هذه الصيغة للتعبير عن عدة أزمنة فالرضي في شرح الكافية ينبه الى هذه الالتباسات التي تعرض لصيغة "فعل" عندما تدرج في السياق.

يقول : (قبل زمانك) : أي قبل زمان تلفظك به، لا على وجه الحكاية، وقولنا : لا على وجه الحكاية ليدخل فيه نحو : "خرجت" في قولك : «اليوم يقول زيد بعد غد خرجت أمس» فخرجت ماض، وان لم يدل ههنا على زمان قبل زمان تلفظك به لأنك حاك ... الى أن يقول : وأكثر ما يستعمل في الانشاء الايقاعي من أمثلة الفعل، هو الماضي نحو : بعث واشترت ... أما دعاء نحو : رحمك الله، وأما أمر كقول علي رضي الله تعالى عنه. أجزأ امرؤ قوله وآسى أخاه(1).

وينصرف اليه أيضا بالاخبار عن المستقبل مع القصد بوقوعها كقوله تعالى: «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار» (الاعراف 44/7).

فالرضي يطرح قضية أساسية في موضوع زمن الفعل ذلك أن أية لغة مهما أوتيت من المرونة والاحاطة لن تستطيع أن تتابع جميع الاحوال الزمنية التي يؤديها، فاللغة تبقى عاجزة عن تصوير الازمنة الادبية، والفلسفية بالصيغ وحدها، سواء كانت هذه الصيغ مجردة أم مركبة، فالازمنة فيها تتموج، وتتداخل، وتتقاطع، ولا مناص من الاعتماد كما قلنا على القرائن والادوات، والسياق الذي يرد فيه الفعل وهذا هو شأن القاعدة اللغوية في جميع الألسنة إذ أنها ليست جامعة مانعة، ومثالنا على ذلك : فاعلية الفاعل، إذ نجد كثيرا

1 - شرح الرضي على الكافية 225/2.

من النماذج التي لا علاقة فيها للفاعل الاصطلاحي بالفعل الحقيقي، وكل ما في الأمر أنه يستند اليه الفعل على سبيل الوصف، والتلبس، بل اننا نجد أمثلة للفاعل الاصطلاحي يتضمن فيها معنى المفعولية، ومع ذلك فان هذا الفاعل يفقد مصداقيته، ولا يفقد وظيفته ويكون علينا في هذا الحال أن ننشد المعنى الحقيقي من الجو العام للنص وليس من بنائه النحوي (الصرفي).

ومع ذلك فقد حاول اللغويون القدامى والمحدثون أن يرصدوا الاقسام الزمنية التي تؤديها صيغة فعل كما رصدوا الاقسام الزمنية لـ "يفعل" على نحو ما سنبينه.

فمن المعاني التي تتضمنها صيغة فعل :

1 - الدلالة على أن الحدث وقع في زمن ماضٍ مطلق، يستغرق الزمن الماضي كله، ويستوعب جميع مراحل القربة والبعيدة، وذلك عندما تأتي هذه الصيغة ضمن قرينة اخبارية مثل قوله تعالى : « أنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر، ثم عبس وسر» (المدر 22/74) الآية. ومنه قول امرئ القيس (طويل) ويوم عقرت للعذارى مطيتي.

2 - وقوع الحدث في الماضي عدة مرات نحو وقولك : بزغ الفجر اتفق العلماء الخ

3 - تأتي فعل للدلالة على الحال :

أ - اذا استعملت في الانشاء الايقاعي، نحو : "بعث" و "بعث" الانشائي وأبيع المقصود به الحال أن قولك : أبيع لابد له من بيع خارج حاصل بغير هذا اللفظ، نقصد بهذا اللفظ مطابقته لذلك الخارج فان حصلت المطابقة المقصودة، فالكلام صدق والا فهو كذب، فلهذا قيل : ان الخبر محتمل للصدق والكذب ... وأما بعث الانشائي فانه لا خارج له تقصد مطابقته، بل البيع يحصل في

الحال بهذا اللفظ، وهذا اللفظ موحد له، فلهذا قيل : ان الكلام الانشائي لا
يحتمل الصدق، والكذب (1).

ب - اذا اقترنت بطرف يفيد الحال نحو : «الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم
ضعفا» (الانفال/66/8) ونحو قوله عز وجل : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي» (المائدة/3/5).

ج - تأتي للدلالة على استغراق الازمنة الثلاثة (الاستمرار التجديدي) نحو
قوله تعالى : «حرمت عليكم الميتة، والدم ولحم الخنزير» (المائدة) ونحو قوله
تعالى : «كتب عليكم القتال وهو كره لكم» (البقرة/216/2).

ينصرف "فعل" للاستقبال :

أ - الانشاء الطلبي ، وذلك في الدعاء نحو قوله تعالى : «رضي الله عنهم
ورضوا عنه» (المائدة/119/5)، ونحو قولك : "رحمك الله" (2)

ب - اذا كان منفيًا بـ "لا" و "ان" في جواب القسم مثل : "والله لا فعلت"،
"والله ان فعلت" ونحو قوله تعالى : «ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من
بعده» (فاطر/41/35).

ج - بدخول "ان" الشرطية، ومع أغلب الأدوات التي تتضمن معناها "لأن"
العرب قد تضع وفعلنا "في موضع" نفعل" (3) قال الشاعر قعنب بن ضمرة
(بسيط) : ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا مني وما يسمعوا من صالح دفنوا،
في موضع يطيروا، ويدفنوا(4).

1 - شرح الرضي على الكافية 225/2.

2 - انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك.

3 - مجاز القرآن لأبي عبيدة 139/2.

4 - المصدر نفسه 177/1.

وقال الله تعالى : "ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك"
(البقرة 145/2) الآية.

أجيب "لئن" بما يجاب به "لو" ولو في المعنى ماضية ولئن مستقبلية :
ولكن الفعل ظهر فيهما بـ "فعل" فأجيبنا بجواب واحد وشبهت كل واحدة منها
بصاحبها (1).

د - مع "ما" النائية عن الظرف نحو قوله تعالى : «فأما الذين سعدوا ففي
الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض» (هود 107/11)

هـ - إذا وقعت في سياق اخبار عن الأمور المستقبلية مع قصد القطع بوقوعها،
مثل قوله تعالى : «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار» (الاعراف 44/7)
ونحو قوله تعالى «وسيق للذين اتقوا ربهم، الى الجنة زمرا» (الزمر 71/26)
قال الرضي : والعلة في الموضعين أنه من حيث ارادة المتكلم لوقوع الفعل
قطعا، كأنه وقع، ومضى ثم هو يخبر عنه(2)

يحتمل الماضي والاستقبال بعد :

أ - همزة التسوية لأنها تتضمن معنى الشرط عند أغلب النحاة نحو : سواء
على، أقمت، أم قعدت، لأنها تفيد ما كان منك من قيام أو قعود، أو ما يكون
منك من قيام أو قعود على أنه اذا كان الفعل بعد "أم" مقرونا بـ "لم" تعين
الماضي : «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» (البقرة 6/2) لأن
الثاني ماضي معنى، فوجب مضي الأول، لأنه معاد له(3).

قال سيبويه : وذلك قوله: «سواء عليكم أذعوتهم أم أنتم صامتون»

1 - معاني القرآن للفراء، 84/1.

2 - شرح الكافية 225/2.

3 - التسهيل لابن مالك وهمع الهوامع للسيوطي 9/1.

(الأعراف 193/7) بمنزلة أم صتم، وكذلك قوله تعالى : «استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم(1) (المنافقون6/63) وقال الفراء وقوله «سواء عليكم أدعوتهم أم أنتم صامتون ولم يقل أم صتم، وعلى هذا أكثر كلام العرب(2).

ب - مع كلما : أما دلالتها على الاستقبال، فتكون مع افادة الشرط معها في قوله تعالى : «كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا» (البقرة 25/2)، اذ تحتل "كلما" في هذه الآية معنى الماضي كما تحتل الاستقبال، وربما أفادت الاستمرار غير المقيد بجهة زمنية، فهي تفيد كل وقت(3)، وقد أفادت الاستقبال في قوله تعالى : «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها» (النساء 56/4).

ج - مع حيث فهي تدل على الماضي في قوله تعالى : «فأتوهن من حيث أمركم الله» (البقرة 222/2) وتدل على الاستقبال في قوله : «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام»(البقرة 149/2)، أما قوله تعالى : «واقتلوهم حيث ثقتموهم» (البقرة191/2)، فنقف ههنا على زمن حل أو حزم ويلزم منه عموم الأزمان(4).

د - يعد حرف التخصيص نحو قوله تعالى : «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية»(هود116/1) قد يبين الفراء أن هذا التركيب يفيد الماضي، كما يفيد الاستقبال فمن دلالاته على الماضي الآية السابقة لأنها في معنى : «لم يكن أحد منهم كذلك قليلا، أي هؤلاء كانوا ينهون فنجوا(5)»، ومن دلالاته على الاستقبال قوله تعالى :

1 - الكتاب (هارون 64/3).

2 - معاني القرآن للفراء 401/1.

3 - الاتقان للسيوطي 261/2.

4 - تفسير البحر لابن حبان ح 66/.

5 - معاني القرآن 30/2.

«فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة» (التوبة 9/122) اذ جاءت الآية في معنى الأمر "أي لينفر (1).

هـ - اذا وقع الفعل صلة لموصول عام مبتدأ، فمثال وقوعه ماضيا قوله تعالى: «الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم» (آل عمران 173/3)

ومثال دلالة على الاستقبال قوله تعالى : «الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم» (المائدة 24/5).

و - اذا وقع صفة لنكرة عامة، يحتمل الدلالة على الماضي كما يحتمل الدلالة على الاستقبال، نحو قوله صلى الله عليه وسلم : "نظر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها (2)

فعل مسبوق بـ "قد"

قد تستعمل لتقريب الماضي من الحال عند بعض النحاة تقول : قام زيد، فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد فاذا قلت قد قام زيد، اخصص بالقريب، وقد ذهب البصريون الى أن "قد" تدخل على الماضي الواقع حالا، سواء كانت ظاهرة في نحو قوله تعالى : «وقد اخرجنا من ديارنا» (البقرة 246/2) أم مقدرة في نحو قوله تعالى : «وجاؤكم حصرت صدورهم» (3) (النساء 90/4).

ويبدو أن بعض النحاة قد فهم من قول سيبويه : «اذا قلت قد فعل، فان نفيه لما يفعل» وقوله في موضع آخر وأما "قد" فجواب لقوله "للمل يفعل" قلت :

-
- 1 - معاني القرآن 30/2.
 - 2 - همع الهوامع للسيوطي 9/1.
 - 3 - الانصاف لابن الأثباري 253-252/1.

فهموا من هذين العبارتين، أنه قد عمم دلالة "قد" على الماضي القريب من الحال، والحقيقة أن سبويه لم يحصر المركب "قد فعل" في هذه الدلالة الزمنية، إذ بين في موضع آخر أن "قد فعل" يدل على زمن ماض فحسب يقول: "ألا ترى أن قولك قد ذهب بمنزلة قولك، قد كان منه ذهاب(1)، وعلى ذلك فإن "قد" مع فعل لا يختص بالماضي القريب، أو الماضي المنتهى بالحاضر فحسب، ولقد استقرأ الاستاذ حامد عبدالقادر بعض معاني "قد" في القرآن الكريم، وانتهى الى أنها كثيرا ما تفيد الماضي المؤكد(2)، مثل قوله تعالى: «يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك»(النساء153/4)، وقوله تعالى: «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات»(الاعراف101/7)، وقوله عز وجل «لقد جئتم شيئا ادا»(مريم89/19)، وقوله تعالى «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»(الاحزاب21/33) يقول الدكتور مهدي المخزومي: ألحقت العربية "قد" ببناء "فعل" ليدل المركب على معنى زائد على ما يدل عليه البناء المطلق نفسه، حين تأكيد وقوع الحدث وازالة الشك في وقوعه لكن لهذا المركب في الاستعمال دلالات أخرى غير ما ذكرت، وهي الدلالة على وقع الحدث في زمن قريب من الماضي(3)

ما فعل

في مثل قوله: «ما أغنى عنه ماله وما كسب» (المسند 2/111) وهي عند ابن هشام تشابه "لم" في دلالتها على النفي والزمن الماضي(4) أي أن "ما فعل" و "لم يفعل" يتوافقان دلاليا، وتستفاد هذه الدلالة الزمنية الواحدة للتركيبين من خلال الأمثلة التي ضربها سبويه في هذا الباب: "يقول الرجل:

1- الكتاب (هارون) 117/3.

2 - مقالة للدكتور حامد عبدالقادر مجلة المجمع اللغوي : ج 10.

3 - في النحو العربي نقد وتوجيه - 150.

4 - معنى اللبيب عن كتب الأعراب 315/1.

(أتاني رجل) يريد واحدا في العدد فيقال : (ما أتاك أحد) صار نفيا عاما لهذا كله(1).

ولكن النحاة المحدثين يميلون الى أن النفي بـ "لم" أكد من النفي بـ "ما"(2).
ويرجع بذلك استواء "ما" و "لم" في الدلالة على زمن ماض غير محدد، من ذلك قوله تعالى : «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى»(الانفال 17/8) ومنه قوله تعالى : «ولقد بوانا بني اسرائيل مبعوثاً صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفو حتى جاءهم العلم» (يونس 93/10) وقد لاحظ ابن هشام أن هناك ضربا من هذا التركيب لا يدل على زمن محدد مثل قوله تعالى : «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا»(مريم 31/19)، وقوله تعالى : ان أريد إلا الإصلاح ما استطعت»(هود 88/11) وقوله عز وجل : «فاتقوا الله ما استطعتم»(ابراهيم 16/14) وما هنا ليست للنفي، وإنما هي في حكم الأداة الظرفية الدالة على استغراق الزمن للفعل، لذلك سماها ابن هشام "ما الزمانية(3).

كان فعل

يكاد يتفق النحاة المحدثون على أن "كان" في هذا التركيب تدل على زمن أبعد في الماضي من "فعل" فهو تركيب يختلف اذن عن الماضي العادي، فقولنا : كتب الطالب تدل فيه "كتب" على أن الفعل ماض بسيط وقع في مرحلة زمنية متقدمة وكفى، أما قولنا : (كان كتب) فإن هذا التركيب يدل على أن الكتابة وقعت قبل الزمن الذي نتحدث عنه ومثال ذلك قولنا : (القطار كان انطلق عندما بلغت المحطة) ولقد وردت آيات كثيرة بهذا التركيب، وبالدلالة الزمنية نفسها قال تعالى : «فلولا كانت قرية آمنتم»(يونس 98/10)

1 - الكتاب (هارون) 55/1.

2 - أساليب النفي في القرآن لأحمد ماهر البقري 114/112.

3 - المغنى 315/1 وما بعدها.

فالتركيب المكون من "كان" و "آمن" يفيد زمنا ماضيا أبعد من زمن آخر، يفهم من سياق الآية نفسها، ومنه قوله تعالى : «وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزء لمن كان كفر» (القمر 14/5)، إذ لما كان الكفر قد حدث قبل النجاة، فقد عبر عنه بصيغة الماضي البعيد المكونة من فعلين : هما ماضي فعل الكيونة وهو "كان" والفعل المراد التعبير عنه في صيغة الماضي وهو كفر (أ) ومنه قوله تعالى : «ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل» (الاحزاب 15/33).

إن كان فعل

يلاحظ أن "كان فعل" جاءت هنا في سياق شرطي ومسبوقه بالأداة "إن" التي تصرف الماضي الى الاستقبال الا أن "كان" في هذا السياق تنمرد على ما ذهب اليه النحاة من اختصاصها بالماضي، وتحتفظ بدلالة زمنية خاصة فلا هي دالة على الماضي البعيد، كما رأينا عندما كانت مجردة، ولا هي دالة على الاستقبال لاختصاصها بالماضي دون غيره.

ولقد اضطرب النحاة في هذا التركيب اضطرابا كبيرا اذ أنهم يذهبون الى أن "إن" تقلب الفعل الماضي... الى المستقبل قلت : اضطربوا في ذلك لأن هذا التركيب يتضمن، أداتين مختلفتين، ومتضادتين في الاتجاه الزمني "فكان" تدخل على "فَعَلَّ" أو يفعل، فتعطيها معنى المضي و "إن" تدخل على التركيب "كان فعل" فتقلب معناه الى المستقبل.

لذلك نظر الفراء الى هذا التركيب، فألفى "كان" في المعنى وجعلها زائدة، أي أنه أعطى الغلبة لمعنى الشرط وزمن الاستقبال ... لأنك تقول : ان كنت

1 - معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم للأستاذ حامد عبدالقادر مجلة مجمع اللغة العربية ج10.

عطيني سألتك فيكون كقولك : إن أعطيتني سألتك(1).

أما المبرد، فيرى أن "إن" تقلب الماضي الى الاستقبال الا كان وحدها، فان أن لاتقلب ماضيها الى معنى الاستقبال ... لأنها كانها أصل في الافعال الماضية، فلم تقو "إن" على قلبها(2).

ويتابع الصبان الفراء في رأيه الملغى لأثر "كان" الزمني فيقول : "إن أدوات الشرط تقلب الماضي الى الاستقبال سواء في ذلك كان أم غيرها على الأصح(3).

أما الرضي الذي اهتم بالجوانب الزمنية في التراكيب فلم يفتحه أن ينبه الى أن كان للشرط في الماضي(4)، وهو رأى تأيده وتوضحه كثير من الشواهد القرآنية، مثل قوله تعالى : «ان كنت قلته فقد علمته»(المائدة 116/5)، ولانريد أن نقول بما ذهب اليه الفراء من أن "كان" مبعدة في المعنى الزمني، ولكننا نقول : ان "ان كان" هنا تعطي بعدا زمنيا خاصا لصيغة "فعل" فهو يشير الى حدوث الفعل الأول في وقت أبعد في الماضي من جواب الشرط.

وبعبارة أخرى : ان جواب الشرط ههنا يترتب على فعل أنقضى وانتهى أمره في هذا التركيب نحو قوله تعالى «قل ان كان كبير عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله تعالى فعلى الله توكلت»(يونس 71/10)، أي وقر في أنفسهم هذا الأمر قبل مخاطبة سيدنا نوح لكهم ومنه «وان كان كبير عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض»(الانعام 35/6).

«وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا

-
- 1 - معاني القرآن 5/2، 6.
 - 2 - الأصول لابن السراج 199/2.
 - 3 - حاشية الصبان 16/4.
 - 4 - شرح الرضي على الكافية 165/2.

فاصبروا» (الاعراف 81/7).

«وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين» (يوسف 27/12)
وليس يخفى أن الشاهد هنا.

يتحدث عن حادثة وقعت فعلا في وقت مضي، اذ قدّ القميص مرتبط
بالتهمة التي وجهت لسيدنا يوسف عليه السلام في وقت أسبق.

صيغة يفعل

تتميز صيغة "يفعل" بأن وجهتها الزمنية تتأثر في جانب كبير منها بالحركة
الاعرابية بخلاف صيغة "فعل" التي تبنى على حركة واحدة، ويتحدد زمنها
بالسياق أو بالقرينة التي تسبقه، أو تلحقه، وقد أشار سيبويه الى هذه العلاقة
بين "يفعل"، والزمن يقول: فلو قلت اذن أظنك تريد أن تخبره أن ظنك سيقع
لُنصب، وتقول اذا حدثت بالحديث اذن أظنه فاعسلا، واذن إخالك كاذبا، وذلك
لأنك تخبر أنه تلك الساعة في حالة ظن وخيله، فخرجت من باب أن لأن الفعل
لم يجز ذا في أخواتها التي تشبه بها جعلت بمنزلة "انما" (1)، ويعدده ابن مالك
الأدوات التي تحدد زمن المضارع بما في ذلك العاملة التي تكون فيها الحركة
الاعرابية علامة على وجهه زمنية معينة، يقول: "والأمر مستقل أبدا،
والمضارع صالح له وللحال، ويتخلص الاستقبال بظرف مستقبل، وباسناد الى
متوقع، وباقتضائه طلبا، أو وعد أو بمصاحبة ناصب أو أداة ترج، أو اشفاق، أو
مجازاة، أو لو المصدرية، أو نون التوكيد وينصرف الى الماضي بلم ولما الجازمة
ولو الشرطية غالبا (2).

1 - كتاب سيبويه 16,15/3.

2 - التسهيل ص 5,4 الكتاب 117/3 والصاحبي لابن فارس 255.

"يفعل" دالة على الزمن الماضي

1 - مع "لم" و "لما" ينقلب من الفعل المضارع الى الماضي مع هذين الأداةين مع فرق في المدى الزمني بينهما لأن "لم" تنفي الفعل في الزمن الماضي مطلقا و "لما" النافية في الزمن الماضي المستمر الى زمن التحدث(1) ويرى بعض النحاة أن "يفعل" مع "لم" تركيب يدل على الزمن الماضي ويستمر معناه الى الحال،، فمثال المستمر قوله تعالى : « قل هو الله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد»(سورة الاخلاص 3,2,1/112).

وهذا التركيب يحتمل اتصال الزمن كما يحتمل انقطاعه فمثال الاتصال قوله تعالى على لسان النبي زكريا عليه السلام «ولم أكن بدعائك رب شقيا»(مريم 4/19).

ودليلهم في ذلك أنه يجوز ذلك أن تقول لم يكون ثم كان، ولا تقول ذلك في لما مع يفعل.

أما "لما" فهي نفي للماضي المتصل بالحال في أغلب أقوال النحاة، وفي أغلب استعمالاتها مثل قوله تعالى : «ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم»(البقرة 142/2) وقوله عز وجل «ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم»(البقرة 214/2) وقوله تعالى «قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم» (الحجرات 14/49) ونحو قول الشاعر...

ان كنت مأكولا فكن خير آكل
والا فأدركني ولما أمزق(2)

2 - مع، اذ

"اذ يفعل" تركيب يدل على الزمن الماضي عند اغلب النحاة "واذا فيما

1 - الجنى الداني في حروف المعاني بلمرادي : 268.

2 - انظر حاشية الخضري 120/2 والمغني 278/1، 279.

يستقبل بمنزلة اذ فيما مضى "اد" اسم للزمن الماضي وهو الغالب... ولا يكون الا ظرفا(1) نحو قوله تعالى : «واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك»(الاحزاب33/37) ونحو قوله تعالى «ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا»(البقرة2/165).

يفعل خبرا لكان

تدل "يفعل" اذا كانت مسبوقه بـ "كان" على أن الحدث كان مستمرا في الزمن الماضي(2). قال القراء، كان، انما خلقت للماضي(3). من ذلك قوله تعالى : «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه»(المائدة 79/5) وقوله تعالى «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»(الاحقاق 34/46) قال الأخفش الأوسط وهو يفسر قوله تعالى «ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون» "أدخل كان ليخبر أنه فيما مضى ويضيف الدكتور مالك يوسف المطلق أن "كان" في الاستعمال القرآني، تفيد الاستمرار في الماضي، فيما يكون عادة أو يكون حالة عامة(4) نحو قوله تعالى «بما كنتم تعملون» والمائدة 105/5). وقوله «كنتم توعدون»(الانبياء 103/21).

كاد يفعل

ان تحليل المركب "كاد يفعل" خصوصا في القرآن الكريم يفضى الى أن هذا المركب يفيد اقتراب وقوع الفعل كما يقول الجرجاني(5). من ذلك قوله تعالى «ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لو أن صيرنا عليها»(الفرقان 42/25) وقوله عز وجل «ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها»(القصص 10/28).

1 - الانتقان 146/1، والجني الداني في حروف المعاني 187، 188.

2 - الفعل زمانه وأبنيته للدكتور ابراهيم السامرائي : 30.

3 - معاني القرآن 180/1.

4 - معاني القرآن : 27 والزمن واللغة 248.

5 - دلائل الاعجاز، 252.

ولكنها عندما تأتي منفية تأتي اثباتا لوقوع الفعل في نحو قوله تعالى :
«فذبوحوا وما كادوا يفعلون»(البقرة 71/2). أي أنهم هموا بألا يذبوحوا، أو
هموا بعد لأي ومجاهدة(1) للنفس.

يفعل في الحاضر

يلزم الفعل المضارع "يفعل" الزمن الحاضر في الغالب اذا كان مجردا من أية
علامة، أو قرينة خاصة بالاستقبال. وهذا مذهب كثير من قدامى النحاة وبعض
النحاة المحدثين(2) وقد وردت هذه الصيغة معبرة عن الحال في سور كثيرة من
القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى : «ودخل معه السجن فتيان، قال أحدهما
اني أراني أعصر خمرا، وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير
منه»(يوسف 36/12) وقوله تعالى «قال رب السجن أحب الي مما يدعونني
اليه»(يوسف 32/12) وقوله عز وجل : «اني أخاف أن يبدل دينكم»(غافر
26/40) وقد تأتي "يفعل" في القرآن الكريم حاكية للحال، وكان المخاطب
موجودا في ذلك الزمن الماضي. من ذلك قوله تعالى : «وترى الشمس اذا
طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين»(الكهف 17/18) ومنه قوله تعالى : «اذ
يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا»(التوبة 40/9) وقد تجرد يفعل من قرائن
زمن الاستقبال للدلالة على :

1 - حقيقة ثابتة نحو «تدور الأرض حول الشمس» حيث الفعل عار من الزمن
في هذا المثال. ومنه قوله تعالى «يولج الليل في النهار»(الحج 61/22).

2 - أن الحدث لا يقع في زمن خاص نحو قوله تعالى «الذين يؤمنون بالغيب
ويقيمون الصلاة»(البقرة 2/2). وقوله تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين

1 - البحر المحيط لأبي حيان 258/1, 396/4.

2 - انظر على سبيل المثال : الأصول في النحو لابن السراج 4/1 والتسهيل لابن مالك 50. والزمن
في النحو العربي للدكتور كمال بدري : 186 وما بعدها.

أتعسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون».

3 - عن حقيقة علمية نحو : يرفع الفاعل وينصب المفعول (1)

يفعل دالة على الاستقبال

ينصرف "يفعل" للزمن المستقبل بالأدوات التالية :

1- مع أدوات نصب المضارع نحو قوله تعالى «فان لم تفعلوا ولن تفعلوا» (البقرة 24/2). وقوله تعالى : «أني أريد أن أنكحك احدي ابنتي» (القصص 27/28)، وقوله عز وجل «لن نبرح عليه عاكفين» (طه 91/20) وقوله تعالى : «وما كان المؤمنون لينفروا كافة» (التوبة 122/9)

قال سيبويه : اعلم أن هذه الافعال (المضارعة) لها حروف تعمل فيها فتنصبها ويكون الفعل بعدها غير واقع وليس في حال حديثك (2).

ويقول ابن مالك : يخلص المضارع للاستقبال بظرف مستقبل وباسناد الى متوقع، وبصاحبة ناصب (3).

2- مع أدوات التخصيص مثل : هلا، لولا، لوما، ألا، تصرف المضارع للاستقبال "كما تضمنته هذه الادوات من معاني التخصيص، والحث (4) من ذلك قوله تعالى : «ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون» (الحجر 7/15).

1 - يراجع في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي 276 والفعل زمانه وأبنيته للدكتور ابراهيم السامرائي 32-33 و :

Dictionnaire de Linguistique, Jean du Bois et autres, Librairie - LAROUSSE 1974.

L'archite. Otonique du temps dans les langues classique Page 11-17. -

2 - الكتاب 5/3, 16.

3 - التسهيل لابن مالك : 5.

4 - الكتاب 35/3.

3- مع خبر متوقع حدوثه في المستقبل.

وذلك من خلال قرينة توحى بانتظار الوقوع في مثل قوله تعالى «ومن يعمل من الصالحات من ذكرا وأُنثى وهو مؤمن فأُولئك يدخلون الجنة» (النساء /124 94) ونحو قوله عز وجل «يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها» (النحل /111 16) وكذلك إذا استند الى ظرف مستقبل كغد وما في معناها(1).

4- مع الأمر أو الطلب أو ما في معناهما.

فمثال الأمر قوله تعالى «فيذلك فليفرحوا» (يونس 58/10) قال سيبويه فان أردت أن تجعل هذا الفعل أمرا اذا دخلت اللام وذلك قولك انته فليحدثك(2) ومثال النهي، قوله تعالى «لافتتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب»(طه 61/20).

5- مع نوني التوكيد

يتخلص "يفعل" للاستقبال، اذ اقترن بنوني التوكيد سواء كانا خفيفين، أم ثقيلين، قال الرضى ويتخلص المضارع للاستقبال بنوني التوكيد، ولام القسم اذا لثلاثة توكيد، فمثال نون التوكيد الثقيلة قوله تعالى : «كلا لينبذن في الحطمة»(الهمزة 4/104) ومثال الخفيفة قوله تعالى «كلا لتسفعا بالنأصيّة»(العلق 15/96) ولذلك لا يلحق نونا التوكيد "الا المضارع الخالي من حرف التنفيس(3) باعتبار أنهما أداتا تعبير عن المستقبل. ولقد ذهب مصطفى المشويحي الى أن المضارع الملحق بنون التوكيد في قوله تعالى : «لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا»(طه 97/20) للمستقبل القريب(4)

1 - التسهيل : 5، والمغني 172/1.

2 - الكتاب 35/3.

3 - شرح الكافية 231/2 والتسهيل لابن مالك : 216.

4 - Le verbe dans le Coran- par Mustapha Chouemi P.85. - 4

مستأنسا في ذلك -فيما يبدو- بشرح المفسرين العام لموضوع هذه الآية(1).

6- مع الأدوات الدالة على التمني والترجي.

فالتمنى، في نحو قوله تعالى : « يا ليتنا نُردّ » (الانعام 27/6)، وقوله تعالى : « يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما » (النساء 73/4). ومثال الترجي قوله تعالى : « فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » (البقرة 216/2) وقوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (النساء 19/4). وقوله عز وجل : « يا ها مان ابن لي صرحا لعلّي أبلغ الاسباب أسباب السموات » (غافر 36/40)(2).

7- مع ادوات الشرط

جملة الشرط تركيب يتكون من الأداة، وجملة الشرط، وجواب الشرط، والأداة هي التي تصرف المضارع الى الاستقبال، كما تصرف الماضي الى الاستقبال(3) أو النقل، وهي تلعب دورا أساسيا في ذلك باعتبار ما للسياق من دور هام في توجيه المعنى الزمني وتوضيحه. وتقل صيغ المضارع التي تصرفها أداة الشرط الى الاستقبال في القرآن الكريم، بينما نطرد فيه دلالاتها الزمنية العامة ومن صيغ "يفعل" تحولت للاستقبال قوله عز وجل : « وإن تطيعوه تهتدوا » (النور 54/24) وقوله تعالى « ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم فيها خاضعين » (الشعراء 4/26) وقوله تعالى : « وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ اليهن وأكن من الجاهلين » (يوسف 33/12). ووجه الكلام -كما ظن النحاة- أن تدخل أداة الشرط على فعلين مضارعين، لأن المضارع أقرب للاستقبال من الماضي، فاذا قلت " أن تفعل " فأحسن الكلام أن

1 - انظر على سبيل المثال. البحر المحيط لابن حيان 276/6.

2 - وانظر التسهيل 59 والمغني 276,151/1.

3 - المصدر نفسه 271,22/1.

يكون الجواب "افعل" (1) ولكن رصد التراكيب الشرطية في القرآن الكريم لا ينتهي الى ما ذهبوا اليه اذ أن أغلب الافعال المضارعة الموالية لأداة الشرط في القرآن الكريم كما قلنا تدل على زمن عام يستغرق الأزمنة الثلاثة، بل إن بعض الافعال المضارعة الشرطية في القرآن الكريم نجدها أدخل في الزمن الماضي منها الى الحال، أو الاستقبال مثل قوله تعالى : «ان لم تفعلوا ولن تفعلوا» (البقرة 24/2) وقوله تعالى : «ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله» (آل عمران 140/3) وقوله تعالى : «إلا تنصروه فقد نصره الله» (التوبة 40/9) وقوله أيضا : «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل» (يوسف 77/12) اذ يكاد يتفق المفسرون على أنها أفعال ماضية المدلول قال الزمخشري وهو يشرح الآية : «الا تنصروه فقد نصره الله جوابا للشرط. قلت فيه وجهان : أحدهما : الا تنصروه فينصره الله من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد..... الثاني أنه أوجب له النصر، وجعله منصورا في ذلك الوقت(2) فلن يخذله من بعده ولقد حاول النحاة تقدير جواب للشرط يوائم ما تواتر عليه من أن أداة الشرط تقلب الماضي والمضارع الى الاستقبال(3).

ولكن السياق الذي وردت فيه هذه الايات لا تسمح بنقل أفعالها من ماضيها الواضح.

غير أننا نجد أن بعض النحاة المحدثين أنكروا أن يكون الفعل الشرط دلالة على معنى الاستقبال أو على غيره وقوله : ولاعبرة بما يدعيه النحاة من دلالة فعل الشرط على معنى الاستقبال فانهم انما استنتجوه ... من كون الفعلين معلق أحدهما على الآخر. والتعليق في ظاهرة أمر يدل على عدم الوقوع ..

1 - كتاب 91/3 ومعاني القرآن للفراء 58/1 والتعبير الزمني عند النحاة العرب للدكتور بوخلخال. 98/1.

2 - الكشاف للزمخشري 190/2.

3 - راجع آراء النحاة والمفسرين في الدلالة الزمنية للتركيب الشرطي في أساليب الشرط في القرآن الكريم للدكتور عبدالله محمد آدم 246-251.

والفرق واضح بين قولك، أريد أن أزورك في دلالته على معنى الاستقبال وقولك أن تزرنني أزرك في أن الفعلين ليس مخبرا بهما عن الوقوع في أي من الأزمنة (1).

والخلاصة : أن الأدوات الشرطية لا تحدد زمن الفعل تحديدا ما فقد يدل الفعل معها على الماضي، وهو مضارع، وقد يبقى على مضيه وقد يصرف إلى الاستقبال كل ذلك يتحقق وفق السياق الذي يرد فيه هذا التركيب. أما ان التركيب الشرطي خلو من الزمان لأن أفعالها خالية من الأحداث (2) فاستنتاج خارج عن نطاق اللغة ويعيد عن طبيعتها، وتتضح التأثيرات الزمنية لأداة الشرط في تنوع الزمن داخل الجملة الشرطية ولو كانت الجملة الشرطية خالية من الزمن لما شعرنا بهذا التنوع (3).

مع ادوات النفي والنهي

يخلص المضارع للاستقبال أحد حروف النفي عند أغلب النحاة قال المبرد وهو يتكلم على "ما" النافية "إذا وقعت على فعل نفيه مستقلا" (4). على أن أداة النفي "ما" غير مختصة بالاستقبال وحده. فقد تدخل على الحال في قوله تعالى: « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم » (الأحقاف 9/46) وأدوات النفي كلها غير مختصة بالاستقبال، لذلك كان لها أكثر من علامة (5).

ومن الشواهد القرآنية التي جاء النفي فيها مستقلا قوله تعالى : « ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم » (البقرة 95/2) « ولا أعصي لك أمرا » (الكهف 69/18).

1 - نحو الفعل لأحمد عبدالستار الجوارى : 52.

2 - في النحو العربي للدكتور مهدي المخزومي : 29.

3 - التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر للدكتور مالك يوسف المطلي : 421.

4 - المقتضب 1/155.

5 - في الزمن في النحو العربي للدكتور كمال بدري : 168.

وكما يتعين المضارع للاستقبال مع أدوات النهي في نحو قوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرون أولياء من دون المؤمنين » (النساء 144/4).

وقوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم » (المنافقون 9/63). قال السيوطي : الوجه الثاني أن يكون لطلب الترك فتختص بالمضارع، وتقضي جزمه، واستقباله سواء كان نهياً نحو : « لا تتحذوا عدوِّي وعدوكم أولياء » (المتحنة 1/60) و « لا يتخذ المؤمنون الكافرون » (آل عمران 28/3) و « لا تنسوا الفضل بينكم » (البقرة 237/2) أو دعاء نحو « لا تؤاخذنا » (البقرة 286/2)(1).

مع السين وسوف

السين و "سوف" لا يدخلان الا على "يفعل" ليتحول زمنها الى الاستقبال. قال سيبويه، "اذ قال : سيذهب، فإنه دليل على أنه يكون فيما نستقبل من الزمان(2). أما سوف فهي كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد(3) وهي "للتأخير والتنفيس والأناة(4)، أما أن تكون "سوف" أوسع زماناً من السين نظراً الى أن كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى فليس بمطرده(5) والامثلة القرآنية التي نسوقها تبين أن السين وسوف كليهما يدلان على الزمن البعيد والقريب من ذلك قوله تعالى : « سيغلبون في بضع سنين » (الروم 3/30) و « سيعملون غداً من الكذاب الأشر » (القمر 26/54) وقوله عز وجل « سأصيئه سقر » (المدثر/26 54)، وقوله « سنسمه علي الخرطوم » (يوسف 98/12) وقوله سبحانه وتعالى: « سوف نصلبهم ناراً » (النساء 56/4) و « كلا سوف يعلمون ثم كلاً

1 - الاتقان 1/171.

2 - الكتاب 1/35.

3 - المصدر نفسه 4/233.

4 - معنى اللبيب لابن هشام الانصاري 1/139.

5 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 2/147.

سوف يعملون» (النساء 4/78) و «سوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما»
(النساء 146/4).

ونلاحظ أن الأمد يطول ويقصر مع كلا الحرفين وقد ذهب القرطبي الى أن
السين قد تقلب الفعل ماضيا وأشاروا الى قوله تعالى : «سيقول السفهاء من
الناس ما ولاهم عن قبلتهم»(1) (البقرة 142/2).

قال : وسيقول بمعنى :قال" جعل المستقبل موضع الماضي دلالة على استدامة
ذلك، وأنهم يستقرون على ذلك القول(2). وليس معنى ذلك أن السين فقدت
دلالتها في هذا الموضوع، ولكن الذي منح الفعل هذه الدلالة هو السياق، أي
أن السياق الذي وردت فيه الآية هو الذي أضفى على الفعل هذه الدلالة
الزمنية من ذلك قوله تعالى في سورة سيدنا يوسف، على لسان اخوته «قالوا
سنراود عنه أباه وأنا لفاعلون» (يوسف 61/12)، اذ نجد أن "سنراود" فيها
دلالة استقبال بالنسبة لزمن القول، ولنها ماضية بالنسبة لزمن القصّ.

الدلالة الزمنية الذاتية للأفعال الناقصة

رأينا أن الأفعال تدل بمادتها على الحدث وبصيغتها على الزمن لأن الفعل
عندهم لفظ يدل على معنى في نفسه، ومعرض بينيته للزمن(3).

ولما كانت هذه الأفعال تفتقر الى الحدث، وتمتع بطاقة زمنية مميزة، كانت
جديرة بالنظر في دلالتها الزمنية، عندما تكون صيغتها منفردة (كان مثلا) اذ
أنها كثيرا ما تنفرد بتحديد جهة زمنية دون أن تقترن بفعل آخر، أي عندما

1 - الجامع الأحكام القرآن للقرطبي 147/2 أنظر أيضا كتاب : التطور اللغوي !! رمضان
عبدالتواب.

2 - المقرب لابن عصفور 45/1.

3 - أنظر على سبيل المثال : شرح الكافية للرضي 293/2-300.

يكون مبتدأها، وخبرها اسمين. من ذلك كان في قوله تعالى : « كان الناس أمة واحدة » (النساء 213/4) وقوله تعالى : « وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين » (التحریم 10/66) حيث يلاحظ أنها وهي داخلة على الجملة الاسمية تفيد معنى الماضي عندما تأتي في سياق سرد الأخبار السالفة على نحو ما تبينه الآيات السابقة كما تفيد الأزل ولا ترتبط بزمن معين في مثل قوله تعالى : « وكان الله غفورا رحیما » (النساء 151/4) فمن الواضح أن كان هنا ليس لها زمن محدد : وصفات الله تعالى ليست حادثة، وليس لها أول، وليس لها آخر(1).

ومن ذلك أصبح وأمسى في نحو قوله تعالى : « فاصبح هشیما تذرؤه الرياح » (المائدة 30/5) وقوله عز وجل : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » (الروم 17/30) وليست لهذه الافعال الاخيرة دلالة مباشرة على الزمن، فهي تدل فقط على استغراق الاصبح والمساء والتحول من حالة الى حالة أخرى(2).

ومن ذلك مادام في قوله تعالى : « ما دامت السموات و الأرض » (هود 170/11) وقوله عز وجل انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ويفهم من كلام الرضى(3).

ان "أما دام" تأتي لتفيد الفعل بقدر ثبوت مصدر خبرها واكتسابه لفاعل ذلك المصدر (أي ثبوت صفة الاجتهاد في زيد في قولنا يصلح زيد ما دام مجتهدا).

1 - أنظر على سبيل المثال شرح الكافية للرضي 293/2-300.

2 - الزمن في النحو العربي 83-103 للدكتور كمال بدري.

3 - شرح الكافية للرضي 293/2 وللإطلاع على دلالات كان وأحواتها.

أنظر : الكتاب 454 والتسهيل لابن مالك 53 والتعبير الزمني عند النحاة العرب للدكتور عبدالله بوخلخال 115/2-153.

صيغة فعل الامر "افعل"

يمكن أن نستخرج من تعاريف النحاة لفعل الأمر معنى عاما بجمع بينهما هو "طلب حدوث فعل، أو تركه بصيغة مخصوصة" فاذا كان الأمر صادرا من الأعلى الى من دونه فهو أمر، وان كان من النظير الى النظير، فهو طلب، وان كان من الأدنى للأعلى مقبل له دعاء، وانما اختلفت التسمية لاختلاف المخاطبين بهذه اللفظة، لأنك تستقبح أن تقول : أمرت والذي كما تستقبح سألت غلامي.

اصل الصيغة وزمنها

أدرك النحاة أن تحديد أصل الصيغة يفضي الى طبيعته ودلالته الزمنية. فقد ذهب الكوفيون الى أن ما اصطلح على تسميته بفعل الأمر، ماهو الا مضارع، حذفت منه الدالة (لام الأمر) مستبدلين في ذلك على ما ورد في القرآن الكريم في قراءة منسوبة لسيدنا عثمان بن عفان وهي قوله تعالى : «فبدلك فلتفرحوا» (يونس 58/10) وقوله صلى الله عليه وسلم : «ولتقوموا الى مصافكم» يريد حذو مصافكم قال الفراء : "الا أن العرب حذفت اللام من فعل الأمر لكثرة الأمر خاصة في كلامهم، فحذفوا اللام، كما حذفوا التاء من الفعل، وأنت تعلم أن الناصب والجازم لا يقعان الا على الفعل الذي أوله الياء، والتاء، والنون، والألف فلما حذفت التاء ذهبت باللام، وحذفت الألف في قولك «اضرب» و"واخرج" لأن الضاد ساكنة، فلم يستقم أن تستأنف بحرف ساكن، فأدخلوا ألفا يقع بها الابتداء(1). اصطلاح على تسميته بفعل الأمر عند الفراء. ما هو الا فعل مضارع حذفت منه التاء لكثرة الاستعمال، أي أن صيغة فعل الأمر لا تختلف من حيث الدلالة عن المضارع في شئ وانما هي هو لذلك تنسحب عليها الخصائص الزمنية للفعل المضارع وينصرف زمنها للاستقبال.

1 - معاني القرآن للفراء 469/1.

فقط على مذهب الكوفيين الذين يقسمون الفعل الى ثلاثة أقسام : ماض، ومستقبل وهو المضارع، ودائم هو اسم الفاعل أما البصريون فهم يرون أن فعل الأمر بناء اشتق من المضارع وذلك بحذف حرف المضارعة من المضارع، وإضافة قسم قائم بذاته وإنما أصبح دالا على الاستقبال عندهم لأنه "بناء ما لم يقع" على عبارة سيبويه (1)

وسواء أصاب أحد الطرفين أم جانبه الصواب، فإن هذه الصيغة قد أبعدها الاستعمال عن طبيعة فعل المضارع واتخذت دلالة خاصة بها. ولعل أبرز ما يميزها عن صيغتي "فعل" و "يفعل" أنها لا تكون إلا للانشاء

زمن الصيغة كما يحدده الاستعمال اللغوي

اختلف النحاة في دلالة فعل الأمر على الزمن، كما اختلف المتفقون على دلالاته الزمنية في القسم الزمني الذي يدل عليه.

فخلو صيغة فعل الأمر من الدلالة على الزمن رأى آثاره متأخرو النحويين متبعين في ذلك رأى بعض الأصوليين (2)، لأن الفعل عندهم يتميز بشيئين : أولهما : أنه مقترن بالدلالة على الزمن، وثانيهما أنه يبني على المسند، اليه، ويحمل عليه، وقد وجد أن بناء "افعل" خلو من هاتين الميزتين (3) وهو رأى يستند على عدم تلبس صيغة فعل الأمر بالفعل الحقيقي وعدم مصاحبة الحدث للفعل. ففعل الأمر عندهم هو طلب موجه للمخاطب للقيام بهذا الفعل فهناك فاصل زمني ومعنوي بين تلفظك بأداة الطلب التي هي فعل الأمر، وبين حدوث الفعل على وجه الحقيقة وهو رأى على الرغم من وجاهته الظاهرية فإنه لا يمنعنا

1 - حول الخلاف بين البصريين والكوفيين في بناء فعل الأمر انظر الأنصاف للأباري 542/2-549
وحول دلالة فعل الأمر على الاستقبال انظر المتاب 12/1.

2 - على نحو ما هو مفصل في الفصل الخاص بالنحو عند الأصوليين.

3 - في النحو العربي للدكتور مهدي المخزومي ص120.

من مناقشته من وجوه :

أولهما : أن مسألة مصاحبة الحدث لتلفظ الفعل أمر يحدثه السياق الذي يوجه فيه الخطاب تستوي في ذلك الصيغ الثلاثة، والسياق هذا، ليس من السهل ضبطه أو تحديده، أو حتى مجاراته «اذ السياق» سياقات، كل واحد ينضوي تحت سياق آخر ولكل واحد وظيفة لنفسه وهو عضو في سياق أكبر، وفي كل السياقات الأخرى، وله مكانه الخاص" (1)

ثانيهما : أن فعل الأمر، كثيرا ما يأتي مقترنا بالحدث منضويا في الظرف الزمني الذي وقع فيه الحدث من ذلك قوله تعالى : «إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» (يس82/36) وقوله عز وجل : «يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم» (الانبياء 69/21) وقوله تعالى : «فقال لها وللأرض أتيانا طوعا، أو كرها قالتا أتيانا طائعين» (فصلت11/41). ومن أمثلتنا على ذلك قولك : رأينا الوالد يدفع ابنه الى الداخل قائلا له "ادخل" فليس هناك أوضح من هذه الأمثلة على تحقق الحدث مع الفعل في زمن واحد. على أنه ليس من شأن اللغة -أية لغة- ولا من طبيعتها أن تتابع الحدث، وقع، أم لم يقع، ولعل هذا ما كان يرمي اليه ابن مضاء القرطبي عندما ذهب الى أن الافعال، انما هي افعال الله سبحانه وتعالى وانما تنسب الى الانسان على سبيل المجاز فقط(2)

أي أن تحقق أحداث الافعال خارج عن نطاق الانسان وعن اللغة.

ثالثهما : أن فعل الأمر يأتي بلفظ الخبر في مواضع كثيرة في القرآن الكريم نحو قوله تعالى : «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» (البقرة2/233) و «المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء» (البقرة2/228)

1 - دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان ترجمة كمال بشر ص61.

2 - الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي : 69-70.

فأين تدرج مثل هذه الصيغ (وهي أمرا) فهل نضعها في قائمة الصيغ الدالة على الحدث لا لشيء، الا أنها جاءت على صيغة الفعل المضارع.

وكما يأتي الأمر بلفظ الخبر، يأتي الخبر بلفظ الأمر في قوله تعالى : « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا » (مریم 75/19) أي فيمد، إذ يعتبرها المفسرون فعلا مضارعا جاءت على صيغة الأمر(1) وهذا شاهد آخر يجعلنا نقول مطمئنين إن شكل الصيغة ليس مستولا عن تجريد الفعل من الحدث، أو هي دلالة الزمنية سواء كان شكلها ماضيا، أم مضارعا، أم أمرا. والدليل على ذلك أن الأمر قد يستغرق الأزمنة الثلاثة في قوله تعالى : « يا أيها النبي اتق الله » (الاحزاب 1/33) إذ جاء "اتق" ههنا حثا على الاستمرار في التقوى ودوامها(2). كما يقول المفسرون ومن الدلالات الزمنية لفعل الأمر.

1 - الدلالة على المستقبل بغير تحديد نحو قوله تعالى : «واقصد في مشيك واغضض من صوتك» (لقمان 19/31) ونحو قولك "استقم".

2 - الدلالة على المستقبل المتجدد نحو قوله تعالى : «كلوا واشربوا حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود» (البقرة 187/228).

3 - المستقبل المتوقع حدوثه قريبا نحو قوله تعالى : «إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسيح بحمد ربك» (النصر 1/110-3).

4 - الدلالة على وقوع حدث أريد أن يتم بصيغة الأمر مثل قوله تعالى : «يا أيها المدثر قم فانذر» (المدثر 1/74) وقوله «قلنا اهبطوا منها جميعا» (البقرة

1 - همع الهوامع للسيوطي 16/1.

2 - البحر المحيط لابن حيان 210/7.

وفحوى هذه الدراسة المجملة لزمن فعل الأمر أن زمن "افعل" يحدده السياق والقرائن الزمنية التي تصحبه، شأنه شأن الصيغ الأخرى، فكما أن الصيغتين: فعل" و "يفعل" تدلان على أزمنة نسبيه، وأحداث اعتبارية كما رأينا في مقدمة هذا الفصل فان "افعل" لا تشذ عن هذه الخصائص اليس هو قسيم الفعل المضارع، كما يذهب البصريون؟ بل، أليس هو الفعل المضارع منقوصا منه لام الأمر، كما يرى الكوفيون؟ فلم لا يكون له ما للمضارع من امكانات تعبيرية زمنية وغيرها.

2 - انظر في هذا الموضوع : نتائج الفكر للسهيلي 144-147. والزمن في النحو العربي للدكتور كمال ابراهيم بدري 214-226.

الباب الثاني

الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية المجردة

obeikandi.com

الفصل الأول

فعل

* فعَلَ دالة على الماضي.

* فعَلَ دالة على الحاضر.

* فعَلَ دالة على الزمن العام.

* فعَلَ في سياق المستقبل.

الدالة الزمنية للصيغ الفعلية المجردة

الفصل الأول : فعل

رأينا في الباب السابق، أن صيغة "فعل" تدل على الماضي باعتبار الوضع والأصالة، وأنها تنصرف الى أزمنة مختلفة عندما تدرج في السياق، أو تعثرها عوامل التبديل من زمن الى زمن آخر، كأدوات النصب، والجزم، وغيرها وعندما نحاول أن نرصد الدلالات، الزمنية لـ "فعل" المجردة في القرآن الكريم نجد أنها لاتكاد تشد عن ذلك، اللهم الا ما تفيده أحيانا من دلالات زمنية خارجة عن نطاق أقسام الزمن، على نحو ما سنرى. ولقد رأينا أن ندرس هذه الصيغة في القرآن الكريم على النحو التالي :

- 1 - دلالتها على الماضي
- 2 - دلالتها على الحاضر، أو القرب من الحاضر.
- 3 - دلالتها على الاستقبال
- 4 - دلالتها على الزمن العام

فعل دالة على الماضي

وذلك عندما تأتي للتعبير عن مراحل زمنية مضت وانقطع أثرها، كسرد أخبار الأولين. أو تقرير أمر من الأمور المتعلقة بالجزء، والتشريع وما الى ذلك من ذلك قوله تعالى : «واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين» (البقرة 34/2).

إذا جاء الفعل "أبى" في سياق ماضٍ، هو قوله تعالى : «قلنا للملائكة» وهو ماضٍ، يشير الى أن الحدث "الاباء" وقع في مراحل الأولى من التاريخ. ولا فضل للفعل "أبى" في تحديد هذه المرحلة الزمنية. ولكن اسم "ابليس" و

"الملائكة" وطريقة السرد القرآني، وهي التي بينت أن الحدث وقع في زمن ماضٍ سحيق.

ويكفي لبيان أن الفعل لا يحدد هذا القبيل من الزمن أن يستدل اسماً آخر باسم إبليس، والملائكة تنتقل الحكاية إلى مرحلة زمنية أخرى.

ولقد عبر القرآن عن هذه المرحلة الزمنية في آية أخرى بتركيب فعلى آخر الدلالة الزمنية السابقة نفسها وذلك في قوله تعالى : «وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه» (الكهف 50/18) إذ جاء الفعل "فسق" تالياً، للفعل، "كان" الذي وضعه في مرحلة زمنية، أبعد في الماضي من زمن الفعل "فسق".

ويشرح أبو حيان الفعل "أبى" بأفعال مسايرة له في الزمن ومساوية له في المعنى. "فأبى" عنده : "امتنع وأنف من السجود"، وهي ماضية، لأن المقصود هو الاخبار عن (إبليس) بأنه خالف حاله حال الملائكة فأبى السجود (1) ومن ذلك قوله تعالى : «فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين» (الحجر 31,30/15)

وقوله تعالى : «انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها» (الاحزاب 72/33).

ومن ذلك قوله تعالى : «فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم» (الاعراف 138/7). حيث جاءت "أتوا" في سياق دال على الماضي، وهو قوله تعالى «وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم» (الاعراف 138/7)

1 - انظر تفسير هذه الآية بالتفصيل في الكشاف 110/2 والبحر المحيط 377/4.

وأتو ماضيه من وجهين :

الوجه الأول : أنها جاءت معطوفة على فعل ماض لفظا ومعنى وهو قوله تعالى : «وجاوزنا».

الوجه الثاني : أنها وقعت في سياق سرد أخبار بني اسرائيل(1).

ومنه قوله تعالى : «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» (الحج 39/22)، إذ جاءت أذن : ماض قريب من الحال، فقد نزلت هذه الآية، بعد أن شكوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي مكة، وما كانوا يلاقونه منهم من أذى(2). والمعنى عند الزمخشري : "أذن للذين يقاتلون في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه بسبب كونهم مظلومين"(3)

أما قوله تعالى : «وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» (النساء 1/4) فإن "بث" فعل دل على زمن ماض بعيد في الماضي، إذ جاءت معطوفا على "خلق" في قوله تعالى : «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها» وإنما كامن بعيدا في الماضي، لأنه يعود الى زمن خلق آدم، إذ معنى خلقكم من نفس واحدة :

"فرعكم من أصل واحد، وهو نفس آدم أبيكم، وبث منهما نوعي جنس الانس، وهما الذكور والاناث" وكذلك قوله تعالى : «فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه» (المائدة 31/5). فان الفعل "بعث" في "بعث الله غرابا" جاء في سياق سرد قصة إبنى آدم قابيل وهابيل وما كان من قتل أحدهما للآخر. وذلك في قوله تعالى : «واتل عليهم نبأ ابني آدم

1 - انظر تفسير هذه الآية بالتفصيل في الكشاف 110/2 والبحر المحيط 377/4.

2 - انظر أسباب النزول للنيسابوري 232.

3 - الكشاف 15/3 والبحر 373/6.

بالحق اذ قرأ قريبا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر» (المائدة 27/5) الى قوله تعالى : «فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين، فبعث الله غرابا»

وإذا ما درسنا الأفعال الماضية الثلاثة : طوع، قتل، بعث نجد أن كل هذه الأفعال وقع في زمن مختلف عن الآخر، وأن الفاء هي التي حددت زمن كل فعل ورتبت موقعه في الخريطة الزمنية، فطوع أسبق في الزمن من "قتل" و "بعث" تابعة لـ "قتل" ومن الأفعال الماضية الدالة على أخبار الأولين من الأنبياء والمرسلين قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله بها قالوا» (الاحزاب 69/33) وقوله تعالى : «وأمرنا لنسلم لرب العالمين» (الانعام 71/6)، وقوله عز وجل : «وأوتيناها الى ربوة ذات قرار ومعين» (المؤمنون 50/23) وقوله (فبشرناه بغلام حليم» (الصافات 101/37)، وقوله سبحانه وتعالى : «أبلفتمكم رسالة ربي ونصحت لكم» (الأعراف 79/7) وكذلك قوله تعالى في الايات الكريمة : «فحملته فانتبذت به مكانا قصيا» (مريم 22/19).

« ان البقر تشابه علينا » (البقرة 70/2)

« فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب » (ص 36/38).

« وثمرود الذين جابوا الصخر بالوادي » (الفجر 11/89).

« فكذبوها فعززنا بثالث » (يس 14/36).

ومن الأفعال الماضية التي جاءت واقعة في جملة محكية قوله تعالى : « قال بصرت بما لم يبصروا به فقيضت قبضة من أثر الرسول » (طه 96/20).

وقوله تعالى : « قال إني أحببت حب الخيل عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب » (ص 32/38).

وقوله عز وجل : « قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق » (يوسف 51/12).

وقوله تعالى : « قالوا يا أبانا ان ابنك سرق » (يوسف 81/12).

قوله تعالى : « قالوا أطيرنا بك وبهن معك » (النمل 47/27).

وقوله عز وجل : « قالوا من فعل هذا يا آلهتنا يا ابراهيم » (الانبياء 59/215).

« فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر » (يوسف 88/12).

« قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم » (المؤمنون 113/23).

وهناك أفعال جاءت متتالية في الزمن الماضي وتفصل بينهما فترة زمنية قد تطول، أو تقصر :

من ذلك قوله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها » (الاحزاب 37/33)

اذ نجد الفعلين "قضى" و "زوج" يدلان على زمن ماض، الا أن الفعل "قضى" أسبق في الحدوث من "زوج" والحدثان وقعا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وللخطاب في زوجناكها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والزمن الذي يفصل بين الفعلين هي الفترة الواقعة بين زواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش رضي الله عنهما ثم تطليقها وزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم(1).

ومن ذلك قوله عز وجل : « وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم » (الفرقان 27/25).

1 - الكشاف 262/3 وأسباب النزول للنيسابوري 265/264.

وقوله تعالى : « فلما سحروا أعين الناس واسترهبوهم ».

وقوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » (الاحزاب 72/33) وهناك أفعال ماضية، ولكنها جاءت معبرة عن مستقبل هذا الماضي، حيث تتداخل المراحل الزمنية، ويتقاطع الماضي مع المستقبل، مع ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام « قضى الأمر الذي فيه تستفتيان » (يوسف 41/12)، فالفعل قضى من الأفعال التي يمكن أن يقال عنها : أنها جاءت دالة على مستقبل الماضي، إذ الأمر يقضي عاقبة أمرها وهي : هلاك أحد المستفتين ونجاة الآخر، ولقد أخبرهما يوسف بأنه ينبئهما بما سيحدث لهما في المستقبل، وقد جاء الفعل كما نعلم في سياق تفسير سيدنا يوسف عليه السلام لما رآه الرجلان في المنام، وبذلك يمكن القو : أن الفعل "قضى" جاء دالا على الاستقبال بالنسبة لزمان القص باعتبار أن هلاك الأول، ونجاة الثاني أمران لم يحدثا قبل تلفظ سيدنا يوسف بكلمة "قضى" وإنما كانا سيحدثان فيما يستقبل من زمانهما.

وان دل على الماضي البعيد بالنسبة لزماننا لأن الفعل تضمنته قصة سيدنا يوسف عليه السلام، والشكل التالي يوضح الدلالة الزمنية للفعل "قضى".

| الماضي البعيد | الماضي القريب | (الحاضر) | المستقبل |
|---------------|---------------|------------|-------------------|
| قضى للأمر | | | قضى من الماضي الى |
| | | | مستقبل الماضي |

ماضي المستقبل

وكما أن هناك أفعالا دالة على مستقبل الماضي، فإن هناك أفعالا تدل على ماضي المستقبل.

من ذلك قوله تعالى : « هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (التوبة 35/9)، ولقد جاء الفعل "كنزتم" ماضيا واقعا في سياق المستقبل، وهو قوله تعالى : « يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم » وعند تحليل هذه الآية نجد أنها دالة، كما قلنا على المستقبل بقرينة مميزة هي : "يوم" التي تدل غالبا على يوم القيامة ولكن الفعل "كنزتم" ماض بالنسبة للفعل المضارع الدال على الاستقبال "يحمي" لأن المؤدّي الزمني للفعل "كنزتم" في هذه الآية هو : "هذا ما كنزتم لأنفسكم في الحياة الدنيا" (1).

ويمكن توضيح الدلالة الزمنية للفعالين "يحمي" و "كنزتم" بالشكل التالي :

| الماضي | الحاضر | المستقبل القريب | المستقبل البعيد |
|---------------|--------|-----------------|-----------------|
| ماضي المستقبل | | | يحمي |
| — كنزتم — | | | |

ومنه قوله تعالى : « ونادى أصحاب الأعراف رجلا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون » (الأعراف 48/7)، وكذلك قوله تعالى : « قالوا ربنا أمتنا اثنتان وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا » (غافر 11/40).

وقوله تعالى : « ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني » (الحديد 14/5).

ومنه قوله تعالى : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار ا هبتكم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمعتم بها » (الاحقاف 20/46)

1 - انظر شرح هذه الآية في :

الكشاف 188، 187/2 والبحر المحيط 37-36/5، وأسباب النزول 183-184.

فَعَلَ دَالَةٌ عَلَى الْحَاضِرِ :

من المواضع التي تأتي فيها فعل دالة على الحاضر في القرآن الكريم الظرف الدال على الحين نحو الآن اليوم ونحوهما من ذلك قوله تعالى : «الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا» (الانفال 66/8)، ولقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون».

لقد جاء التخفيف في حال شق فيه على الصحابة ثبات الواحد للعشرة فخفضت الى ثبات الواحد للثلاثين(1)، فالفعل "خفف" دل على الحاضر من جهتين : من جهة السياق العام، ومن جهة الظرف.

ومنه قوله تعالى : «اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» (المائدة 3/5) وقد نزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان يوم عرفه بعد العصر في حجة الوداع، ويروي أن يهوديا قال : لو نزلت هذه الآية علينا في يوم لا نخذنا فيه عيدا، فقال ابن عباس رضي الله عنه أنها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد هو يوم الجمعة ووافق ذلك يوم عرفه فالمراد باليوم اذن هو هذا الحيز

من الزمان الواقع من طلوع الشمس الى غروبها، ودلالة "أكملت" هي الحاضر، غير أن الزمخشري ينفي أن يراد باليوم الحاضر ويقول : اليوم لم يرد به يوما بعينه وإنما أراد به الزمان الحاضر، وما يتصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية(2) غير أن ما فصله المفسرون في شرح هذه الآية يفضي الى أن هذه

1 - البحر المحيط 517/4.

2 - انظر : الكشاف 593/1 وأنظر : البحر : 426,425/3 وأسباب النزول 141,140، والزمن

في النحو العربي 116.

الأفعال جاءت أدل على الحاضر منه الى أزمنة أخرى.

وقد شرح أبو حيان "اليوم" الذي جاء سابقاً لـ "يش" و "أكملت" و "أتمت" بأن الالف واللام في اليوم، للعهد واليوم هو يوم عرفة(1) مما يدل على أن الفعلين يش وأكملت يقعان في حاضر ذلك اليوم.

ولقد اختلف النحاة والمفسرون في زمن "حصرت" في قوله تعالى : «أو جاؤوكم حصرت صدورهم» (النساء 90/4)، فقد ساق الكوفيون هذه الآية لتكون شاهداً على جواز وقوع الماضي حالاً لأن "حصرت" فعل ماضٍ، وهي في موقع الحال، وتقديره حصرت صدورهم والدليل على صحة هذا التقدير قراءة من قرأ «أو جاؤوكم حصرت وحصرة صدورهم» وهي قراءة الحسن البصري كما تؤيدها قول أبو صخر الهلالي الطويل.

واني لتعروني لذكراك هـزة كما انتقص العصفور بلله القطر(2)
فبالله فعل ماضٍ، وهو في موضع الحال.

ولقد احتج البصريون بأن الفعل الماضي لا يدل على الحال ولا ينبغي أن يقوم مقامه، لأنه لا يصح أن يقال فيه الآن أو الساعة في نحو قولنا مرتت يزيد يضرب الآن وقالوا : ان حصرت يمكن أن يكون محمولاً على الدعاء، لا على الحال كأنه قال : ضيق الله صدوركم(3) وليس يخفي ما في هذا التقرير من ابتعاد عن المعنى المراد، فان نظرتهم الدلالية للتركيب جعلتهم يربطون بين السياق الذي ورد فيه الفعل وبين دلالاته الزمنية ف"حصرت" عند الزمخشري في موضع الحال باضمار و"قد" ودليله على ذلك قراءة من قرأ حصرة

1 - البحر 425/3.

2 - أنظر البيت في الانصاف 253/1. والحزافة للبغدادي 552/1.

3 - الانصاف 252-255، ومعاني القرآن للفراء 282/1

صدورهم(1) أما أبو حيان فيقرر أن الفعل في موضع الحال. وليس شرطا تقديرا "قد" أي قد حصرت، على نحو ما يذهب اليه جمهور النحاة لأن هذا القيل من التركيب "جاء منه ما لا يحصى كثرة بغير "قد".

فعل في سياق المستقبل

إن وجود صيغ "فعل" في سياق استقبالي في القرآن الكريم يخضع لظوابط وحالات ونكت بلاغية يراد بها تنزيل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي، وهذا للإشارة إلى أن حدوثها واقع لا محالة، مثلها في تحقيق وقوعها في المستقبل مثل حوادث الماضي التي وقعت، وأصبحت حوادث واقعة من ذلك قوله تعالى : «فوقاهم الله شرذ بك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا» (الانسان 30/76) حيث انتقل الفعلان "وقى" و"لقى" إلى الاستقبال، وهذا بفضل قرينة لفظية هي اليوم (فقد جاءت) هذه الآية بعد قوله تعالى : «أنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا» و "الد" في "اليوم" عهدية والمراد باليوم يوم القيامة. قال ابن عباس رضي الله عنه يعيش الكافر يومئذ حتى يسيل من عينه عرق كالقطران(2) وقال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية : "أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وخزيهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب"(3).

ولقد تباينت آراء جمهور المفسرين في زمن "أتى" في قوله تعالى : «أتى أمر الله فلا تستعجلوه» (النحل 1/16). حيث ينتقل عنهم أبو حيان الآراء التالية :

- أن المراد بالأمر في قوله تعالى : «أتى أمر الله»، نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهوره على الكافرين وظفره بأعدائه وانتقامه منهم. وهنا يكون

1 - الكشاف 552/2.

2 - البحر 396/8.

3 - الكشاف 197/4.

زمن " أتى " يتراوح بين الماضي القريب والمستقبل القريب.

- أن الأمر هنا مصدر أمر، والمراد به فرائضه وأحكامه، ولذلك تنصرف أتى من المستقبل الى الماضي ولكن أبا حيان يرى في هذا الرأي بعدا عن حقيقة الموقف "لأنه لم ينقل عن أحد من الصحابة أنه استعجل حكما من الأحكام من قبل أن يفرض عليهم.

- أن يراد بالأمر : عقاب الله لمن أقام على الشرك وتكذيب رسول الله، ويتعين الفعل في هذه الحال لمستقبل قريب دنيوي.

- أن يكون الأمر هو بعض أشرط الساعة، أما الفعل فيحتمل أن يكون باقيا على معناه من الماضي، ويكون المعنى، أنني أمر الله وعدا، فلا تستعجلوه وقوعا.

- أن يكون المعنى أتت مبادئه وإمارته وجاء التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه أو قرب وقوعه وبذلك ينصرف الفعل "أتى" الى المستقبل الأخرى البعيد :

وليس هذا هو الفعل الوحيد الذي تخضع دلالاته الزمنية لرأي المفسرين أو شرحهم للآية فتحدد الدلالة الزمنية للفعل حسب المعنى الذي يضيفه عليه أحد المفسرين.

من ذلك قوله تعالى : « انا أعطيناك الكوثر » حيث يتحدد البعد الزمني للفعل "أعطيناك" حسب شرح المفسرين للكوثر، قال أبو حيان، أن في "الكوثر" ستة وعشرين قولاً من هذه الأقوال : أن الكوثر هو القرآن، وتكون الدلالة الزمنية لأعطيناك هو الماضي، أو الماضي المستمر الى الاستقبال باعتبار أن القرآن قد استمر نزوله بعد سورة الكوثر.

وقيل هي كثرة الأصحاب، وقيل هي التوحيد كما قالوا هي نور قلبه، دله

على الله تعالى، وقطعه عما سواه، أو هو النبوة وتكون "أعطيناك" بهذه المفاهيم المتعددة لـ "الكوثر" ماضية لفظاً، ومعنى لأن كل التفاسير السابقة تستمر الى هبات خص الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم. فيما مضى من الزمن.

أما أشهر الأقوال، وأكثرها رواجاً عند المفسرين فهوما ينقله أبو حيان من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صحيح مسلم حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم، قال نهر وعدني به، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم (1).

وبهذا التفسير تنتقل دلالة " أعطيناك " الى الاستقبال البعيد وإذا كانت الدلالة الزمنية للأفعال تتوقف في بعض الأحيان على الفاعل الذي يليها، فإن الدلالة الزمنية للفعل الماضي في قوله تعالى : «فتحت أبوابها» في الايتين (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤوا فتحت أبوابها) (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوا وفتحت أبوابها» (72,71,39) أقول : دلالة الماضي في الايتين تتوقف على من يعود عليه الضمير المضاف الى الفاعل في "أبوابها"، و "تفتحت" في قوله تعالى : «وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوا وفتحت أبوابها» فتدل على الماضي لأن أبواب الجنة مفتوحة أبداً والدليل على ذلك قوله تعالى «جنات عدن مفتحة لهم الأبواب» (50/38).

قال الزمخشري ولذلك جيئ بالواو (في وفتحت) كأنه قيل حتى اذا جاؤوا وقد فتحت أبوابها (2) (الضمير في أبوابها يعود الى الجنة. أما "سيق" في الآيتين، فهي خالصة للاستقبال اذ جاءت مدرجة في حديث عن المستقبل البعيد

1 - البحر 519/8.

2 - الكشاف 411/3.

هو الدار الآخرة ومن ذلك قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » (القمر 1/54) اذا اختلف المفسرون في زمن انشقاق القمر، اذ يرى معظمهم أن القمر قد حصل فيه الانشقاق، وقد دلت الأخبار على حديث الانشقاق الذي رواه جمع من الصحابة (1)، وبذلك ينصرف الفعل "انشقت" للماضي الخالص بينما يرى آخرون : أن المراد : سينشق يوم القيامة، أو أنه سيستمر انشقاقه الى يوم القيامة "لأن كل شئ قد انقادت طريقته ودامت حاله قبل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات (2) وترادف الآيات. ومن ذلك قوله تعالى : «واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله» (المائدة 116/5) اذ يتفق المفسرون على أن هذا الكلام، انما يذكره الله لعيسى يوم القيامة وبذلك يخلص "قال" للاستقبال البعيد، ومنهم من قال : ان الله تعالى قد قال هذا الكلام لعيسى عليه السلام حين رفعه اليه ودليلهم في ذلك أن "قال" جاءت مسبوقه بـ "اذ" الدالة أبدا على الماضي ولكن هذا الرأي يبعده قوله تعالى : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » (المائدة 119/5) والمراد به يوم القيامة" (3).

ومن الأفعال التي تتعدد دلالتها الزمنية، وفق المعاني التي تضي على فاعلها. "سأل" في قوله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين» (المعارج/1) (70).

فاذا كان السائل هو سيدنا نوح عليه السلام فيكون سأل للماضي البعيد، واذا كان السائل هو النبي صلى الله عليه السلام فان سأل تنصرف للماضي القريب، أما اذا كان "سأل" بالتخفيف والسائل بمعنى واد في جهنم، فتكون "سأل" (بالتخفيف) للمستقبل البعيد اذ أن سلان العذاب لا يكون الا في

1 - التفسير الكبير للامام الفخر الرازي 28/29.

2 - الكشاف للزمخشري 36/4.

3 - التفسير الكبير للرازي 134/12.

ومن الأفعال الماضية الدالة على الاستقبال بقرينة لفظية في قوله تعالى :
 «الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه» (فاطر 9/35) اذ معنى سقناه:
 تسوقه قال أبو عبيدة، ومجاز "فسقناه" مجاز فسوقه(1)، ومنه قوله تعالى :
 «وأقاموا الصلاة» اذ مجازه ويقومون الصلاة(2). اذ جاء الفعل الماضي
 معطوفا على فعل ماضي لفظا ومعنى هو "أرسل" وقد يدل "فعل" على
 الاستقبال، اذ جاء بعد دعاء وذلك في نحو قوله تعالى : «رضي الله عنهم
 ورضوا عنه» (البينة 8/98) والدليل على أنه استقبال، أنه جاء بعد سياق
 استقبالي وذلك في قوله تعالى : «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أولئك
 هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
 فيها أبدا».

ومن الدعاء عليه قوله تعالى هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أني يوفكون»
 حيث جاءت قاتلهم استقبالا في سياق دعاء قال الزمخشري وهو يشرح الآية :
 "قاتلهم الله دعاء عليهم، وطلب من ذاته أن يلعنهم، أو يخربهم هو تعليم
 للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك(3).

ومن الأفعال الماضية لفظا، الدالة على الاستقبال بقرينة قوله تعالى :
 «ونادى أصحاب الجنة اصحاب النار» (الاعراف 44/4).

«اقتربت للناس حسابهم» (الأنبياء 1/21).

«اقتربت الساعة وانشق القمر» (القمر 1/54).

1- مجاز القرآن لابن أبي عبيدة 152/2

2 - المصدر نفسه 155/2 وانظر التفسير الكبير للامام الفخر الرازي 122/30.

3 - الكشاف 110/4.

«وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً» (طه 108/20).

«فنفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض» (الزمر 68/39).

«ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا» (الكهف 99/18).

فعل دالة على الزمن العام

وقد تخرج "فعل" على الازمنة الثلاثة (الماضي، الحاضر، المستقبل) الى زمن عام متجدد من الماضي السحيق الى المستقبل البعيد من ذلك الأفعال "أخرج" و "أزر"، و "استغلظ" في قوله تعالى : «كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه» (الفتح 29/48)، فانها أفعال لا تدل على زمن معين، وانما هي تدل على حدث يمكن أن يقع في كل وقت فهي ظواهر طبيعية ما فتئت تتكرر وتتجدد، ولا يمكن أن تتخلف، ولقد جاءت هذه الأفعال في سياق تشبيه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بهذ الزرع الذي من خصاذه أنه أخرج شطأه... الى آخر الآية.

قال الزمخشري في الكشاف : وهذا مثال ضربه الله لبدء أمر الاسلام، وترقيه في الزيادة، الى أن قوى واستحكم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بها مما يتولد منها حتى الزارع(1).

ومن هذا القبيل من الافعال الدالة على الزمن العام قوله تعالى : «وأحضرت الانفس الشح» (النساء 128/4) فقد جاء هذا الفعل بمثابة الصفة الثابتة الملازمة لبني الانسان، فالشح يحضر النفس في كل زمان، وهذا ما فصله المفسرون، قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية : "ومعنى احضار النفس الشح أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه، يعني أنها

1 - الكشاف 551/3.

مطبوعة عليه، والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح أن يقسم لها، وأن يمك عنها اذا رغب عنها وأحب غيرها(1).

ويرى أبو حيان في هذه الآية رأيا يساير ما تذهب اليه من دلالة الفعل "أحضرت" في الآية على الاستمرار والتكرار فهو يرى أن "الأنفس" هي التي جعلت حاضرة للشح لا تغيب عنها أبدا، وليس العكس، لأن "الأنفس" هو المفعول الذي لم يسم فاعله.

ومن ذلك قوله : «وجاءت سكرة الموت بالحق» جاء في الكشف سكرة الموت بالحق : نبه علي اقتراب ذلك بأن عبر عنه للفظ الماضي ... الى أن يقول في تفسير سكرة الموت، وقيل الحق الذي خلق له الانسان أن كل نفس ذائقة الموت ومن هذا التفسير نستنتج أن "جاءت" في الآية دالة على الزمن العام المستمر من الماضي الى المستقبل لأنها تصيب الانسان في كل زمان ومكان، ولكنها يمكن أن تحمل على أنها دالة على المستقبل القريب بالنسبة لكل انسان لأن الموت بكل ما فيه قريب نسبيا من كل انسان ولعل هذا ما يقصده الزمخشري من قوله : ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي.

وهذه بعض الأفعال الدالة على الأزمنة الثلاثة حسب فهمنا لسياق الآية، وفي ضوء ما جاء في كتب التفسير، والله تعالى أعلم بما ينزل، فمن ذلك قوله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » (البقرة/249) وقوله تعالى : « ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون » (يونس/7/10).

ومنه قوله تعالى : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » (الشمس/8/91) وقوله عز وجل « فاذا أنزلنا

عليها الماء اهتزت وربت» (الحج5/22).

وقوله سبحانه وتعالى : «حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله» (البقرة173/2).

وقوله تعالى : «وأنه هو أضحك وأبكى» (النجم43/53).

وقوله تعالى : «ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم» (الحجر17/16/15).

وقوله عز وجل : «وقد خاب من حمل ظلما» (طه111/20).

وقوله تعالى : «أحل الله البيع وحرّم الربا» (البقرة275/2).

ولقد قمنا باحصاء ومتابعة دلالة "فعل" الزمنية في بعض سور القرآن الكريم فكان أن حصلنا على النتائج والأرقام التي يفصلها هذا الجدول مع العلم أننا ندرس هنا "فعل" مجردة من الأدوات المختلفة :

| السورة | مجموع صيغ "فعل" | عدد الافعال الدالة على الماضي | عدد الافعال الدالة على الزمن العام | عدد الافعال الدالة على المستقبل | عدد الافعال الدالة على ماضي المستقبل |
|--------|-----------------|-------------------------------|------------------------------------|---------------------------------|--------------------------------------|
| يسس | 36 | 29 | 04 | 01 | 02 |
| هود | 50 | 45 | 05 | 00 | 00 |
| النبأ | 13 | 08 | 01 | 02 | 02 |
| يوسف | 102 | 97 | 02 | 03 | |

وهذه النسب المثوية للأزمنة المختلفة التي دلت عليها "فعل" في كل من السور المدرجة في الجدول :

سورة يس

نسبة "فعل" الدالة على الماضي 80,5 %.

نسبة "فعل" الدالة على المستقبل 2,7 %

نسبة "فعل" الدالة على مستقبل الماضي 5,5 %

نسبة "فعل" الدالة على الزمن العام 11,1 %

سورة هود

نسبة "فعل" الدالة على الماضي 90 %

نسبة "فعل" الدالة على الزمن العام 10 %

نسبة "فعل" الدالة على المستقبل صفر %

نسبة "فعل" الدالة على ماضي المستقبل صفر %

سورة النبا

نسبة "فعل" الدالة على الماضي 61,5 % تقريبا.

نسبة "فعل" الدالة على الزمن العام 7,6 % تقريبا.

نسبة "فعل" الدالة على المستقبل 15,3,3 % تقريبا.

نسبة "فعل" الدالة على ماضي المستقبل 15,3 % تقريبا.

"فعل" دالة على الماضي % 95
تقريبا.

"فعل" دالة على الزمن العام % 1,9
تقريبا.

"فعل" دالة على المستقبل % 2,94
"فعل" دالة على ماضي المستقبل صفر %.

إن قراءتنا لهذا الجدول والإحصاءات لـ "فعل" في نماذج من القرآن الكريم
تمكنتنا من الاقتراب من دلالة صيغة "فعل" الزمنية في السياقات القرآنية من
ذلك أن صيغة "فعل" تدلّ بهيئتها تلك عن أزمنة مختلفة الماضي، الزمن العام،
(الممتد من الماضي الى المستقبل).

وأن الدلالة على الزمن الماضي هي الأكثر ورودا والأوسع انتشارا في القرآن
الكريم، وهذه النتيجة تأيد ما ذهب اليه النحاة القدماء عندما خصوا صيغة
"فعل" للدلالة على الزمن الماضي، اذ يبدو أنهم فعلوا ذلك على سبيل التغليب
والأصالة والواقع الكلامي، فعند قراءتنا للخانة الخاصة بسورة سيدنا يوسف
نجد أن نسبة الدلالة على الماضي كانت أكثر ارتفاعا من باقي السور، لأن الفعل
جعل في سياق قصصي تسرد فيه حوادث مضت.

الفصل الثاني

يَفْعَلُ

- * دلالة يَفْعَلُ على الماضي.
- * دلالة يَفْعَلُ على الحاضر.
- * دلالة يَفْعَلُ على الاستقبال.
- * دلالة يَفْعَلُ على الزمن العام.

يفعل مجردة من الأدوات

لقد مر بنا أن هذه الصيغة "لا يعرف وقتها، ما كان منه للحال، وما يكون في الاستقبال" (1). فإذا قلت : (هو يأكل) جاز أن تعني ما هو فيه، وجاز أن يريد : (هو يأكل)، تقول : زيد يأكل، فيصلح أن يكون في حال أكل فيما يستقبل (2).

ونستخلص الآراء النحوية في زمن المضارع : في :

- أن يترجح فيه التعبير عن الحال، إذا تجرد من الأدوات.
 - أن يتعين فيه الحال إذا اقترن بـ (الآن) وما في معناها.
 - أن ينصرف إلى الماضي، أو الاستقبال إذا سبقته أو لحقته إحدى الأدوات (3)
- وعند دراسة هذه الصيغة (يفعل) في القرآن الكريم، نجد أن زمنها يتوقف أولاً وأخيراً على السياق الذي ترد فيه حتى وإن كانت مجردة من الأدوات، فإنها تبقى خاضعة للمعنى الذي تقع فيه، أو الإيحاء الذي يراد منها تبليغه، فتدل على الماضي تارة، وتدل على الحاضر، والمستقبل كما تدل على الزمن العام في مواقف معينة.

دلالة (يفعل) على الماضي

تدل (يفعل) في السياق على الماضي بفضل قرائن منها :

أولاً : عطف مضارع على ماضي لفظاً ومعنى من ذلك قوله تعالى : « ألم

1 - المتعصب للمبرد 81/4.

2 - المصدر نفسه 275/2.

3 - الصحابي لابن فارس 186.

4 - انظر الفصل الذي خصصناه لزمن الفعل عند النحاة.

تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة» (الحج 63/22)،
 فالفعل المضارع (تصبح) تحمل دلالة الماضي على الرغم من أنها تفيد
 الاستمرار والتجدد. يقول الزمخشري وهو يحلل هذه الدلالة الزمنية : فان قلت
 : هلا قيل: "فأصبحت" ولم صرف الى لفظ المضارع، قلت لنكتة فيه، وهي
 افادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول : أنعم علي فلان عام كذا، فأروح
 وأغدوا شاكرا له، ولو قلت : فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع (1) أي أن
 التعبير بالمضارع أبلغ أثر في تصوير عملية اخضرار الأرض. ولو عبرنا عن هذا
 المعنى الزمني بلفظ الماضي لأفادت الانقطاع والسكون. ومن ذلك قوله تعالى :
 «فريقا كذبتم وفريقا تقتلون» (البقرة 87/2). حيث جاء الفعل المضارع
 (تقتلون) معطوفا على الفعل الماضي (كذبتم)، وقد آتينا موسى الكتاب
 وقفينا من بعده بالرسول) الى آخر الآية وقد جاءت تقتلون بلفظ المضارع، لأن
 الامر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب (2) "فلقد أراد
 القرآن أن ينقل لنا صورة القتل حية كأنها ترتكب أمام أعيننا، ولم يقصد ذلك
 في التكذيب لأن التكذيب يحدث مرة واحدة، ولاول وهلة في حين أن القتل
 يحتاة الى وقت من شأنه أن يتكرر وخاصة اذا كان الامر يتعلق بفريق من
 الناس لا بشخص واحد" (3).

ومن الشواهد القرآنية التي جاء الفعل المضارع فيها معطوفا على ماض
 لفظا ومعنى قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع
 في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفر ثم يجعله
 حطاما» (الزمر 21/20). فالأفعال (يهيج و (تراه) و (يجعله) صيغت صياغة
 المضارع، وهي ماضية، لأنها جاءت معطوفة على الفعل الماضي "أنزل" في قوله

1 - الكشاف 21/3 وانظر البحر 386/6.

2 - الكشاف 295/1.

3 - الزمن في النحو العربي، كمال بدري 119.

تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ... الى آخر الآية).

ثانيا : مجيء (يفعل) بعد فعل ماض لفظا ومعنى من ذلك قوله تعالى :
«وجاء رجل من أقصى الكدينة يسعى قال يا موسى إن الملائكة يأترون بك
ليقتلوك» (القصص 20/28)

حيث جاء الفعل المضارع يأترون في معنى الماضي بعد الفعل الماضي "قال" ،
والآية كلها وردت في سياق قصصي بدأ من قوله تعالى : طسم تلك آيات
الكتاب المبين نزلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ... ومن
ذلك قوله تعالى : «فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك
بيحي مصدقا بكلمة من الله» (آل عمران 39/3).

فإن الفعل المضارع "يبشرك" جاء في معنى الماضي لأنه مسبوق بفعل ماض
هو قوله تعالى (فنادته) ومما يؤكد مضيئه أنه جاء في سياق ذكر أخبار الانبياء
والرسل. والآية تخص سيدنا زكريا عليه السلام وهو ما تبينه الآية 38 حيث
يقول الله سبحانه وتعالى : «هنالك دعا زكريا ربه قال رب اجعل من لدنك ذرية
طيبة انك سميع الدعاء» فالافعال الماضية (دعا) (قال) (نادى) أحداث وقعت
فيما مضى من الزمان لذلك وضعت الفعلين (يصلي) و (يشرك) في موقع
الماضي.

ومنه قوله تعالى : «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» (المجادلة 1/
58)، حيث جاء الفعل المضارع (تجادلك) مسبوqa بالفعل الماضي المركب من
(قد) و (سمع) وهو تركيب يجعله النحاة دالا على الماضي القريب من الحاضر
لأنه جواب لقولك (لما يفعل1) وهو لنفي الماضي القريب من الحال أو المستمر
الى الحال، والفعل المضارع تجادلك قويب من الحال من وجهين :

1 - الكتاب : 223/2 / والصاحبي 64-.

أحدهما : أنه جاء بعد التركيب (قد سمع) وقد بينا موقعه الزمني.
ثانيهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا متوقعين أن يسمع الله مجادلتها وينزل ذلك فيما يفرج عنها(1).

وجاء في أسباب النزول : قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، اني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفي علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يارسول الله أبلى شبابي وثبرت له بطني حتى اذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني أشكوا اليك. قالت : فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الايات(2) والشاهد في هذه الرواية أن الآية نزلت مباشرة بعد شكوى خولة، وأن موقع الفعلين (قد سمع، وتجادلك هو الماضي القريب من الحال.

ومن صيغ (يفعل) الدالة على الماضي القريب فعل (يغشي) في قوله تعالى: «ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنه نعاسا يغشى طائفة منكم) (آل عمران 154/3)، والفعل المضارع يغشى جاء بعد فعل ماض غير بعيد هو (أنزل) اذ نزلت هذه الآية بعد غزوة أحد فيما يذهب المفسرون حيث ثبت في البخاري من حديث أبي طلحة قال : غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد ... الى آخر الحديث(3) فيغشى في الآية : فعل مضارع دل على الماضي القريب من الحاضر.

ثالثا : مجىء الفعل المضارع حالا من فاعل لفعل ماض لفظا ومعنى : من ذلك قوله تعالى : «فأتت به قومها تحمله» (مريم 27/19) ومنه قوله تعالى : «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى» (القصص 20/28)، حيث جاء الفعل

1 - البحر : 232/8 - أسباب النزول للنيسابوري 304.

2 - البحر : 85/3-86.

3 - البحر : 85/3.

المضارع (تحملة) و (يسعى) دالا على الماضي في الآيتين لأن الفعل المضارع جملة حالية فيهما والآيتان وردتا في سياق قصص اخباري.

رابعاً : الدلالة على الماضي بقرينة لفظية :

قال الله تعالى : « فلم تقتلون أنبياء الله من قبل » (البقرة 91/20) والقرينة هي (من قبل) التي دللتنا على أن القتل في هذه الآية قد أنقضى وانقطع أثره. قال أبو حيان وهو يشرح هذه الآية وجاءت (يقتلون) بصورة المضارع والمراد الماضي، إذ المعنى (فلم قتلتم) والدليل على تقدم القتل فيما يرى أبو حيان هو من قبل(1)

قال ابن عطية : وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الاعلام بأن الأمر مستمر، ألا ترى أن حاضري محمد صلى الله عليه وسلم لما كانوا راضين بفعل اسلافهم بقي لهم من قتل الأنبياء جزء(2)، ويبدو أن ابن عطية أراد القول أن الفعل المضارع أقدر من الماضي في هذا المقام بالايحاء بأن هذا الفعل سيستمر أثره الى الوقت الحاضر، هو ما يسميه الأندلسي بحكاية الحال، ومعنى حكاية الحال أن تقدر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان أو تقدر ذلك الزمان محكياً الآن على ما تلفظ به واستشهد بالاية السابقة(3)، ومنه قوله تعالى : « ان الذين أوتوا العلم من قبله، اذ يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً » حيث جاء الفعل المضارع (يخرون) معبراً عن الزمن الماضي فقد دلت القوينة من قبله على أنه حدث مضى.

وكذلك قوله تعالى : « فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » (يونس 94/

10).

1 - البحر : 307/1.

2 - المصدر نفسه.

3 - انظر النص في الزمن في النحو العربي : كمال ابراهيم بدري 190.

وقوله تعالى : «وما أرسلناك من قبلك من رَسُولٍ الا يُوْحَىٰ اِىَّهِ» (الانبياء 25/21)، ومن ذلك قوله تعالى : «وما أرسلنا من قبلك من رسل الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق» (الفرقان 20/25).

فان الفعل المضارع (يأكلون) انصرف الى الماضي بفضل القرينة اللفظية من قبلك.

ومن القرائن التي تقلب معنى المضارع الى الماضي هو (يوم) في نحو قوله تعالى : «يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ» (الأعراف 163/7) وهذا اليم الذي صرف الفعل المضارع (يسبتون) الى معنى الماضي كان يوم تعظيم من بني اسرائيل بالألا يشتغلوت فيه (يوم السبت) بغير العبادة(1)، ومن ذلك القرائن أيضا مجيء الفعل المضارع بعد اذ الفجائية في سياق أحداث ماضية من ذلك قوله تعالى : «فاذا حبا لهم وعصيتهم يُخَيَّلُ اِىَّهِ من سحرهم أنها تسعى» (طه 66/39) فالفعل المضارع (يخيل) ماض حسب سياق الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : قالوا يا موسى اما أن تلقى وأما أن نكون أول من ألقى» (65/39). أما أن اذا الفجائية تقلب المضارع للماضي قلأن تقدير الجملة التي بعدها هو (ففجأ موسى وقت تخييل بسعي حبالهم وعصيتهم)(2)، ومن الأفعال المضارعة التي جاءت بمعنى الماضي بعد اذا الفجائية قوله تعالى : «ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون» (الروم 25/30).

ومنها قوله تعالى : «فألقاها فاذا هي جبة تسعى» (طه 20/20).

دلالة يفعل على الحاضر

وانما تدل عليه بقرائن لفظية أو معنوية، ترد أو تدرك في السياق القرآني،

1 - الكشاف : 125/2.

2 - المصدر نفسه 544/2.

من ذلك قوله تعالى على لسان أحد رفيقي سيدنا يوسف عليه السلام في السجن (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) (يوسف /36/ 12). فالآية تنقل صورة المنام الماضية الى الواقع الحاضر وتأتي الدلالة على الحاضر من القرائن التالية : (اني أرى أحمل) مجردة من كل الأدوات فإن تدل علي الحضور وتثبيت الزمن، ثم جملة (تأكل الطير منه) فهي استحضار مستمر لوقائع المنام، وقد جاءت هذه الجملة معطوفة على آية سابقة مماثلة لها في التركيب والبعد الزمني هي (قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا) (يوسف /35/12)(1).

ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف : (لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم) (يوسف /92/12). وتتوقف الدلالة الزمنية للفعل بغفر الله لكم على شرح المفسرين لهذه الآية وتوجيههم لها كما تتوقف على نظام الوقف الذي اعتمده المفسرون فيها.

فالزمخشري يجعل (اليوم) تتعلق بالترشيب ويقف بالآية عند اليوم، أي لا ترشيب عليكم اليوم. والمعنى عنده لا أترُبكم اليوم (وهو اليوم الذي مظنه الترشيب فما ظنكم بغيره من الأيام) ثم تستأنف الآية بقوله تعالى : « يغفر الله لكم وهو يعتمد في ذلك على رواية من روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح لقريش ما ترونني فاعلا بكم، قالوا نظن خيرا أخ كريم. فقال : أقول ما قال أخي يوسف : لا ترشيب عليكم اليوم.

وجلي أن هذا التفسير يجعل الفعل يغفر دالا على غير الحاضر، اذ يجعل (يغفر) مطلقة، يمكن أن تدل على المستقبل البعيد أو القريب.

أما أبو حيان فلا يجوز عنده، أن يتعلق (اليوم) بالترشيب لأن الترشيب مصدر، وقد فصل بينه وبين معموله بقوله "عليكم" أما التقدير الثاني فإنه

1 - تنظر شرح الآية في الكشاف للزمخشري 319/2-320.

يجعل "يغفر" خالصا للوقت الحاضر على ارادة البشارة بعاجل غفران الله، فيكون المعنى، أبشركم اليوم بدعوتي لكم أرحم الرحماء بالمغفرة(1).

ومن ذلك قوله تعالى : « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » (النمل 40/27).

وقوله عز وجل : « وقال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك » (النمل 41/27). حيث جاء الفعل المضارع "آتى" دالا على الحاضر وهذا على اعتبار أن هذا الفعل مضارع لا اسم فاعل كما جوز بعض المفسرين.

قال الزمخشري :

"وآتيك في الموضوعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل"

ولا غرو في أن الزمن المراد به "آتى" هو الحال والساعة. فلقد فسروا قوله تعالى قبل أن يرتد اليك طرفك بـ "أنك ترسل طرفك الى شئ فقبل أن ترتد ابصرت العرش بين يديك"(2).

وبما أن ارتداد الطرف أقصر في المدة من المدة التي حددها العفريت (الذي قال أنا آتيك به

قبل أن تقوم من مقامك). فقد روى أن سيدنا سليمان رضي الله عنه قال : (أريد أسرع من ذلك حين أجابه العفريت)(3).

فالفعل المضارع " آتى" دال على الزمن الحاضر وحده لا ينصرف الى غيره. ومنه قوله تعالى : « وألا تعلوا على الله أني آتيكم بسطان مبين»(الدخان

1 - انظر الكشاف 343-342/2 والبحر 344,343,342/5.

2 - الكشاف 149,148/3.

3 - البحر 77,76/7.

فالفعل آتى للحاضر في هذه الآية كذلك، فقد جاء بعد (إن) الدالة غالبا على استقرار الزمان وثبوته كما جاء في سياق يوحى بالحالية.

اذ معنى الآية ولا تعلوا على الله من أجل اني آتيتكم (الآن) بسلطان مبین (1)

ومنه قوله تعالى : «فمنهم من قضى نخبة منهم من ينتظر» (الاحزاب 23/33) والفعل المضارع ينتظر جاء دالا على الزمن الحاضر والحال لان معنى الآية، منهم من قضى نخبه ومنهم من هو في حالة انتظار بدليل أن الجملة التي تلي الفعل هي جملة حالية وهي قوله تعالى : «وما بدلوا تبديلا» (أي ما بدلوا العهد ولا غيره، لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة(2)).

ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام «اني أخلق لكم من الطين كهيئة طيرا»(آل عمران 49/3). فالفعل المضارع (أخلق) للزمن الحاضر وهو حاضر من عدة وجوه : أنه جاء بعد "إني" في قوله تعالى :اني أخلق لكم. على قراءة من قرأ بالكسر على الاستئناف. ولأنه لم تقترن به أداة تصرفه عن الحاضر.

انه جاء في سياق حكاية في قوله تعالى : «ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل، اني قد جئتكم بآية من ربكم» والمعنى : اني الان قادر على أن قدر لكم مثل صورة الطير(3).

وقد ظن الاستاذ حامد عبدالقادر أنه قوله تعالى "تخلق" و "تنفتح" و "تخرج"

1 - الكشاف 149,148/3.

2 - المصدر نفسه 257/3.

3 - نفس المصدر السابق 431/1.

أفعال تختص بالماضي فقط لأنها مسبقة بـ (اذ) (1) ولم ينتبه الاستاذ الى أن (اذ) هذه تدل المستقبل والحاضر. فمن المستقبل قوله تعالى : «ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول» وقوله تعالى : «اذ يقول المنافقون ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا» (الاحزاب 12/33).

أما "اذا" هنا فهي للحاضر، لأن الخطاب موجه الى سيدنا عيسى عليه السلام وهو على قيد الحياة، وقدرته على خلق الطير. كانت معه أثناء الخطاب. والدليل على ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام «أني قد جئتكم بأية من ربكم اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه فيكون طير باذن الله» (آل عمران 49/3).

ومن أمثلة المضارع الدالة على الحاضر في القرآن الكريم «مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين» (النمل 20/27).

«يا زكريا أنا نبشرك بغلام اسمه يحيى» (مريم 7/19).

«وأنتك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» (النمل 6/27).

دلالة (يفعل) على الأزمنة العامة

وهذا عندما يأتي في سياق لا يقع فيه الحدث في زمن خاص ولكنه يحدث في كل زمان، أو عندما يدل على تقليد سارت عليه طائفة من البشر، أو أمة من الأمم، على نحو ما سنرى في النصوص القرآنية التالية :

فمن ذلك قوله تعالى : «ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين» (البقرة 8/2).

فـ "يقول" هنا ليس لها زمن محدد، لان قولاً من هذا القبيل يصدر عن

الناس في كل زمان. ولان التعبير " من الناس " يدل على أن صنف من البشر اتصف وسيل بهذه الصفة، فقد نزلت هذه السورة في المنافقين. ومن يقول "صفة كأنه قيل : ومن الناس ناس يقولون"(1).

ومن قوله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام «قال إنكم قوم تجهلون» فقد جاء الفعل المضارع "تجهلون" في سياق الآية : (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)(الاعراف 138/7) اذ يبدو في هذا السياق أن "تجهلون" دلت على زمن عام يستغرق الأزمنة الثلاثة الماضية، والحاضرة والمستقبل، قال أبو حيان "وأتى بلفظ تجهلون، ولم يقل (جهلتم) اشعارا بأن ذلك منهم كالطبع والغريزة، ولا ينتقلون عنه في ماض ولا مستقبل"(2). ومنه قوله تعالى : «ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها» (البقرة 62/2). وقد نزلت هذه الآية في اليهود عندما قالوا أن الله أعظم وأعلى من أن يمثل بالذباب والحجارة والعنكبوت، فالفعل يستحي فعل مضارع جاء دالا على الزمن العام اذ أنه فعل مسند الى الله سبحانه وتعالى : ومعناه ان الله لم يستحي ولن يستحي أن يضرب مثلا. وقد ذهب معظم المفسرين أن معنى الاستحياء هو الترك، قالوا وعبر بالاستحياء، لأن الترك من ثمرات الحياء، وهذه كلها معاني تصحيح بالأولية لأنها منسوبة الى الله سبحانه وتعالى(3).

ومن ذلك قوله تعالى : «ان الله وملائكته يصلون على النبي ي أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» (الاحزاب 65/23). حيث يفهم من سياق الآية ومن جملة ما قاله المفسرون أن "يصلون" للزمن العام الممتد من الماضي

1 - الكشاف : 166/1.

2 - البحر لابي حيان 378/4.

3 - انظر أسباب النزول ،معاني القرآن الفراء 20/1-22 والبحر 119/1-125.

السحيق الى المستقبل البعيد.

ويروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية، فقال : لولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به، ان الله وكل ملكين، فلا اذكر عند كل مسلم، فيصلي علي إلا قال ذلك الملكان : غفر الله له، وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذینک آمین(1). فهذه الرواية تبين أن الفعل "يصلون" لا يتحدد في زمن معين وإنما هو يحدث في كل زمان.

ومنه قوله تعالى : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » (الاحزاب 43/33).

حيث يستغرق الفعل "يصلي" المسند الى الله عز وجل على استغراق جميع الزممنة فهو من الافعال التي يمكن أن يقال عنها "أفعال أزلية ومنه قوله تعالى : « ان الله يدافع عن الذين آمنوا » (الحج 38/22)، فالفعل المضارع "يدافع" غير مختص لزمن معين لأنه جاء في سياق وعد من الله عز وجل بأن يدافع الظلم عن الذين آمنوا في كل زمان(2).

قال الزمخشري : وقد خص المؤمنين لدفعه عنهم، ونصرته لهم كما قال « أنا لننصر رسلنا والذين آمنوا » (غافر 51/40)، وقال « انهم لهم المنصورون » (الصافات 172/37).

وقد استحسّن المفسرون قراءة من قرأ "يدافع" لأنه قد عنّ للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم، فتجىء مقاومته، ودفعه مدافعة عنهم» (3) ثم ان معنى يدافع (يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه)(4).

وكذلك قوله تعالى : « أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مسا

1 - الكشاف 272/3-273.

2 - البحر 237/7.

3 - البحر : 373/6.

4 - انظر الكشاف : 15/3.

يسكنهن الا الرحمن» (الملك 19/67). فالفعل (يقبض) مضارع دال على الزمن العام الممتد من الماضي الى المستقبل، لأن صفة الطيران ملازمة للطير أبدا منذ أن كانت، وقد جاء القبض بصيغة المضارع ليعطي هذه الدلالة الزمنية الخاصة للقبض الذي هو حركة مستمرة أبدا، على عكس صف الاجنحة الذي هو صفة ثابتة. قال المفسرون : فان قيل : لم قال ويقبض، ولم يقل (وقابضات) قلنا : لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة، مدّ الأطراف وبسطها، وأما القبض فطاريء على البسط للاستظهار على التحرك فجيء بما هو طاريء غير أصلي للفظ الفعل على معنى أنهم صافات ويكون، منهمن القبض تارة، بعد تارة كما يكون من السابح(1).

ومنه قوله تعالى «يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس» (الجمعة7/62). حيث دلّ (يسبح) على جميع الأزمنة، لأن التسبيح لله سبحانه وتعالى وهو ديدن جميع ما على هذه الأرض منذ أن كانت تهمل فقد قال الله سبحانه وتعالى «فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار» (فصلت 38/41).

وقال عز وجل «وان من شيء الا يسبح بحمده» (الاسراء 44/17).

قال الرازي : ولا ملك أعظم من هذا، وهو أنه خالقهم ومالكهم وكلهم في قبضة قدرته وتحت تصرفه يسبحون له أثناء الليل وأطراف النهار بل في سائر الأزمان(2).

ومنه كذلك قوله تعالى : «يُدبِّرُ الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فليس هناك مدى زمني محدد للفعلين (يدبِّرُ) و (يعرج)، قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية (يدبر أمر الدنيا كلها

1 - انظر الكشاف 138/4، والتفسير الكبير لفخر الدين الرازي 71/30.

2 - نفسه : 20/30.

من السماء الى الأرض لكل يوم من أيام الله، وهو ألف سنة (وأن يوما عند ريك كألف سنة مما تعدون)، ويعرج اليه : يصير اليه، ويثبت عنده، ويكتب عند ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة الى أن تبلغ المدة آخرها، ثم يدبر أيضا ليوم آخر، وهلم جرا ... الى أن تقوم الساعة(1).

ومن أمثلة يفعل الدالة على الزمن العام الذي يشمل الماضي والحاضر والمستقبل قوله تعالى : «كذلك يضرب الله الحق والباطل» (الرعد 8/13).

وقوله تعالى «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل» (فاطر 13/35).

ومنه قوله تعالى : «ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يزلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله» (43/24).

«الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر» (الرعد 26/13).

«يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه» (النمل 69/16).

«انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» (التوبة 18/9)

«ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» (العنكبوت 45/29).

«مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان» (الرحمن 19/55).

«ما يبديل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد» (ق 29/50).

«يكور الليل في النهار ويكور النهار على الليل» (الزمر 5/39).

«انما يستجيب الذين يسمعون» (الانعام 36/6).

«انما يتذكر أولوا الألباب» (الزمر 9/39).

دلالة يفعل على الاستقبال

يستند (يفعل) في القرآن الكريم على القرائن للدلالة على الاستقبال وهي قرائن تجعل الفعل يساير اتجاه الزمن في السياق القرآني لذلك لم يستطع النحاة الوقوف عندها أو تحديدها. وجاء المفسرون فأومأوا إليها عرضاً وهم يشرحون الايات، فمن ذلك أن يكون (فاعل يفعل) مصدراً مؤلماً من (أن) (ويفعل) وذلك في مثل قوله تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام «اني ليحزنني أن تذهبوا به» (يوسف 13/12).

اذ دل الفعل (يحزنني) على مستقبل قريب، لأن ذهابهم بسيدنا يوسف ومفارقتهم اياه أمران لم يكونا قد حدثا بعد وذلك ينصرف الفعل الى الاستقبال بفضل هذا الفاعل المركب من (أن) الدالة على الاستقبال أبداً، و (تذهب) التي تحولت الى الاستقبال أيضاً بفضل (أن) (1) وكما كان الفاعل المصدر الأول سبباً في صرف (يفعل) الى الاستقبال، فإن المفعول المكون من المصدر الأول الموالي لـ (يفعل) من القرائن الدالة على صرف (يفعل) الى الاستقبال من ذلك قوله تعالى : «قالوا نريد أن نأكل منها» (المائدة 113/5)، وهي استقبال قريب لأنها في سياق تمنّ ورجاء في أن تنزل المائدة فيما يستقبل من الزمن القريب.

قال الرازي وهو يشرح هذه الآية (انا نريد أن نأكل منها فان الجوع قد غلبنا ولا نجد طعاماً آخر. وثانيها، وان علمنا قدرة الله تعالى بالدليل. ولكن اذا شاهدنا نزول هذه المائدة ازداد اليقين والعرفان...) (2) الى آخر شرحه للآية وهو تفسير يبين أن الفعل (نريد) ينصرف الى المستقبل القريب فقط. ومن بين تلك القرائن (يوم) التي غالباً ما تأتي في القرآن للدلالة على قيام الساعة

1 - انظر شرح الآية في الكشاف 306/2.

2 - التفسير الكبير للفخر الرازي 130/12.

لذلك نصرف الفعل المضارع الى المستقبل البعيد. وهذا في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : «يوم تأتي بعض آيات ريك، لا ينفع نفسا إيمانها» (الانعام 158/6) أي تأتي بعض آيات ريك، وهو استقبال بعيد انصرف اليه الفعل المضارع (يأتي) بفضل القرينة اللفظية (يوم).

قال الزمخشري وهو يشرح الآية : (يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة(1)).

وكذلك قوله تعالى : «يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم» (المائدة 109/5).

"فيجمع" لا يمكن الا أن تكون للاستقبال لأن اليوم المراد الذي تصدر الجملة هو (اليوم) يوم القيامة لان جملة يوم يجمع... (ظرف لقوله لا يهدي، أي لا يهديهم طريق الجنة كما يفعل بغيرهم(2) ومنه قوله تعالى : «الله يحكم بينكم يوم القيامة» (النساء 141/4) حيث ينصرف الفعل يحكم في الآية الى المستقبل البعيد بفضل القرينة التي تلت الفعل وهي يوم القيامة ومنه قوله تعالى : «قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور» (الانعام 73/6). ف (ينفخ) للاستقبال بقرينة (يوم) والمراد بها الساعة وهذا ما يوضحه الزمخشري حيث يقول : (يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله : لمن الملك اليوم (قال كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق(3) أنما قوله تعالى «قال الله هذا يوم ينفخ الصادقين صدقهم» (المائدة 119/5)).

فان الفعل "ينفع" في الآية يتأرجح زمنه بين المستقبل والمستقبل البعيد عند المفسرين، لأنهم اختلفوا في تحديد اليوم المراد، هل هو في الدنيا، أو هو في

1 - الكشاف 63/2.

2 - المصدر نفسه 652/1.

3 - نفسه 29/2.

الآخرة أو هو زمن مستمر في الأزل، قال الزمخشري : فان قلت : ما معنى قوله يوم ينفع الصادقين صدقهم أن أريد صدقهم في الآخرة، فليست الآخرة بدار عمل، وأن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد، لأنه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق والرأي عند الزمخشري أن يكون معناه : الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم... الى آخر الآراء التي عرضها الزمخشري(1) فيكون الفعل "ينفع" دالا على الزمن العام عند الزمخشري وعلى المستقبل القريب والبعيد عند الآخرين ولكن الرازي يجعل "اليوم" يوم القيامة والمعنى عنده : أن صدقهم في الدنيا ينفعهم يوم القيامة ودليله في ذلك أن صدق الكفار في القيامة لا ينفعهم(2).

ومن الأمثلة القرآنية التي جاء فيها فعل مقرونة بـ(يوم)دالة على الاستقبال الآيات التالية:

- « يوم نحشرهم جميعا ثم يقول للذين أشركوا أين شركاؤكم » (الانعام 22/6).
- « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » (الاعراف 51/7).
- « اليوم تجزون عذاب الهون » (الانعام 93/6).
- « ألا يوم نأتيهم ليس مصروفا عنهم » (هود 8/11).
- « يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار » (هود 98/11).
- « ربي اغفر لي ولوالدي يوم يقوم الحساب » (ابراهيم 41/14).
- « يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسَّمَاوَات » (ابراهيم 48/14).
- « قال ربّ فانظرنى الى يوم يبعثون » (الحجرات 36/15).

1 - نفسه : 658/1.

2 - التفسير الكبير لفخر الدين الرازي 137/12.

كما تدل (يفعل) على الاستقبال بفضل قرائن تصاحب الفعل أو بفضل السياق الذي يرد فيه الفعل.

من ذلك : الفعل (ترى) في قوله تعالى : « ترى الناس سُكَّارِي وما هم بِسُكَّارِي ولكنَّ عذابَ اللَّهِ شديدٌ » (الحج 2/22) حيث جاء الفعل ضمن حديث عن مشاهد القيامة، وذلك في قوله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها... وترى الناس » (الحج 2,1/22). ومن ذلك (ينادونهم) في قوله تعالى « ينادونهم ألم نكن معكم » (الحديد 14/57) حيث ينصرف الفعل (ينادون) الى الاستقبال البعيد، وأما أنه استقبال بعيد، فلأن الآية تتحدث عن حوار سيتم يوم القيامة. وهذا ضمن السياق الذي جاء في الآيات التالية :

« يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم » (الحديد 14,13,12/57).

ومن ذلك قوله تعالى : « فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قويب نجيب دعوتك وتتبع الرسل » (ابراهيم 40/41)

إذا جاء الفعل "يقول" مصروفا الى الاستقبال بفعل السياق الذي ورد فيه فقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : « وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب » لأن اليوم في الآية هو يوم القيامة على أكثر الأقوال (1) فقد قالوا ان هذا القول يكون منهم يوم القيامة وهم في النار ويرد عليهم : أو لم تكونوا أقسمتم من قبل (2).

1 - البحر 436/5.

2 - نفسه.

وقد تدل "يفعل" على نوع آخر من المستقبل وهو ما يمكن أن نسميه بمستقبل الماضي وذلك في مثل قوله تعالى : « قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» (البقرة/30) وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : واذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، اذ تبين هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى قد اقتضت مشيئته أن يجعل خليفة فيما يستقبل من ذلك الزمن لأن اسم الفاعل في قوله تعالى : جاعل يدل غالبا على الاستقبال (1) والجملتان الفعليتان "قالوا" أتجعل فيها تركيب مكون من "قال" الدالة على الماضي لفظا ومعنى.

"تجعل" الدالة على الاستقبال حسب السياق الذي وردت فيه الآية وبذلك تكون الدلالة الزمنية للفعل (يجعل) هي الاستقبال بالنسبة للفعل الماضي (قال) والشكل التالي يوضح الدلالة الزمنية لهذا الفعل :

| المستقبل | الحاضر | الماضي القريب | الماضي البعيد |
|----------|--------|-------------------------------------|---------------|
| | | أتجعل فيها (مستقبل بالنسبة لقالوا). | 1- قالوا |

حيث يلاحظ أن زمن مستقبل الماضي ينطلق من نهاية الماضي الأبعد ويمكن أن يمتد الى مستقبلنا نحن.

ومنه قوله تعالى : «وكذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون» (البقرة/73)، حيث نجد الفعل (يُحيي) دالا على مستقبل الماضي. والماضي هو قوله (واذ قلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى). فالآية جاءت في سياق

قصصي إخباري ولكن الفعل (يحيى) دال على استقبال ينطلق من ذلك الزمن الماضي الى ما يستقبل من زماننا نحن. قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية (كذلك يحيى الله الموتى) أما أن يكون خطابا للذين حضروا حياة القتل بمجىء وقلنا لهم : كذلك يحيى الله الموتى يوم القيامة ويرىكم آياته ودلائله على أنه قادر على كل شيء (1) وعلى هذا التفسير يمكن أن يمتد من الماضي الى المستقبل البعيد، ومثله قوله تعالى : «أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا نعبد الهك واله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا» (البقرة 133/2). فقد جاءت (يعبد) دالة على الاستقبال بالنسبة للأحداث الماضية المذكورة في القرآن. أما أنها استقبال فلأن القرينة التي جاءت بعد الفعل توضح ذلك وهي (من بعدي) أي من بعد وفاتي، مما يدل على أن زمن تعبدون يمتد الى مستقبل تلك الأحداث الماضية في قوله تعالى (وإذ حضر) و (قال).

ولقد تابعتنا الدلالة الزمنية لـ : (يفعل)(1) في سور من القرآن الكريم
وقمنا برصدها واحصائها من أجل تحليل النتائج المحصل عليها في هذه السور.

| السورة | مجموع صيغ يفعل | يفعل الدالة على الماضي | يفعل الدالة على الحاضر | يفعل الدالة على المستقبل | يفعل الدالة على مستقبل الماضي | يفعل الدالة على الزمن العام |
|---------|-------------------|------------------------------|------------------------------|--------------------------------|--|-----------------------------------|
| البقرة | 77 | 15 | 03 | 03 | 03 | 53 |
| التوبة | 33 | 00 | 00 | 03 | 00 | 30 |
| الأعراف | 26 | 00 | 00 | 03 | 01 | 22 |
| الحاقة | 04 | 01 | 01 | 02 | 00 | 00 |

1 - نقتصر هنا على دراسة (يفعل) المجردة من أدوات النصب والجزم والاستفهام، وكذلك النواسخ التي لها تأثير على دلالتها الزمنية وإنما فعلنا ذلك لأننا سندرس (يفعل) مركبة مع هذه الأدوات في باب خاص.

ومن خلال هذا الجدول نجد أن الدلالة الزمنية لـ : (يفعل) تتوزع في السور المدروسة بالنسب المثوية التي يبينها الجدول التالي :

| النسبة المئوية | السورة | الزمن |
|---|---------------------------------|--|
| 19,50٪ تقريبا 03,90٪ تقريبا 03,90٪ تقريبا 03,90٪ تقريبا 68,83٪ تقريبا | ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ | الماضي الحاضر المستقبل مستقبل الماضي الزمن العام |
| صفر ٪ صفر ٪ 09,09٪ تقريبا صفر ٪ 90,09٪ تقريبا | ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ | الماضي الحاضر المستقبل مستقبل الماضي الزمن العام |
| صفر ٪ صفر ٪ 11,50 تقريبا 03,8 تقريبا 84,6 تقريبا | ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ | الماضي الحاضر المستقبل مستقبل الماضي الزمن العام |
| 25٪ 25٪ 50٪ صفر ٪ صفر ٪ | ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ | الماضي الحاضر المستقبل مستقبل الماضي الزمن العام |

وعند تحليل الأرقام التي تضمنها الجدولان السابقان نجد أن (يفعل) -وهي مجردة- تملك طاقة تعبيرية كبرى عن الزمن إذ استطاعت أن تسع الأزمنة المختلفة : الماضي، الحاضر، المستقبل، مستقبل الماضي، الزمن العام.

وأن الزمن العام هو الدلالة الغالبة الملازمة لهذه الصيغة في القرآن الكريم (حسب ما تبينه نتائج السور المدروسة) لأن (يفعل) غالبا ما تأتي كالصفة الملازمة للذات لها زمن محدد وذلك في مثل قوله تعالى : (الذين يؤمنون) وقوله (الذين يأكلون) وقوله تعالى يخادعون الله) (يولج الليل في النهار... الخ.

وأن الدلالة على المستقبل البعيد إنما تتعاضد في السور التي تعرض لمشاهد القيامة، إذ نجد أن نسبة (يفعل) الدالة على المستقبل البعيد قد بلغت في سورة الحاقة (القيامة خمسين في المئة).

وأن الدلالة على الماضي، ومستقبل الماضي يفعل ورودها في هذه النماذج مما يجعلنا نستنتج أن (يفعل) إنما جاءت في الأصل للدلالة على غير الماضي، لذلك جعلها النحاة مشتركة بين الحاضر والمستقبل مثلما جعلوا (فعل) خالصة للماضي على سبيل الأصل والتغليب.

الفصل الثالث

افعل

- * زمن صيغة افعل في القرآن الكريم.
- * افعل الدالة على الاستقبال.
- * دلالة "افعل" على الاستقرار، الحدث.
- * الدلالة على الزمن العام.

زمن صيغة "أفعل" في القرآن الكريم

رأينا في الباب السابق في هذا البحث، أن صيغة "أفعل" لا تختلف من حيث الدلالة الزمنية عن الصيغ الأخرى، وسرى من خلال استعراضنا لنماذج من القرآن الكريم أن هذه الصيغة تعتبر عن جميع المراحل الزمنية بنسبها المختلفة.

أما أن تتجرد هذه الصيغة من الزمن لعدم تلبس فعل الأمر بالفاعل كما يدعي الأصوليون وبعض النحاة المحدثين، فرأي لا يساير أسلوب العربية في التعبير وما اتفق عليه النحاة من دلالة فعل الأمر على الاستقبال فقط لا يعدو أن يكون قاعدة نسبية لزمن هذه الصيغة إذ لا تصمد هذه لقاعدة طويلة أمام الاستعمال اللغوي، وسرعان ما يقلبها السياق في الأزمنة المختلفة.

وقد وجد أن هناك أفعال أمر، لا تدل على زمن، لأنها لا يمكن حدوثها. من ذلك قوله تعالى على لسان بني إسرائيل : «اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة» (الأعراف 138/7) ومثل قوله عز وجل «وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب» (غافر 36/40) فهذه الأفعال لم تقع، ولم يحدث ولا يحتملها أي زمن لاستحالة حدوثها ولكن هناك أفعال تبين القرائن أنها وقعت فعلا في حيز الماضي وان جاءت على صيغة فعل الأمر الذي أراده النحاة للاستقبال من ذلك قوله تعالى : «وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي» (هود 44/11) فعند الوقوف عند فعلي الأمر "ابلعي" و "أقلعي" نجد أنهما يدلان على مستقبل الماضي، وأن الفعلين واقعان في سياق ماض كما يدل على ذلك السياق القرآني الذي وقع فيه الفعلان ومما يدل على أن هذين الفعلين قد وقعا وتم حدوثهما في الماضي قوله تعالى بعد ذلك «وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي» (هود 44/11).

اذ أنجز الله ما وعد نوحا من هلاك قومه(1) فالفعلان "ابلعي" "اقلعي"
ماضيان بالنسبة لزمن النزول، وان كانا يدلان على مستقبل الماضي المتحدث
عنه.

ومنه قوله تعالى لسان سيدنا يعقوب «يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
وأخيه»(يوسف 87/12) فالفعل "اذهبوا" فعل أمر، ولكنه وقع في سياق
الماضي لأنه فعل تحقق وانتهى أمره، فسياق القصة يبين أن إخوة يوسف ذهبوا
فعلا كما أمرهم أبوهم، فلما دخلوا عليه (أي على سيدنل يوسف عليه
السلام) قالو يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر.....(يوسف 88/12).

ومنه قوله تعالى : «واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا»(البقرة 34/
1) اذ من الواضح أن الأمر الصادر من الله تعالى قد تحقق في حينه
(السجود) أي في الوقت الماضي المحكى عنه، والدليل على ذلك قوله تعالى
فسجدوا : وانما ألمعنا الى تحقق الفعل في الواقع لأن كلمة "اسجدوا" وحدها لا
تدل الى على (طلب ايقاع الفعل في الزمن المطلق استقباله) كما يقول أبو
حيان. ويبدو أن تحديد زمن هذه الصيغة قد أثار خلافا بين المفسرين وهل الأمر
للتراخي أو هو للفور غير أن العطف بالفاء في قوله تعالى : فسجدوا (يدل
على تعقيب القول بالفعل من غير مهلة فيكون الملائكة قد فهموا الفور من
شيء آخر، غير موضوع اللفظ فلذلك بادروا بالفعل ولم يتأخروا)(2) أي أن
سرعة تنفيذ الفعل انما جاءت من وحي الموقف الكلامي ولا فضل لصيغة فعل
الأمر في تحديد الزمن اذ هي (للزمن المطلق استقباله) كما رأينا. ومنه قوله
تعالى : «قلنا لهم كونوا قردة خاسئين» (البقرة 65/2) اذ نجد فعل الأمر :
"كونوا" قد وقع، وتحقق. والدليل على ذلك قوله تعالى : «فجعلناها نكالا لما
بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين»، قال أبو حيان : المراد بهذا الأمر :

1 - انظر الكشاف : 271/2.

2 - انظر آراء المفسرين المختلفة في شرح هذه الآية في البحر : 152/1.

سرعة الكون على هذا الوصف، (ومجازه أنه لما أراد منهم ذلك صاروا كذلك) (1) وقد فسر أبو حيان الآية تفسيراً صافياً انتهى به إلى أن مفهوم هذا الفعل هو الماضي (2). وكذلك قوله تعالى: «فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب» (الشعراء 63/26) إذ وقع فعل الأمر "اضرب" في سياق ماضٍ، وبين ذلك قوله تعالى: فانقلب أي أوحينا إليه أن اضرب... فاضرب، فانقلب ويجب أن نسجل هنا أن قولنا وقع في سياق ماضٍ، لا يعني فقط أن فعل الأمر قد تم إصداره في وقت ماضٍ، وإنما يعني كذلك أنه قد تم تنفيذه وحدوثه في وقت مضى.

ومنه كذلك قوله تعالى: «قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين» (هود 40/11) إذ جاء فعل الأمر "احمل" دالاً على الماضي إذ نحن نفهم من تولى الأحداث في قصة سيدنا نوح عليه السلام أنه قد حمل فيها من كل زوجين تحقيقاً لأرادة الله وذلك في قوله تعالى: «قال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها» (هود 40/12) ومنه قوله تعالى «فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً» (الفرقان 36/25) وقوله تعالى: «فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى» (البقرة 73/2) وقوله تعالى: «وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو» (البقرة 36/2)، وقوله تعالى: «ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق» (ص 33/38)، وقوله تعالى: «قال ألقها يا موسى فألقها فإذا هي حية تسعى» (طه 20/20)، ومثل قوله تعالى على لسان سيدنا سليمان عليه السلام «ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها» (النحل 37/27).

كل هذه الصيغ وإن جاءت على صيغة فعل الأمر فإنها واقعة في سياق الماضي، دالة على أن الحدث، وقع وانتهى فيما مضى من الزمن وينبغي أن

1 - البحر 1/246.

2 - المصدر نفسه 246-247.

نسجل هنا أن هناك صيغا لفعل الأمر، لا ينقطع زمنها في الماضي، بل نجد أن زمنها يمتد الى ما يستقبل من الزمن البعيد، أو الذي لانهاية له، وقد رأينا أن الصيغة وحدها لا تدل الى على (طلب ايقاع الفعل في الزمن المطلق استقباله) كما قال أبو حيان فيما تقدم.

فمن صيغ "افعل" الصادرة في الماضي، الدالة على الزمن المطلق قوله تعالى على لسان سيدنا ابراهيم «ربّ اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام» (ابراهيم 35/14) اذ نجد أن زمن "اجعل" يمتد من الماضي (أي منذ أن صدر هذا الدعاء على صيغة "فعل" إلا أن يرث الله الأرض اذ أنها لحفظ بلد بيت الله في كل زمان ومثله قوله تعالى : «ربّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي» (ابراهيم 40/14) اذ المراد بالذرية نسل سيدنا ابراهيم بدون تحديد في الزمن قال الزمخشري وهو يشرح الآية : "ومن ذريتي" وبعض ذريتي وانما بعض لأنه علم باعلام الله أن يكون في ذريته كفار وذلك قوله : لا ينال عهدي الظالمين(1).

وبذلك يمتد زمن : "اجعل" في "اجعلني" الى الزمن العام الذي ينطلق من الماضي البعيد الى زمن المستقبل الذي قد يمتد الي آخر هذه الحياة. ومنه قوله تعالى : «وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذلك يخرج من بطونها شراب مختلف ألونه فيه شفاء للناس» (النحل 68/16-69) فأفعال الأمر في الآية، وهي "أتخذي" و "كلي" و "واسلكي" لاتدل على المستقبل فقط، ولا على الماضي فقط، وانما يسري زمنها من الماضي السحيق، أي منذ أن أوحى الله الى النحل، الى المستقبل البعيد الذي لن ينتهي، الا بعد فناء النحل، ومن ذلك قوله تعالى : «واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك

ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم» (الاسراء 64/17) فأفعال الأمر: "استفزز" و "اجلب" و "شارك" و "عد" أفعال صدرت في الماضي من الله سبحانه تعالى وفي زمن سابق لزمن النزول. وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : «واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طينا قال أريتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا. قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم» (الاسراء 59/17-60-61-62-63-64-). وقد شرح المفسرون هذه الآية شروحا مؤداها أن إبليس سيمضي في اغواء الانسان. بهذه الأفعال الى يوم القيامة(1) والدليل على ذلك قوله : «لئن أخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا».

"افعل" الدالة على الاستقبال

أولا : "افعل" الدالة على المستقبل القريب المتصل بالحاضر

وذلك في قوله تعالى : «قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم» (الأنبياء 69/21) اذ نفهم من سياق هذه الآية أن فعل الأمر هذا وهو صادر من عند الله سبحانه وتعالى أريد به سرعة الكون لأن الموقف يتطلب ذلك فقد جاء امر الله بعد قولهم : (حرقوه وانصروا آلهتكم). (ولما كانت النار تفعل لما أراده الله منها كما ينفع من يعقل عبّر عن ذلك بالقول لها، والنداء والأمر)(2)... (وقد نزع الله منها طبعها الذي طبعها عليه من الحرّ، والاحراق، وأبقاها على الاضائة، والاشتغال)(3) كل ذلك استعداد السرعة الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى : فالفعل "كوني" في الآية يدل على الزمن القريب الذي يكاد يتصل بالحاضر، ومنه قوله تعالى : «اقرأ باسم ربك الذي

1 - الكشاف 456/2.

2 - البحر : 328/6.

3 - الكشاف : 578/2.

خلق خلق الانسان من علق) (العلق1/96) اذ يستفاد من سياق الاية، ومن شرح المفسرين لها أن "اقرأ" أمر بالشروع فوراً في القراءة قد شرح المفسرون هذه الاية بـ (اقرأ القرآن مبتدئاً باسم ربك)(1) أو (اقرأ مفتتحاً باسم ربك : قل بسم الله، ثم اقرأ حيث أن اقرأ) جاءت في أول اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم- امره اياه بالقراءة حسب ما ترويه كتب التفسير والسيرة(2). ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام «وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها» (هود 41/11) حيث أن فعل "اركبوا" للمستقبل القريب اذ هو أمر من سيدنا نوح لقومه أو ذويه بسرعة الركوب(3) ومنه قوله تعالى : «يا أيها المدثر قم فانذر» (المدثر 1/74) لأن الفعل "قم" دل على ما يستقبل من الزمن القريب فقد فسروا "قم فانذر" بـ : (قم من مضطعك وحذر قومك من عذاب الله(4) فليس يخفي أن السياق يصرف الفعل "قم" في الآية الى المستقبل القريب، وقوله تعالى : «وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين» (الشعراء 214/26) فالفعل " أنذر". (أمر بانذار الأقرب، فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداة بمن يليه، وأن يتقدم اذراهم على غيرهم)(5) فالسياق يوحي بأن الأمر بالانذار محدد بالمستقبل القريب.

وكذلك قوله تعالى : «براعة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر» (التوبة 1/9) فـ "سيحوا" فعل أمر يدل على المستقبل القريب، حيث يفيد السياق والملابسات التي نزلت فيها الاية أن الأمر بالسياحة كان للمستقبل القريب قال الزمخشري : أمروا أن يسيحوا في الأرض

1 - البحر : 492/4.

2 - أسباب النزول.

3 - انظر الكشاف : 270/2 والبحر : 224/5.

4 - التفسير الكبير للفخر الرازي : 190/30.

5 - الكشاف : 131/3.

أربعة أشهر آمنين لا يتعرض لهم(1).

الدلالة على مواصلة الحدث واستمراره

فمن ذلك قوله تعالى : «كلأ لا تطعه واسجد واقترب» (العلق 11/96) إذ يدل الفعلان "اسجد" و "اقترب" على مواصلة السجود والاقتراب والدوام فيها. فقد فسروا "اسجد" بأنها (أمر له بالسجود والمعنى : دم على صلاتك، وتقرب الى ريك)(2) ومنه قوله تعالى : «يا أيها النبي اتق الله» (الأحزاب 1/33) إذ جاء الفعل "اتق" امر بالاستمرار في التقوى. قال الزمخشري : وهو يشرح هذا الفعل : واطب على ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه. ثم قال : وذلك لأن باب التقوى باب لا يبلغ آخره(3) ومنه كذلك قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا» (آل عمران 200/3) حيث جاء الفعلان "اصبروا" و"صابروا" دالين على مواصلة الصبر. فقد جاء بمعنى غالبوا الكفار على شدائد الحرب ولا تكونوا أقل منهم صبورا، وثباتا.

وقد أورد أبو حيان شروحا لهذه الأفعال : أهمها : معاني الانتظار وعدم اليأس من الرحمة، والاستعداد للجهاد(4) ونحن نعلم أن من معاني فاعل : (الموالاة فيكون بمعنى افعل التعدي، كواليت الصوم، بمعنى أوليت.....)(5). ذلك قوله تعالى «والسارق والسارقة فاقطعوا أيدهما» (المائدة 38/5) إذ جاء فعل الأمر : "اقطعوا" حكما يمتد الى جميع الأزمنة المقبلة لأنه حكم عام فهو دال على الدوام والاستمرار باعتباره فرضا على

1 - انظر البحر : 5/5 والكشاف : 172/2.

2 - البحر : 495/8.

3 - الكشاف : 247/3 والبحر : 210/7.

4 - البحر : 149/3.

5 - انظر فتح الافعال وحل الاشكال بشرح لامية الافعال لبحرئ ص: 40 والمغني في تصريف الافعال للاستاذ عبدالحق عضيمة ص118-119.

المسلمين منذ أن بزغ فجر الاسلام الى يوم القيامة. ومنه قوله تعالى «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» (النور 2/24)، وقوله تعالى : «فاعتزلوا النساء في المحيض» (البقرة 2/222) وقوله تعالى : «وقال ربكم ادعوني استجب لكم» (غافر 60/40).

«سارعوا الى مغفرة من ربكم» (الحديد 21/57).

«استبقوا الخيرات» (البقرة 148/2).

«فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير» (الحج 28/22).

«وابتلوا اليتامى» (النساء 6/4).

«وأتموا الحج والعمرة لله» (البقرة 196/2).

«يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن» (الحجرات 12/49).

«اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم» (الطلاق 6/65).

«كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» (البقرة 137/2).

حيث نجد أن هذه الأفعال يتجدد زمنها ويتوالى عبر العصور فهي أفعال مصروفة الى الزمن المستقبل بغير تحديد لأنها جاءت في صيغة أحكام اباحة، أو وجوب على المسلمين.

الدلالة على المستقبل البعيد

وذلك عند تصوير الحوار الذي يتم بين طرفين عند قيام الساعة اذ نلاحظ أن مثل هذه الأساليب تأتي غالبا في سياق وصف مشاهد القيامة. وقد يجيء فعل الأمر مسبقا بفعل ماضٍ تحول الى الدلالة على الاستقبال. أو يعد فعل مضارع

خلص الى الاستقبال فمن أفعال الأمر الدالة على الاستقبال المسبوقة بفعل ماض قوله تعالى : «ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله» (الأعراف/50/7) حيث نجد أن الفعل "أفيضوا" واقع في سياق استقبالي بعيد، وإنما كان استقبالا لأن الآية تصف مشهدا من مشاهد الدار الآخرة. ولأن الفعل "نادى" وان كان ماضيا صيغة، فإنه من قبيل الأفعال التي يراد بها تصوير المستقبل وكأنه وقع فعلا على نحو ما رأينا في الفصل الأول ومن ذلك قوله تعالى : «قال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب» (غافر 49/40) فان الفعل "ادعوا" جاء في سياق مستقبل بعيد هو الدار الآخرة.

ومن ذلك قوله تعالى : «قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالمين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسأوا فيها ولا تتكلمون» (المؤمنون 108,107/23).

حيث جاء فعلا الأمر : "أخرجنا" و "اخسأوا" بعد الفعل "قالوا" الدال على مستقبل معنى. أما أنه مستقبل : فلأن الآيات السابقة تبين أن هذين الفعلين سيقعان في زمن بعيد هو زمن الدار الآخرة وذلك في قوله تعالى : «فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون» (المؤمنون الايتان 102/101) الى قوله تعالى : «ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون» ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: «قال ادخلوا في أمم قد دخلت من قبلكم من الجن والانس في النار» (الاعراف 38/7).

«وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلنا من الجن والانس» (فصلت 25/41).

«ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله» (القصص 75/28).

حيث تأتي دلالة هاتوا علي الاستقبال من حيث إنها جاءت في سياق الحديث عن يوم القيامة في قوله تعالى : «ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذي كنتم تزعمون» (القصص 62/28). وكذلك قوله تعالى : «اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا» (الاسراء 14/17) ، حيث أن فعل الأمر "اقرأ" وقع في مستقبل بعيد هو يوم القيامة (1) فقد جاءت بعد قوله تعالى : «ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا» (الاسراء 14/17)، ومنه قوله تعالى : «ذق إنك أنت العزيز الكريم» (الدخان 49/44). فقد دل فعل الأمر "ذق" على الاستقبال البعيد، حيث جاء بعد أفعال أمر دالة على زمن استقبالي بعيد هو زمن يوم القيامة، وذلك في قوله تعالى : «خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم» (الدخان 48/44). قال الفراء وهو يشرح هذه الآية : على قراءة من قرأ "أنك" بفتح الهمزة : ذق بهذا القول الذي قلته في الدنيا(1) وقد جاءت صيغتا العزيز الحكيم : على سبيل الهزاء، والتحكم بمن كان يتعزز ويتحكم على قومه(2).

وقد اختلف المفسرون في زمن فعل الأمر "ادخلا" في قوله تعالى : «وقيل ادخلا النار مع الداخلين» (التحریم 10/66) وهل هذا القول يوجه اليهم وقت موتهما، فيكون زمن "ادخلا" مستقبلا قريبا، أو كان المعنى : ادخلاها مع الداخلين يوم القيامة وبذلك ينصرف زمن "ادخلا" الى المستقبل البعيد هو زمن قيام الساعة واذ كانت أفعال الأمر السابقة قد دلت على الاستقبال البعيد بفضل السياق الذي وقعت فيه. فان هناك أفعالا دلت على الاستقبال لأنها جاءت مسبقة بفعل مضارع انصرف الى الاستقبال فمن ذلك قوله تعالى : «يقولون ربنا اقم لنا ثورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير» (التحریم 8/66) فقد جاء "الدعاء" : "اقم" دالا على الاستقبال بعد الفعل المضارع "يقول"

1 - الكشاف : 441/2.

2 - معاني القرآن : 43/3.

3 - الكشاف : 507/3.

اذ هو فعل مضارع جاء في سياق استقبالي : وذلك في قوله تعالى : « يوم لا يخزي الله النبي الذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم » (التحریم 7/66) فالمراد "باليوم" في الآية هو يوم القيامة وينقل أبو حيان شروحا لهذه الآية تتفق على أن زمن "يقول" وزمن "أتمم" هو زمن الدار الآخرة فقد قال ابن عباس والحسن : يقولون ذلك اذا اطفئ نور المنافقين وقيل يدعونه تقريبا اليه كقوله استغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل : يقوله من يمر على الصراط زحفا وحبوا الى آخر ما ذهبوا اليه" (1).

ومن ذلك قوله تعالى : «رنا أخرنا الى أجل قريب» (ابراهيم 44/14) اذ وقع الفعل "أخرنا" في سياق الاستقبال، فقد جاء بعد الفعل المضارع "يقول" الذي يصور مشهدا من مشاهد يوم القيامة أما القرينة التي تنقل زمن "أخر" الى المستقبل بعيد هو قوله تعالى : «وأندر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا رنا أخرنا إلى أجل قريب» (ابراهيم 44/14) وقد اختلف المفسرون في شروح هذه الآية، وفي الزمن الذي تشير اليه، وهل هو في الحياة الدنيا يوم موت المافرين أو هو يمتد الي يوم يعرضون على ربهم في الدار الآخرة، فاذا كان الزمن الذي تشير اليه الآية، هو "يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى، فيكون زمن "أخرنا" زمنا دنويا متوسط المدى.

أما أن يصدر هذا الكلام منهم وهم في النار كما يذهب بعض المفسرين فان الزمن يمتد في هذه الحالة الى يوم الآخرة وهو زمن بعيد المدى (2). ومنه قوله تعالى على لسان أهل جهنم : «رنا آتهم ضعفين من العذاب وألعنهم لعنا كبيرا» (الاحزاب 68/33) فقد جاء فعلا الطلب "آتهم" و "ألعنهم" دالين على مستقبل بعيد حيث يشيران الى زمن الدار الآخرة وذلك في قوله تعالى قبل هذه

1 - البحر : 294/8.

2 - الكشاف : 382/2.

الآية : «يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا» (الاحزاب/66،67) (33) ومن ذلك قوله تعالى : «ونقول ذوقوا عذاب الحريق» (آل عمران /181) (3). وقوله تعالى : «ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار» (سبأ /42،34). ونحو قوله تعالى : «ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم» (الكهف /52) (18) ونحو قوله عز وجل : «ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون» (العنكبوت /55) (29).

دلالة "افعل" على زمن غير محدد (صلاحيتها لكل زمان)

وذلك عندما يقع فعل الأمر في جواب الشرط غالبا فيكون بمثابة (قوانين عامة مطلوب تنفيذها، متى ما وجب ما يدعوا اليها، وليست لها مدة تنتهي فيها)(1).

ومنه قوله تعالى : «وان أحد من المشركين استجارك فأجره» (التوبة /6،9) فقد جاء فعل الأمر "أجره" للدلالة على زمن عام : قال الزمخشري بعد أن شرح الآية : وهذا الحكم ثابت في كل وقت(2) ومنه قوله تعالى : «وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر» (التوبة /12) (9)، ففعل الأمر "قاتلوا" لا يدل على زمن محدد، وانما هو يسع جميع الأزمنة -قال الفقهاء : (اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله، لأن العهد معقود معه، على ألا يطعن، فان اطعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة(3) : ومن أمثلة أفعال الأمر التي جاءت جوابا للشرط ودالة على زمن عام قوله تعالى : «فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفأهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا» (النساء /15،4)، ومنه قوله تعالى : «فإن أنستم منهم

1 - الزمن في النحو العربي للدكتور كمال ابراهيم بدرى 224.

2 - الكشاف : 75/2.

3 - المصدر نفسه.

رشدا فادفعوا اليهم أموالهم» (النساء 6/4) وقوله عز وجل: «فاذا حييتم بتحيةة فحيوا بأحسن منها أو ردوها» (النساء 86/4)

وقوله تعالى: «فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم» (النساء 6/4) وقوله تعالى: «وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها» (النساء 35/4)

ومنه قوله تعالى: «فان تابا وأصلحا عرضوا عنهما» (النساء 16/4)

وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا وإن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (الحجرات 6/49).

وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا» (النساء 94/4).

ولقد قمنا بتحليل نماذج لـ "افعل" في سور من القرآن الكريم للوقوف على كيفية توزيعها ونسبة ورودها وامكاناتها التعبيرية عن الزمن، وذلك من خلال الجدولين التاليين في الصفحة المقبلة.

| السورة | مجموع صيغ "افعل" | الماضي | المستقبل القريب | المستقبل البعيد | الزمن المستمر | الزمن العام |
|---------|------------------|--------|-----------------|-----------------|---------------|-------------|
| النساء | 77 | صفر | 25 | صفر | 01 | 13 |
| يونس | 18 | 18 | صفر | صفر | صفر | صفر |
| الكهف | 14 | 07 | 07 | صفر | صفر | صفر |
| الأحزاب | 20 | 01 | 09 | 02 | 05 | 03 |

ومن خلال هذا الجدول نجد أن الدلالة الزمنية لـ صيغة "افعل" تتوزع في السور التي شملها الجدول بالنسب المبينة في الصفحة التالية :

| النسبة المئوية | السورة | الزمن |
|--|---------|---|
| <p>صفر</p> <p>64,1٪ تقريبا</p> <p>صفر</p> <p>02,1٪ تقريبا</p> <p>33,33٪ تقريبا</p> | التين | <p>الماضي</p> <p>المستقبل القريب</p> <p>المستقبل البعيد</p> <p>الزمن المستمر</p> <p>الزمن العام</p> |
| <p>100٪</p> <p>صفر</p> <p>صفر</p> <p>صفر</p> <p>صفر</p> | البقرة | <p>الماضي</p> <p>المستقبل القريب</p> <p>المستقبل البعيد</p> <p>الزمن المستمر</p> <p>الزمن العام</p> |
| <p>50٪</p> <p>50٪</p> <p>صفر</p> <p>صفر</p> <p>صفر</p> | المائدة | <p>الماضي</p> <p>المستقبل القريب</p> <p>المستقبل البعيد</p> <p>الزمن المستمر</p> <p>الزمن العام</p> |
| <p>05٪</p> <p>45٪</p> <p>10٪</p> <p>25٪</p> <p>15٪</p> | الاحزاب | <p>الماضي</p> <p>المستقبل القريب</p> <p>المستقبل البعيد</p> <p>الزمن المستمر</p> <p>الزمن العام</p> |

فمن فضائل هذين الجدولين انهما يبينان بالأرقام كيف أن السياق يقرب صيغة "افعل" في الأزمنة المختلفة. فهي تدل على الماضي بمختلف مراحلها، كما تدل على المستقبل بكل تعرجاته وأن الامكانيات التعبيرية عن الزمن لهذه الصيغة أكبر وأوسع من الدائرة الضيقة التي وضعها فيها النحاة إذ حصروها في الدلالة على مطلق الاستقبال.

ولعل أهم ما نستخلصه من قراءة بعض خانات الجدولين أن دلالة "افعل" على المستقبل القريب أو الزمن العام إنما تتعاضد حيث يراد بها الايحاء بإيجاب تنفيذ حكم شرعي في المستقبل أو تنفيذ متى وجب ما يدعوا الى ذلك ففي سورة النساء تتوزع دلالة "افعل" بين الحلقين الزمنيين المذكورين.

بينما تتكاثر دلالة "افعل" على الماضي عندما تأتي في سياق قصصي (في سورة الكهف).

ولقد رأينا ونحن نختم هذا الباب (الذي خصصناه لزمن الصيغ المجردة الثلاث فعل، يفعل، افعل ومشتقاتها) أن تتابع الدلالات الزمنية لهذه الصيغ في أفعال ثلاثة هي : "أتى"، "جعل"، "دخل" ولأحصائها في جداول، كما فعلنا في بعض السور في نهاية كل فصل وانما حرصنا على رصد هذه الأفعال ومتابعتها، لنعرف كيف تتوزع هذه الصيغ، وتتوزع دلالتها في المادة الواحدة، إذ نستطيع مثلا أن نعرف نسبة وزود "أتى" إيت وكذلك القول في "دخل" و "جعل".

| مجموع الصيغ | الزمن المصام | ماضي المستقبل | المستقبل البعيد | المستقبل القريب | الحاضر | مستقبل الماضي | الماضي | الفعل |
|-------------|--------------|---------------|-----------------|-----------------|--------|---------------|--------|-------|
| 157 | 14 | 02 | 02 | | صفر | صفر | 77 | أتى |
| 61 | 24 | صفر | 15 | 10 | 02 | 02 | 08 | يأتي |
| 62 | 06 | 01 | 01 | 30 | | صفر | 24 | أبت |
| 148 | 09 | | 001 | صفر | صفر | صفر | 138 | جعل |
| 09 | 02 | صفر | صفر | 02 | 02 | صفر | 03 | يجعل |
| 17 | | | | | | | | اجعل |
| 16 | 05 | صفر | صفر | صفر | صفر | صفر | 11 | دخل |
| 14 | 02 | | 08 | 01 | | | 03 | يدخل |
| 28 | 06 | | 11 | | | | 11 | ادخل |

ومن خلال هذا الجدول تتضح لنا كيف تتوزع الدلالة الزمنية للأفعال المدروسة في الحقول الزمنية المختلفة أما نسبة ورودها ودلالاتها الزمنية فانهما تبرزان في الجدول في الصفحة القادمة.

| النسبة المئوية | الفعل | النسبة المئوية بالتقريب | الفعل | النسبة المئوية بالتقريب | الفعل | الزمن |
|---|----------------------------|---|----------------------------|--|----------------------------|---|
| % 68,75 صفر صفر صفر صفر صفر % 31,25 | ع ع ع ع ع ع | % 93,24 صفر صفر صفر % 0,67 صفر % 6,08 | ع ع ع ع ع ع | تقريبا % 88,53 صفر % تقريبا صفر صفر % 1,27 تقريبا % 1,27 تقريبا % 8,91 تقريبا | ع ع ع ع ع ع | الماضي مستقبل الماضي الحاضر المستقبل القريب المستقبل البعيد ماضي المستقبل الزمن العام |
| % 21,42 صفر صفر % 7,14 % 57,14 صفر % 14,2 | ع ع ع ع ع ع | % 33,33 صفر % 22,22 % 22,22 صفر صفر % 22,22 | ع ع ع ع ع ع | تقريبا % 13,11 تقريبا % 03,27 تقريبا % 03,27 تقريبا % 16,39 تقريبا % 24,5 صفر تقريبا % 39,34 | ع ع ع ع ع ع | الماضي مستقبل الماضي الحاضر المستقبل القريب المستقبل البعيد ماضي المستقبل الزمن العام |
| % 39,28 صفر صفر صفر % 39,28 صفر % 21,42 | ع ع ع ع ع ع | % 100 صفر صفر صفر صفر صفر | ع ع ع ع ع ع | تقريبا % 38,70 صفر صفر تقريبا % 48,38 تقريبا % 1,6 تقريبا % 1,6 تقريبا % 9,6 | ع ع ع ع ع ع | الماضي مستقبل الماضي الحاضر المستقبل القريب المستقبل البعيد ماضي المستقبل الزمن العام |

وملاحظة شاملة للجدولين تمكنا من استخلاص النتائج التالي :

1- أن صيغ الأفعال المدروسة تتبادل المواقع الزمنية فتدل "أتى" و "ودخل" و "جعل" على الاستقبال والزمن العام، كما تدل "يدخل" و "يجعل" و "يأتي" و "آيت" و "ادخل" و اجعل" على الماضي.

2- أن الأفعال التي على وزن "فَعَلَ" جاءت نسبتها الدالة على الماضي أكبر بكثير من نسب الدلالات الزمنية الأخرى، وهو ما لاحظناه عندما درسنا هذه الصيغة داخل السور، وهذا يؤكد ما قلناه من أن "فعل" جعلت للماضي على سبيل التغليب والواقع الكلامي وعند مقارنتنا لنسبة ورود "فعل" في السور التي درسناها في الفصل الأول بنسبة تؤكد النتيجة التي ذكرناها، إذ هي نسب تتراوح بين 68 و95٪ وهي نسب مرتفعة.

3- أن "يفعل"، "افعل" لاقتصران على الدلالة على الاستقبال فقط وإنما هي تدل على الماضي بنسب مرتفعة إذ بلغت هذه النسب حسب الجدول : 33٪ في خانة "يفعل" و 38٪ في خانة "آيت" وهي نسبة غير بعيدة كما درسناه في السور إذ نجدها تتراوح بين 25 و64٪.

4- أن صيغة "فعل" بغض النظر عن دلالتها الزمنية) هي الأكثر ورودا في المادة الواحدة (أي أن عددها "أتى" مثلا أكبر من عدد "يأتي" و "آيت" نجد أن مجموع "أتى" في القرآن يبلغ 157 ومجموع "يأتي" 61، ومجموع "آيت" : 62، وبذلك تكون نسبة "أتى" في مجموع مشتقاتها في القرآن 56٪ ونسبة "يأتي" : 1,78٪ ونسبة "آيت" : 22,14٪ ونحصل على نتيجة غير بعيدة كما وجدناه في "أتى" لودرسناه "جعل" و "دخل". لعل مرّد ارتفاع الصيغ التي على وزن "فعل" أن هذه الأخيرة أكثر استجابا للمراحل الزمنية، وأنها تستوعب كل أساليب السرد والقص.

الباب الثالث

الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع النواسخ

obeikandi.com

الفصل الأول

* كان فعل، كان يفعل.

* كان فعل، ان كان فعل.

* كان يفعل والدلالة على الازمنة المختلفة.

* ان كان يفعل.

* من كان يفعل.

كان فعل : كان يفعل

أولاً : كان فعل

رأينا في الباب السابق، أن "كان فعل" في القرآن لها لون زمني خاص، إذ هي تدل على زمن أبعد في الماضي من زمن "كان المختص بالماضي" و "فعل" الدالة على الأزمنة بنسبها المختلفة. ومن تبعات دخول كان على "فعل" أو "يفعل" أنها تصرفها الى الماضي الخالص وبذلك يصبح التركيب فعلين ماضيين لفظاً، أو معنى هما "كان" و "فعل" الا أن "كان" أبعد في الماضي -كما قلنا- من "فعل".

من ذلك قوله تعالى : «وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفراً» (القمر 14/54).

وقد ذهب أبو حيان الى أن كان هنا زائدة : أي جزاء لمن كفروا ونعتقد أن هذا التأويل لا يستقيم مع المعنى المراد في هذا المقام لأن هذه النعم التي أهداها الله انما كانت جزاء لموقف معين في حادثة معينة ولو قدرنا جزاء لمن كفر لأصبح الجزاء عاما يشتمل كل الأزمنة ولقد اختلف المفسرون في معنى "كفر" إذ معنى كُفِرَ عند الزمخشري أن نوحا عليه السلام نعمة مَكْفُورَة "لأن النبي نعمة من الله" ومنهم من فهمها على أنها جزاء للكافرين على قراءة من قرأ "كفر" بصيغة المعلوم والكافرون هم قوم نوح عليه السلام ويصبح المعنى "أن ما نشأ من تفتيح أبواب السماء بالماء وتفجر عيون الأرض والتقاء المائتين من عرق قوم نوح عليه السلام كان جزاء لهم على كفرهم" (1).

ومهما اختلف المفسرون في معنى "كفر" فان "كفر" في هذا التركيب تبقى على دلالتها الزمنية وهي الماضي البعيد : "ولما كان الكفر قد حدث قبل

1 - انظر الكشاف 38/4 ، وانظر البحر 178/8 وما بعدها.

النجاة، فقد عبر عنه بصيغة الماضي البعيد : المكونة من فعلين : ماض يفعل الكينونة وهو "كان" والفعل المراد التعبير عنه في صيغة الماضي وهو "كفر" (1). ومنه قوله تعالى : «لقد كانوا عاهدوا الله من قبل» (الاحزاب 15/33). ولعل موقع هذا التركيب في السياق الذي جاءت فيه الآية يوضح طبيعة الزمن الذي تدل عليه اذ هو يتكون من : -كان- الدالة على ماض زاعد من زمن "الاستئذان" وعند دراسته الاية في السياق الذي وردت فيه، نجد أن هذا التركيب يدل على الزمن الماضي البعيد لأن الآية تتحدث عن زمنين ماضيين أحدهما أقرب وهو الزمن الذي وقع فيه الاستئذان يوم غزوة الخندق في قوله تعالى : «اذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي» (الاحزاب 13/33). وهو زمن مضي، والثاني زمن بعيد، هو الزمن الذي عاهدوا فيه يوم غزوة أحد ألا يفروا بعدما نزل فيهم ما نزل (2).

أن الزمن الذي يشير اليه التركيب "كانوا عاهدوا الله من قبل" فهو زمن أبعد من زمن الاستئذان والدليل على ذلك، وجود "من قبل" اذ التقدير من قبل ذلك، أو من قبل الاستئذان والله أعلم. وشرح أبي حيان الآية يوضح هذا المعنى الزمني : «والذين عاهدوا بنو حارثة وبنو مسلمة، وهما الطائفتان اللتان همتا بالفشل في يوم أحد، ثم تابوا وعاهدوا ألا يفروا فوقع يوم الخندق من بني حارثة ذلك الاستئذان» (3).

1 - مجلة مجمع اللغة العربية مقالة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم للأستاذ/حامد

عبدالقادر ج 10.

2 - الكشاف 254/3.

3 - البحر : 219-215/7.

ومن شأن هذا الجدول الزمني أن يوضح المسار الزمني لهذا التركيب :

| المستقبل | الحاضر | الماضي القريب | الماضي البعيد |
|----------|--------|-------------------|----------------|
| | | زمن الاستئذان | كانوا عاهدوا |
| | | (يوم غزوة الخندق) | من قبل |
| | | | (يوم غزوة أحد) |

ان كان فعل :

رأينا في الباب الأول هذا التركيب قد جاء في سياق شرطي مما جعله يكتسب دلالة خاصة، فلا هو دال على الماضي البعيد لاقتترانه بـ "كان"، ولا هو دال على الاستقبال بأداة الشرط، لذلك اختلف النحاة في الدلالة الزمنية لهذا التركيب فمنهم من جعله للاستقبال وأعطى الغلبة لمعنى الشرط، ومنهم من رأى أن "كان" لا يقلب ماضيها، وأن "ان" لا تقوى على قلبها (1) للاستقبال. أما الرأي الذي نراه مناسباً للمعنى الزمني في هذا التركيب فهو ما ذهب إليه الرضي، إذ هو يرى أن "كان" للشرط في الماضي (2)، وهو رأى توضحه كثير من الشواهد القرآنية في مثل قوله تعالى : «ان كنت قلتة فقد علمته» (المائدة/116).

اذ يتبين من تحليل هذا التركيب أن "كان" مع "ان" تعطي بُعداً زمنياً خاصاً لهذا التركيب إذ تضعه في زمن أبعد في الماضي من جواب الشرط، أي أن "فقد علمته" تال في الزمن لـ "ان كنت قلتة" والمعنى : "اذا حدث وقلت فقد سبق في

1 - انظر ذلك بالتفصيل في الباب الأول الفصل الأول : زمن الفعل عند النحاة.

2 - شرح الرضي على الكافية 265/2.

علمك". والسياق هنا سياق ماض قال الرازي : وهذا مبالغة في الأدب، وفي اظهار الذل والمسكنة في حضرة الجلال، وتفويض الأمور بالكلية الى الحق سبحانه(1)، ومنه قوله تعالى : «فان كان كبير عليك اعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض» (الانعام/35/6).

فعند تحليل هذا التركيب نجد أن "ان كان" تدل على الماضي، لا غير وأن ان الشرطية لا تدل هنا على الاستقبال بل تفيد التبيين والتوضيح والتأكيد على أن الفعل قد وقع أما جواب الشرط فانه لم يقع(2) وهو قوله تعالى : «فإن استطعت...» أي أنه لم يأت تاليا في الزمن لفعلي الشرط فقط ولا جاء دالا على الاستقبال. ومنه قوله تعالى : «ان كان كبير عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت» (يونس/71/10).

فالدلالة الزمنية لهذا التركيب هي الماضي البعيد، لأن المعنى هو الاحتمال أن يكون قد وقع في أنفسهم هذا الأمر (بأن كبير عليهم مقامه) قبل مخاطبة سيدنا نوح عليه السلام اياهم، لأن معنى كبير مقامي "طول مقامي فيكم"(3). أما جواب الشرط فقبل أنه محذوف، وتقديره فافعلوا ما شئتم وقيل هو "فعلى الله توكلت".

كان يفعل

يكاد يتفق النحاة على أن هذا التركيب يدل على أن الحدث كان مستمرا في الماضي(4)، وسنرى أن هذا الحكم يطرد في كثير من النماذج القرآنية، ولكنه لا ينسحب على كثير من الحالات التي أبعد فيها السياق دلالتها عن الزمن

1 - التفسير الكبير للامام الفخر الرازي : 134/12.

2 - البحر 113/4.

3 - البحر 178/5.

4 - انظر فصل زمن الفعل عند النحاة في الباب الأول.

الماضي ليقلبها في مراحل زمنية مختلفة فمن دلالات الماضي قوله تعالى: «وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (البقرة/75).

حين جاء التركيب "كان يسمعون" دالا على الماضي على الرغم من كونه يتشكل من "كان" الدالة على الماضي و "يسمعون" الدال غالبا على الحاضر والاستقبال. فقد جاء في سياق يوحي بذلك، ويشرح الزمخشري "فريقا" منهم بأنهم طائفة فيمن سلف منهم(1) أو بأنهم : "قوم من السَّمْعِينَ المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى، ثم قالوا : سمعنا الله يقول في آخره : ان استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وان شئتم ألا تفعلوا فلا بأس"(2)، وهو شرح يمضي بهذا التركيب الى الماضي البعيد اذ يحدث الفعل في عصر سيدنا موسى عليه السلام. ومنه قوله تعالى : « اذا جاءوكم قالو آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون، وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبس ما كانوا يصنعون» (المائدة/61,62,63).

حيث أن التراكيب "كانوا يكتمون"، "كانوا يصنعون" انما تدل على الزمن الماضي بدهاة لأن "كان" تصرف الفعل الى الماضي ويهمنا أن نتبين المرحلة الماضية التي يشير اليها هذا التركيب. ان السياق الذي جاءت فيه هذه الآيات يفيد أن ماضي هذا التركيب غير بعيد من الحاضر نسبيا، وأن هذه الايات نزلت في "ناس من اليهود كانوا يدخلون على الرسول عليه الصلاة والسلام، ويظهرون له الايمان نفاقا، فأخبره الله عز وجل بشأنهم أنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا"(3).

1 - الكشاف 1/291.

2 - أسباب النزول 17 وانظر البحر 1/272.

3 - انظر الكشاف 1/226، والتفسير الكبير للرازي 1/38.

وقد رأينا كيف دل تركيب مماثل على الماضي البعيد، وهو قوله تعالى :
 "وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم
 يعلمون» ومنه قوله تعالى : «ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
 الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام» (المائدة 75/5). اذ نجد أن "يأكلان
 الطعام" للماضي البعيد هو عهد سيدنا عيسى وأمه مريم عليهما السلام، حيث
 كانا محتاجين الى الطعام أشد الحاجة (1) فدلالة هذا التركيب على الماضي
 تسائر السياق الذي وردت فيه الآية ومنه قوله تعالى : «وكانوا من قبل
 يستفتحون على الذين كفروا» (البقرة 89/2) انما تميز بهذا التركيب هو أنه
 جاء مشفوعا بزمن قبل. اذ من شأن هذه القرينة أن تخصصه بالماضي وتثبتته فيه
 أما عن درجة المضي التي يشير اليها التركيب، فان السياق الذي جاءت فيه
 الآية شرح المفسرين لها ولأسباب نزولها يحددها في زمن غير بعيد فقد قال ابن
 عباس : كان يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر فقالت
 اليهود بهذا الدعاء، وقالت : اللهم أنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا
 أن تخرجه لنا في آخر الأزمان الا نصرتنا عليهم، قال فكانوا اذا التقوا، دعوا
 بهذا الدعاء، فهزموا غطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا
 به (2) فأنزل الله تعالى : «وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
 جاءهم ما عرفوا كفروا به». وهكذا نجد أن سياق الآية يضع هذا المركب الفعلي
 في زمن ماض غير بعيد، إذا حسبنا الزمن بحساب الحقب التاريخية اذا أن
 نزاع يهود خيبر مع غطفان انما كان قبيل البعثة النبوية ونزول القرآن.

ومن دلالات "كان يفعل" على الماضي القريب قوله تعالى : «علم الله أنكم
 كنتم تختالون أنفسكم». (البقرة 187/2) اذ جاءت "كنتم تختالون" دالة على
 وقوع حدث في زمن قريب من الحاضر فقد نزلت هذه الآية مباشرة بعد أن سبق

3 - المصدر نفسه 61/11.

1 - انظر أسباب النزول للنيسابوري : 18.

في علم الله أنهم يختالون أنفسهم أي أن الآية نزلت في قوم عاشوا في عصر البعثة فوقعوا في المعصية بالجماع والأكل بعد النوم (1) أي أن الزمن الذي يدل عليه التركيب هو الماضي المتصل بالحاضر والدليل على ذلك قوله تعالى : «علم الله أنكم كنتم تختالون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم» (البقرة/187).

اذ أن الغاء العاطفة في قوله "فتاب" تدل على الفور بدون تراخ، أي أن التوبة جاءت تالية مباشرة للاختبان.

والرسم التالي يوضح الموقع الزمني الدقيق للتراكيب التي درسناها :

| المستقبل | الحاضر | الماضي القريب | الماضي البعيد |
|----------|--------|----------------|-------------------|
| | | - كانوا يكتبون | "كان فريق منهم |
| | | - كانوا يعلمون | يسمعون كلام الله" |
| | | - كانوا يصنعون | |
| | | - كانوا من قبل | |
| | | يستفتحون | |
| | | - كنتم تختانون | |

ومن الآيات التي جاءت فيها "كان يفعل" دالا على الماضي لفظا ومعنى قوله تعالى : «ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» (البقرة 61/25)، «ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون» (الاعراف 137/7) :

- « تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا » (ابراهيم 10/14)
- « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » (البقرة 141/2).
- « وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » (آل عمران 24/3).
- « ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله » (البقرة 61/2).
- « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه » (المائدة 78/5).
- « ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون » (الأنعام 43/6).
- « وكذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون » (الأنعام 122/6).
- « قالوا أن جئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا » (الأعراف 70/7).
- « يا أهل الكتاب قد جاؤكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب » (المائدة 15/5).
- « قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » (التوبة 65/9).
- « أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون » (يونس 51/10).
- « قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون. » (الشعراء 75/26).
- « ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل » (الزمر 8/39).
- « وانه كان يقول سفيها على الله شططا » (الجن 4/72).
- « ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم » (الاحزاب 52/33).

- « ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم » (سبأ 43/34).

- « ولئن سألتهم ليقولهن انما كنا نخوض ونلعب ». (التوبة 65/9).

ان كان يَفْعَلُ :

استقر رأي النحاة كما رأينا على أن : "كان يفعل" تدل على أن الحدث كان مستمرا في الماضي، فيما يكون عادة أو يكون حالة عامة لأن "كان" عندهم "خلقت للماضي" (1). إلا أن هذا التركيب يفيد دلالات زمنية أخرى عندما تسبقه إحدى أدوات الشرط، "فكان الناقصة لا تقتصر دلالتها على الزمن الماضي، بل تفيد أوقاتا يحكم فيها السياق" (2).

لذلك اضطررنا الى عرض نماذج كثيرة من هذه التراكيب اذ تبين لنا ونحن نحلل دلالاتها الزمنية أن لكل تركيب -تقريبا- طرفه وموقعه الزمني الخاص من ذلك أن "ان كان يفعل" قد لا تدل على زمن خاص ولكنها تدل على حدث يمكن وقوعه في أي وقت. ومن ذلك قوله تعالى : «ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر» (البقرة 2/228)، اذ أن التركيب "ان كن يؤمن" لا يختص بزمن معين، بل أنه يشمل جميع الأزمنة اذ المعنى : أن كل من اتصف بالايان في أي زمان وفي أي مكان، لا يقدم على ارتكاب ما لا يحل له (3). قال أبو حيان وعلق ذلك على هذا الشرط (أي علق تحريم الكتمان على الايمان) ابعادا وتعظيما للكتم (4)، أما جواب الشرط فهو يساير فعل الشرط في الزمن لأنه مقدر من الجملة ذاتها قال أبو حيان : هذا شرط جوابه محذوف على الأصح من المذاهب حذف لدلالة ما قبله عليه، ويقدر

1 - انظر الفصل الخاص بزمن الفعل عند النحاة.

2 - الزمن في النحو العربي للدكتور كمال بدري 86.

3 - البحر : 186/2 والكشاف 366/1.

4 - الكشاف 366/1.

هنا من لفظه، أي : أن كن يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يحل لهن ذلك (1).

ومن ذلك قوله تعالى : «ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» (النور2/24)، اذ نجد أن هذا التركيب يكاد يفقد دلالة الزمنية، فهو لا يقف عند زمن معين، وإنما جاء "من باب التهيج" والهباب الغضب لله ولدينه" (2) أي أن هذا التركيب يخلو من الدلالة الزمنية وينصرف الى معنى نفسي، عاطفي عند صاحب الكشاف، ولكن النظرة المتأنية الى السياق الذي جاء فيه التركيب وهو قوله تعالى : «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله 158واليوم الآخر» (النور2/24). تجعلنا نهتدي الى تيار زمني يسري في التركيب لأن الحكم بالجلد على الزاني والزانية يشمل كافة الناس في كل الأزمنة ويكون معنى (ان كنتم....) أن كل من يؤمن بالله (في سائر الأزمان) يجب ألا نأخذه بهما رأفة فزمن هذا التركيب في رأينا زمن عام لا يختص بمرحلة معينة. أما قوله تعالى : «ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعتكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أحرا عظيمًا» (الاحزاب23,28,29).

فان سياق الآية يصرف التركيب الى الاستقبال فقط، اذا المراد بالزمنين (ان كنتن تردن الحياة.... وان كنتن تردن الله ورسوله) التخبير، والتخبير لا يكون الا في المستقبل فالمعنى الزمني للآية هو : "عليكن من الآن أن تخترن بين الحياة الدنيا وبين الله ورسوله والدار الآخرة" ونحن انما نستوحي هذا التوجيه الزمني مما قاله المفسرون في سبب نزول هذه الآية. يقول أبو حيان : "قال أبو القاسم الصيرفي لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ملك الدنيا

1 - الكشاف 366/1.

2 - المصدر نفسه 47/3.

ونعيم الآخرة فاختر الآخرة، وأمر بتخيير نسائه، ليظهر صدق موافقتهن "الى أن يقول" وروى أنه قال لعائشة وبدأ بها، وكانت أحبهن (أحب النساء اليه) اني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن. فقالت : أفني هذا استأمر أبوي؟ فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة" (1).

فالذي نستخلصه من هذه الرواية أن زمن "إن كنتن" تردن وإنما يصرف الى الاستقبال ولا علاقة له بالزمن الماضي وفي قوله تعالى : «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» (آل عمران31/3).

نجد أن الزمن الماضي أبين في التركيب "ان كنتم تحبون الله" اذ المعنى "ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعون من ارادة عبادته يرضى عنكم حتى يصح ما تدعون من ارادة عبادته يرضى عنكم ويغفر لكم" (2). و "كنتم هنا تنصرف بالحدث "تحبون" الى الماضي دون لبس أو تداخل في الأزمنة على نحو ما فسر الزمخشري في الكشاف وعلى حسب ما جاء في سبب نزول هذه الآية اذ "رغم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل" (3).

ومن الايات التي تضمنت هذا التركيب "ان كان يفعل" قوله تعالى :

- «وان كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس» (النساء12/4)

- «وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكر من الأولين لكنا عباد الله المخلصين» (الصافات167/37).

1 - البحر 226/6.

2 - الكشاف 422/1.

1 - الكشاف 422/1.

- « قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعلقون » (آل عمران 118/3).
- « فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » (النساء/59). (4).
- « فأبي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون » (الأنعام/60/6).
- « يا أيها الملأ افترنى في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون » (يوسف/43/12).
- « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (النحل/43/16).
- « واشكروا نعمة الله ان كنتم إياه تعبدون » (النحل/114/6).
- « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون » (المؤمنون/84/23).
- « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » (النور/2/24).
- « قال رب المشرك والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون » (الشعراء/28/26). (9).

من كان يفعل : (1)

في قوله تعالى : « من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد الى السماء » (الحج/15/22).

هذا التركيب يتشكل من "من" الشرطية الدالة على الاستقبال، و "كان" التي لا تفيد وضعاً الا على الماضي وعلينا في هذا التحليل للتركيب أن نتبين

1 - سوف نقتصر هنا على دراسة من الشرطية لتتبع الأزمنة فيها. أما "من" الموصولة في قوله تعالى : « ذلكم بوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر » (الطلاق/2/65) ونحو قوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » (الأحزاب/21/33) فانها تأتي غالباً للماضي.

المحصلة الزمنية لهذا التركيب، ولقد رأينا في الباب الأول أن الفراء قد ألغى "كان" في مثل هذا التركيب وجعلها زائدة في المعنى وأن الرضى جعله للشرط في المضي (1).

أما (من كان يظن) في الآية فهي تتجه اتجاهات زمنية مختلفة حسب السياق وحسب الشروح التي أعطيت لها. فقد تفيد زمنا عاما لا يراد منه ماض ولا حال ولا استقبال لأن من تفيد التعميم كما يقرر النحاة (2) ولأن معنى الآية : "من كان يظن من حاسديه وأعدائه أن الله يفعل خلال ذلك... فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيضه" (3) أي أن "كان" هنا تستغرق جميع الحساد الأعادي في كل الأزمنة. وقد تفيد الماضي ان كانت "من" هنا خاصة و "كان" تعني "قوما من المسلمين كانوا لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستظنون ما وعد الله رسوله من النصر" (4).

لو كان يفعل

في قوله تعالى : «أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير» (لقمان 21/31).

قبل أن ندرس الدلالة الزمنية للتركيب مجملا يحسن بنا أن نقف عند أجزائه، فالتركيب يتكون من أداة الاستفهام "أ" ويراد بها انكار الواقع في هذا المقام (5)، و "لو" وهي حرف شرط في المضي (6) تقتضي امتناع ما يليه

1 - انظر الفصل الذي خصصناه لزمان الفعل في الباب الأول.

2 - الصاحبى لابن فارس 173.

3 - الكشاف 8/3.

4 - الكشاف 8/3 وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة 46/2.

5 - أساليب الاستفهام في القرآن د/عبدالعليم السيد فودة 31.

6 - انظر الاتقان للسيوطي 147/1. قال المرادي : لو : حرف يدل على تعليق فعل بفعل فيما مضى. انظر الجني الداني في حروف المعاني ص274. وانظر المعنى 255-272.

واستلزامه لتاليه "عن ابن عباس قال : كل شيء في القرآن "لو" فانه لا يكون أبدا"(1)، و "كان" التي تفيد الماضي وضعا كما قلنا فاذا جئنا الى السياق الذي ورد فيه هذا التركيب نجد أنها وقعت بعد قوله تعالى : «واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا» (لقمان21/31).

فالشطر الأول من الآية يتكون أيضا من شرط وجواب يفيد تكرار الحدث في الماضي على الأرجح (من قوله تعالى : اذا قيل... الى قالوا)، ثم جاء التركيب أو "لو كان" جوابا على ما جاء في الشطر الأول، ويبدو أن هذا التركيب فيما شرح المفسرون يتجه الي الماضي. قال أبو حيان : "أو لو كان" تقديره : أيتبعونهم في أحوالهم، وفي هذا الحال التي ينبغي أن لا يتبع فيها الآباء لأنها حال تلف وعذاب(2)، أي أن المؤدى الزمني للآية هو : أيتبعون آباءهم حتى وان كان شيطان فيما مضى من الزمان، يدعوهم الى عذاب السعير، وقد رأينا أن جميع الأجزاء التي يتشكل منها هذا التركيب تفيد الماضي فكأنه يفيد امتناع وقوع الحدث في الماضي، وكذلك قوله تعالى : «وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون» (العنكبوت41/29) اذ يفيد التركيب الزمني الماضي، أن المعنى الزمني : لو علموا ذلك. قال أبو حيان : وقوله : لو كانوا يعلمون ليس مرتبطا بقوله : وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لأن كل أحد يعلم ذلك، فلا يقال فيه لو كانوا يعلمون، انما المعنى لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم(3) أي لو علموا أن دينهم أوهن الأديان لأقلعوا عنه.

ومن أمثلة هذا التركيب في القرآن قوله تعالى : «أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون» (يونس42/10)، وقوله تعالى : «وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» (العنكبوت64/29). وقوله عز وجل : «وللعذاب

1 - الاتقان 174/1.

2 - البحر 190/7.

3 - البحر 152.

الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون» (الزمر 26/39) وقوله تعالى : «قل أو لو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون» (43/39).

ما كان ليفعل

وهو تركيب يتكون من "كان" الدالة بالوضع على الماضي ولام المجرور التي
تفيد المستقبل بأحد الاعتبارين : أما لكونها تأتي قبل أن المضمر الدالة على
الاستقبال، وأما لأنها تقوم مقام أن، فقد "جعلت اللام مكان أن" مما يطلب
المستقبل "(1)". هذا هو حكم النحاة على هذا التركيب من الناحية الزمنية،
ولكننا عندما ندرس هذا التركيب في السياق القرآني نجد أنه لا يفيد
بالمستقبل وحده. من ذلك قوله تعالى : «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون» (الأنفال 33/8).

وقد جاءت الآية بعد قوله تعالى : «وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من
عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتينا بعذاب أليم» (الأنفال 32/8).
فالسباق الذي جاء فيه التركيب لا يدل على المستقبل، وإنما هو يشير الى زمن
غير محدد أو بالأحرى هو يسري من الزمن الماضي وينطلق الى زمن غير
استقبالي يتعلق بمحديده بظرف زمني آخر اذ معنى الآية : أن العذاب لم ينلهم
لأن الرسول كان فيهم ولن ينالهم ما دام بين ظهرانيهم قال الزمخشري وهو يشرح
الآية : "اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن نعذبهم، وأنت بين أظهرهم غير
مستقيم في الحكمة لأن عبادة الله، وقضية حكمته لا يعذب قوما عذاب
استئصال... ما دام بين أظهرهم، وفيه اشعارهم بأنهم مرصودون بالعذاب اذا
هاجر عنهم"(2).

1 - معاني القرآن للفراء 262/1 وانظر كتاب للامات لأبي القاسم الزجاجي ص71/68 وهامش
ص71.

2 - الكشاف 155/2-156.

فالزمن الذي يدل عليه هذا التركيب هو زمن وجود الرسل بين كفار قريش، والدليل على ذلك قوله تعالى في الآية التالية لنها : «وما لهم ألا يعذبهم الله» (الأنفال8/34) "كأنه قال : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم"(1).

أما قوله تعالى : «كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله» (يوسف12/76) فلا يمكن الا يكون للماضي لأن السياق الذي جاد فيه التركيب يدل على أن "ما كان ليأخذ" تشير الى حادثة معينة وقعت في زمن ماض، وما كان ينبغي فعلها لأن "ما كان يحكم به السارق أن يغرم مثل ما أخذ لا أن لايلزم ويستعبد"(2)، ومن المواطن التي جاء فيها هذا التركيب دالا على الزمن العام قوله تعالى : «فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» (التوبة9/70).

حيث ان الله منزه عن الظلم في سائر الأزمنة لذلك يمتنع أن يكون «ما كان الله ليظلمهم» دالا على الماضي فقط، أو على المستقبل فقط وانما هو يشير الى زمن أزلي، لا أول له فيما مضى ولا آخر له فيما يستقبل من الزمن، وقد فسر المفسرون الآية التي جاء فيها هذا التركيب بما يساير المعنى الزمني الذي حددناه قالوا : فما كان الله ليظلمهم : ما كان الله ليطلع عقوبته في غير مستحقها اذ الظلم وضع الشيء في غير موضعه(3).

وقالوا : "فما صح منه أن يظلمهم : وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم، ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه(4). ومنه قوله تعالى : «وما كان ليظلم قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما

1 - المصدر نفسه.

2 - الكشاف 334/2 والبحر 332/5.

3 - البحر 70/5.

4 - الكشاف 202/2.

يقول بعض المفسرين "ان الآية" نزلت في ظرف معين ولسبب معين، وهو رفع لبس عن قوم ماتوا "وكان عملهم على الأمر الأول كاستقبال بيت المقدس، وشرب الخمر فسأل قوم الرسول بعد مجيء النسخ ونزول الفرائض عن ذلك فنزلت" (1) أي أن زمن "ما كان الله ليظل" ينحصر في زمن محدد هو الزمن الماضي الذي عاش فيه هؤلاء القوم هذا هو المعنى الزمني المباشر للتركيب فجعلنا نميل الى القول، أن زمن "ما كان الله ليضل" زمن عام يشمل الأزمنة التي سبقت البعثة النبوية والتي جاءت بعدها الى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأن سياق الآية يوحي بأنه حكم عام وهو مؤاخذة عباده المهتمدين الذين اترفوا اثما لم يتقدم منه نهى عنه، فقد جاءت للفظ العموم وهو قوله تعالى : "وما كان الله ليضل قوما" بتنكير قوم دلالة على تعميم اللفظ ولو أراد التخصيص لقاء "القوم" : وقال الزمخشري وهو يشرح الآية : "يعني ما أمر الله باتقائه، واجتنابه كالاستغفار للمشركين، وغيره مما نهى عنه، وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام، ولا يسميهم ظلالة الا اذا أقدموا عليه بعد بيان خطره عليهم وعلمهم بأنه واجب الاجتناب، وأما قبل العلم والبيان، فلا سبيل عليهم، كما لا يؤاخذون بشرب الخمر الى أن يقول : "وفي هذه الآية شديد ما ينبغي أن يغفل عنها وهي أن المهدي للإسلام، اذا أقدم على بعض محظورات الله دخل في حكم الاضلال(2)، أي أن الزمخشري في آخر هذا النص يستخلص أن الفعل يصلح لكل زمان.

ومنه قوله تعالى : «وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون»(هود/11/116) حيث جاء التركيب "وما كان ربك ليهلك القرى" دالا على الزمن العام لأن الله سبحانه وتعالى منزه عن الظلم. قال الزمخشري :

1 - البحر 106/5.

2 - الكشاف 219/2.

"واستحال في الحكمة أن يهلك القرى ظالما لها(1) ويفسر أبو حيان الآية تفسيرا ينفق مع الزمن الذي يدل عليه التركيب يقول : "وما كان الله ليعذب أمة يظلمهم في معاصيهم وهم مصلحون في الايمان"(2).

وقوله تعالى : «وما كان الله ليطلعهم على الغيب»(آل عمران3/179). حيث تفيد عموم الزمن" لأن سنة الله بأنه لا يطلع عوام الناس على غيبه... فأما معرفة ذلك على سبيل الاطلاع فهو من خواص الانبياء"(3) أي أن الله حكم با لا يطلع عامة الناس على غيبه في سائر الأزمان ولهذا استثنى أنبياءه من هذا الحكم فقال تعالى : «ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء»(آل عمران3/179)، والمعنى "ولكن الله يصطفي من رسله من يشاء فخصهم باعلامهم أن هذا مؤمن وهذا منافق(4).

كان يفعل والحالة على ماض المستقبل :

لم يكد يلتفت اللغويون والمفسرون الى هذه الدلالة الزمنية الخاصة "كان يفعل" اللهم الا ما أشار اليه السيوطي في الاتقان نقلا عن الرازي أن "كان" تفيد الاستقبال في نحو قوله تعالى: «يخافون يوما كان شره مستطيرا»(الانسان7/76)(5) ولقد تبين لي وأنا أرصد هذا التركيب في القرآن أنه يدل على زمن خاص لا هو للاستقبال ولا هو للماضي الخالص لأنه تركيب مسبوق غالبا بفعل ماض دال على الاستقبال و : "كان" الدالة على الماضي بالوضع "يفعل" الدالة على الاستمرار في الماضي، وتكون المحصلة النهائية لهذا التركيب هي مستقبل الماضي. ومن الامثلة القرآنية لذلك قوله

1 - المصدر نفسه 298/2.

2 - البحر 272/5.

3 - التفسير الكبير للفخر الرازي 111/9.

4 - المصدر نفسه.

5 - الاتقان 168/1.

تعالى : «وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون اذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون» (الرافعة46/56) اذ عدنا نضع هذه الاية في السياق الواسع الذي أدرجت فيه نجد أنها واقعة في زمن استقبالي دل عليه فعل ماض جاء في أول سورة الواقعة وهو قوله تعالى : «اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجًا ويست الجبال بسا»(الواقعة56,1,2,3,4,5) حيث جاءت الافعال الماضية (وقعت ورجت ويست) دالة على المستقبل البعيد هو يوم القيامة. قال الزمخشري وهو يشرح "وقعت الواقعة": كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة، والمراد يوم القيامة(1).

فالتركيب "كانوا يصرون" واقع في سياق المستقبل الذي لم يقع بعد وهو زمن يوم القيامة، وبما أن "كان" للماضي فهي تدل على ماضي هذا المستقبل وليس دالا على الماضي بالنسبة لحاضرنا لأن هذه الكلمة ستحق عليهم يوم القيامة، أي أن "كان" تدل على كل الأزمنة التي تكون قد مضت قبل يوم القيامة، فهو زمن يشمل جميع أصحاب الشمال الذين عاشوا قبلنا والذين سيأتون بعدنا الى يوم القيامة لقوله تعالى : «وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم»(الواقعة41/56-46).

ولعل الجدول التالي يبين الدلالة الزمنية الدقيقة لهذا التركيب :

| | | |
|----------------------------------|--------------------|---------|
| المستقبل البعيد (يوم القيامة) | المستقبل القريب | |
| إذا وقعت الواقعة | المستقبل | |
| إذا رجعت الأرض | كـانـوا يـصـرون | ماضي |
| | يـقـولـون | كـانـوا |

ومنه قوله تعالى : « قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نحوض مع الحائضين وكنا نكذب بيوم الدين » (المدثر 43/47).

حين جاء التركيبان "كنا نحوض" و "كنا نكذب" دالين على ماضى المستقبل لأن السياق الذي وقع فيه يدل على زمن بعيد هو زمن الدار الآخرة والفعل "قالوا" الذي تصدر الآية الأولى قد صرف المعنى الزمني الى المستقبل على نحو ما هو طرد في الاسلوب القرآني، أما أنه مستقبل فلكون الايات التي سبقت هذا التركيب تضعه في زمن يوم القيامة وهو قوله تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقرا » (المدثر 39/42).

وبما أن التركيب يتشكل من "كنا" و "نحوض" فإن "كنا" تجعل الفعل المضارع "نحوض" ماضيا للمستقبل البعيد وهو يوم القيامة. قال الرازي وهو

يشرح الآية : "والمعنى : أنا بقينا على انكار يوم القيامة الى وقت الموت(1)،
ويصبح المعنى الزمني للآية : سيقولون يوم القيامة: "كنا نخوض مع الخائضين
على نحو ما هو مبين في الجدول التالي :

| | | |
|----------------------------------|------------------------------------|----------|
| المستقبل البعيد (يوم القيامة) | المستقبل القريب (الحياة الدنيا) | الماضي |
| | | |
| | المستقبل | ماضي |
| | | كنا نخوض |

ومن التراكيب الدالة على ماضي المستقبل قوله تعالى : «يضاعف لهم
العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون»(هود20/11) وقوله
تعالى : «شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا
يعلمون»(فصلت20/41).

- وقوله تعالى : «فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي
كانوا يعلمون»(فصلت27/41).

- وقوله : «أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا
يعلمون»(الاحقاف14/46).- وقوله سبحانه وتعالى : «فما أغنى عنهم
سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 211/30.

بهم ما كانوا به يستهزؤون» (الاحقاف 26/46).

يكون يفعل (كان وخبرها فعلا مزارعان)

أما "يكون يفعل" فلم ترد منها الا صيغ قليلة لا تتجاوز سبع مرات وهذا حسب الاحصاء الذي قمنا به لهذا التركيب وقد جاءت مسبوقة بأحد الادوات التالية :

"لم" في نحو قوله تعالى : «لم نك نطعم المسكين» (المدثر 44/7).

أداة الشرط "ان" في نحو قوله تعالى : «إن تكونوا تألمون فإنهم يأسلمون كما تألمون» (النساء 104/4) مع لم الجازمة ولام الجحود في قوله تعالى : «لم يكن الله ليفقر لهم ولا ليهدبهم سبيلا» (النساء 137/4). ولقد وجدنا أن الدلالات الزمنية لهذه التراكيب مع الادوات السابقة لا تختلف عما تدل عليه "كان" مع هذه الادوات، فقد رأينا مثلا أن "كان" مع أدوات الشرط ومع لام الجحود تفيد غالبا عموم الزمن وهذا ما دلت عليه التراكيب (أن يكونوا، لم يكونوا...) أما يكون مع "لم"، و "لم يكن" فميزتها عن كان أنها تأتي لنفي الحدث في الماضي.

ولإجمال ما درسناه في هذا الفصل قمنا برصد التراكيب "كان يفعل" و "كان فعل" ، "يكون يفعل" وذلك للوقوف على نسبة ورودها وتنوع معانيها الزمنية وذلك بفضل الجداول التالية :

المجدول الأول يحصي معدلات تكرار "كان فعل" و "كان يفعل" و "يكون يفعل" مجردة ومسبوقة باحدى الأدوات وجميع مشتقاتها (كانوا، كن، كنتم، كنت... الخ).

| كان فعل | ان كان فعل | كان يفعل | ان كان يفعل | من كان يفعل | لو كان يفعل | ما كان يفعل | لم تكن فعل | لم يكن يفعل | ان تكونوا تفعلون |
|---------|------------|----------|-------------|-------------|-------------|-------------|------------|-------------|------------------|
| 04 | 12 | 167 | 22 | 18 | 15 | 18 | 02 | 04 | 01 |

الفصل الثاني

الدلالة الزمنية للصبغ الفعلية مع بقية النواسخ

* المجموعة الاولى : أصبح.

* المجموعة الثانية : ظل، مازال، ما فتئ.

* المجموعة الثالثة : المقاربات كادوا أخواتها.

* المجموعة الرابعة : أفعال التمني والرجاء

في القرآن الكريم.

"يفعل" مع بقية النواسخ

ينصرف هذا الفصل الى دراسة الجوانب الزمنية في النواسخ الاخرى مع "يفعل" التي وردت في القرآن الكريم. وانما افردنا لـ "كان" وحدها فصلا وأجملنا بقية النواسخ في فصل واحد لأن كان -وهي أم النواسخ- قد وجدناها الأكثر ورودا. واستشارا بتكوين الصيغ بالأزمنة المختلفة، بحيث بلغ عدد المرات التي ذكرت فيها في القرآن نحو 1300 ولأنها وهذا هو الأهم لها دلالتها الزمنية الخاصة التي تكاد تنفرد بها بين أخواتها الناسخات اذ هي تستعمل غالبا لافادة استمرار الحدث في الزمن الماضي مع "يفعل" وعلى الماضي البعيد مع "فعل" كما رأينا. كما تدل على استمرار مضمون الخبر من الماضي الى المستقبل على نحو ما سنرى وهذا ما لم توجد قرينة فصرفها بغير ذلك، أو تقع في سياق خاص يضعها في زمن معين كما رأينا(1).

أما بقية النواسخ، فهي مجموعات صغيرة في القرآن لكل معناها الخاص، ولونها الزمني الخاص على نحو ما سنرى.

المجموعة الاولى

وينحصر زمنها في فترة معينة وهي :

بات : وتفيد فترة تستغرق المساء والليل.

أضحى : تفيد فترة الضحى.

أمسى : تفيد فترة المساء.

أصبح : تفيد فترة الصباح(2).

1 - الزمن في النحو العربي للدكتور كمال ابراهيم 83-84.

2 - المصدر نفسه.

ولم يرد من هذه الافعال في القرآن الكريم مع "يفعل" الا "اصبح" بصيغة الماضي وأصبح فعل ماض ناقص، تفيد مع معموليها -اسمها وخبرها- اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافا يتحقق صباحا في زمن يناسب دلالة الصيغة وشاركها في حروفها وهو فترة الصبح وهو جزء من أجزاء اليوم وبذلك لا تدل على فترة الضحى أو المساء أو الليل، أو غيرها من أجزاء الزمن (فأصبح لاقتران مضمون الجملة بالزمان الذي يشاركها في الحروف)(1). (واذا قالوا. أصبح عبدالله منطلقا فانما المعنى : أتى الصباح وعبداله منطلقا)(2). ويرى النحاة أن صيغة المضارع من "أصبح" تدل على زمن الحال والاستقبال مثلها مثل صيغة "يفعل" مشتقة من الافعال التامة. قال الرضي : فمعنى "أصبح" "زيد" أميرا أن اماره زيد مقترنة بالصبح في الزمن الماضي ومعنى يصبح قائما : ان قيامه مقترن بالصبح في الحال والاستقبال وكثيرا ما تأتي "أصبح" بمعنى "صار"، فتفيد التحول من الحال الى حال فتخرج بذلك عن نطاق الصبح الذي يشاركها في حروفها فنقول أصبح فلان عالما بمعنى صار كذلك، أي انتقل من الحالة القديمة الى حالة كونه عالما(3) وبهذا المعنى جاء "أصبح يفعل" في القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : «وأحيط بشجرة فأصبح يقلب كفيه على ما أتفق فيها»(الكهف/18/42) أي تحول من حالة النجاة الى حالة الهلاك لأن (أحيط به عبارة عن اهلاكه، وأصله من أحاط به العدو.... ومنه قوله تعالى الأ أن يحاط بكم)(4).

لذلك صار يقلب كفيه كناية عن الندم والتحسر (لأن النادم يقلب كفيه ظهرا البطن)(5) فيصبح المعنى، تحول في الماضي من حالة النجاة والعزة، الى حالة

1 - القانون في النحو للجزولي : 46.

2 - الأصول في النحو للسراج : 93/1.

3 - شرح الكافية : 255-296.

4 - الكشاف للزمخشري : 485/2.

5 - المصدر نفسه.

الهلاك والندم والتحسر.

غير أن أبا حيان قد جاء بتفسير يجعل "أصبح" في هذا المقام تفيد الصباح قال : (الظاهر أن الاحاطة كانت ليلا، لقوله فأصبح)(1) فيصبح المعنى : أقبل عليه الصباح وهو هالك نادم.

ولكن الاحتمال الاقرب عند أبي حيان (أن يكون معنى فأصبح، فصار فلا يدل على تفيد الخبر بالصبح) اذ لما كان هذا الفعل (يقلب). كناية عن الندم، عداة تعدية فعل الندم، فقال على ما اتفق فيها كأنه قال : فأصبح نادما على ذهاب ما اتفق في عمارة تلك الجنة وهي خاوية على عرشها(2).

ومنه قوله تعالى : «وأصبح الذين تمنوا مكانة بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له»(القصص28/82) ولكي ندرك أن أصبح هنا بمعنى "صار" (أي تفيد التحول من حال الى حال) نعود الى السياق الذي وردت فيه الآية، وذلك في قوله تعالى : «ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنسى نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين»(القصص28/76,77).... الى قوله تعالى : «فخرج على قومه في زينته. قال الذين يريدون الحية الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم. وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخشفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين»(القصص79/81-28).

1 - البحر المحيط لأبي حيان 130/6.

2 - المصدر نفسه.

اذ نفهم من قراءة الايات السابقة أن هذه الفئة التي كانت تتمنى أن نعيش عيشة قارون في عزه ومجده قبل الخسف أصبحت بعد الخسف راضية بما رزقها الله من عيش ويقول : «لولا أن من الله علينا لخسف بنا» (القصص 82/28) بعد أن تبين لهم خطأهم في تمنيتهم (1). هناك من المفسرين من حمل "أصبح" على ظاهره باعتبار أن الخسف به وبقاره كان ليلا ويستدلون على ذلك بالعطف بالفاء التي تقتضي التعقب في قوله "فخسفنا" غير أن سياق الآية يوحي بأن المراد بالامس الزمن الماضي وهو تعبير شائع في القرآن ومنه قوله تعالى في سورة القصص «فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه» (القصص 17/28) اذ كان المراد بالامس في هذه الآية زمنا انقضى منذ وقت.

المجموعة الثانية

وتفيد الاستمرار وهي :

ظل، مازال، مانفك، ما فتئ، ما برح، مادام، وهي تفيد غالبا الماضي مع الاستمرار فيه، ولقد ورد من هذه الأفعال في القرآن "ظل يفعل" و "فتئ يفعل".

ظل ووظيفتها وزمنها

تفيد ظل مثل أصبح انساق اسمها بمعنى خبرها اتسافا يتحقق طوال النهار غالبا من الصباح الى المساء، ولذلك عرف الجزولي "ظل" بأنها تأتي لمصاحبة الصفة للموصوف نهار قال الرضي : (معنى ظل زيد متفكرا: كان في جميع النهار كذلك) فاقترن مضمون الجملة، وهو تفكر زيد بجميع النهار مستغرقا له ويقترن أيضا بزمانه الآخر المدلول عليه بالصيغة، أي الماضي والحال الاستقبال وتصريفه ظل يظل ظلولا (2)، أي أن الصيغة الماضية في "ظل" تدل

1 - القانون في النحو : 46.

2 - شرح الكافية 295/2.

على الماضي والمضارع منها يدل على الحال والاستقبال. وقد تخرج "ظل" عن مدلولها، فتستعمل بمعنى "صار" وتفيد التحول من حال الى حال ولا تفيد بوقتها وهو طول النهار(1).

ومن استعمالات ظل "يفعل" في القرآن الكريم قوله تعالى : « ولي فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون» (الحجر 15/14) فقد جاءت "ظلوا يعرجون" لمصاحبة الصفة للموصوف طول النهار وبين هذا المعنى من السياق الآية وتفسيرها اذ جاءت مدرجة في سياق قوله تعالى : « ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون» يقول الزمخشري وهو يشرح هذه الآية (أي هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه اعجازه وولج ذلك في قلوبهم وقر، ولكنهم قوم سجيتهم العناد، وشيبتهم الجحود حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاها الى الايمان بضروة المشاهدة، وذلك بأن يفتح لهم بابا في السماء، ويعرج بهم اليه، حتى يدخلوا منه نهارا والى ذلك أشار بقوله لظلوا، لأن الظلول، انما يكون نهار لقالوا بعد الايضاح العظيم المكشوف : انما سكرت أبصارنا وسحرنا محمد(2) وانما استشهدنا بهذا النص الطويل لنهتم بالسياق العام الذي وردت فيه "ظل" وكيف أنها جاءت لافادة استغراق فترة النهار ولم تأت بمعنى صار قال أبو حيان : (وجاء لفظ "ظلوا" مشعرا بحصول ذلك في النهار لكي يكونوا مستوضحين لما عاينوا)(3) ومنه قوله تعالى : «ولو نشاء لجعلنا حطاما فظلمت تفكهمون». (الواقعة 65/65) اذ يذهب أغلب المفسرين أن ظلمت تفكهمون جاءت

1 - القانون في النحو 46.

2 - الكشاف 388/2.

3 - البحر 448/5.

على الأصل أي "ظلتتم" وقد رأينا "ظل" تأتي دالة على معنيين فقد تأتي للدلالة على استغراق فترة النهار كما تأتي للدلالة على التحول فتأتي بمعنى "صار" وإذا عدنا الى سياق الآية نجد أن ظل هنا جاءت بمعنى التحول الذي تدل عليه "صار" فعندما نقرأ الآية السابقة وهي قوله تعالى : «أفأرأيتم ما تحرقون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلنا حطاما فظلتتم تفكهنون» (الواقعة-65/63/65) نجد أن ظل هنا لا علاقة لها باستغراق النهار وإنما هي تفيد التحول من حالة الرضا عن خصب ثنائها الى حالة العجب والاندھاس من جذب الارض وحطامها ويشرح الزمخشري تفكهنون به تعجبون، وعن الحسن رضي الله عنه تندمون على تعبككم فيه، واتفاقكم عليه، أو على اما اقترفتم من المعاضي(1).

ما فتئ

لا تأتي في العربية الا وهي مسبوقه بأداة نفي في حال نقصانها اما ملفوظة واما مقدرة ولا تحذف منها الأداة الا في الفعل المضارع منها في جواب القسم مثل قوله تعالى: «تا الله تفتأ» (يوسف 85/12) وهي تفيد اتصاف اسمها بمعنى خبرها اتصافا مستمرا في الماضي ومنطلقا الى المستقبل غالبا. قال ابن عصفور : (وأما، مازال، ما فتئ فللدلالة على ملازمة الصفة للموصوف منذ كان قابلا لها على حسب ما قبلها(2) وبهذا المعنى الزمني وردت "يفتأ" في القرآن الكريم بصيغة المضارع ومجردة من "ما" النافية، وذلك في قوله تعالى : «تا لله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين» (يوسف/85 12) قال الزمخشري : أراد لا تفتأ فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالاثبات ومعنى لا تفتأ : لا تزال وعن مجاهد : لا تفتتر من حبه(3) (كأنه جعل الفتوى،

1- انظر الكشاف 57/4 وتفسير القرطبي 219/17 والبحر المحيط لأبي حيان 211/8.

2 - المقرب 193/1.

3 - الكشاف 339/2.

والفتور أخوين(1) وهكذا جاءت تفتوا في القرآن بالمعنى الذي أسلفنا ذكره وهو الاستمرار وسريان الحدث من الماضي الى الحاضر، الى المستقبل وكأنهم قالوا له : (لاتزال تذكر يوسف الى حال القرب من الهلاك)(2).

مازال

قال السيوطي : ما زال وأخواتها تدل على ملازمة الصفة من كان قابلا لها على حسب ما قبلها، ولا تأتي زال الا وهي مقترنة بأداة النفي، ان كانت ماضية، فبما و"لم"، و"لا" في الدعاء وان مضارعة، فبما، و"لا" و"لن" وهي تدل على الاستمرار، استمرار الحدث الى وقت الكلام أو ما بعد ذلك لذلك لا يكون خبرها جملة فعلية فعلها ماض لأن الفعل الماضي يدل على انقطاع الحدث دون الاتصال بالحال أو الاستقبال(3).

مازال في القرآن

لم ترد "زال" في القرآن مع "يفعل" الا وهي مضارعة منفية وذلك في قوله تعالى : «ولا تزال تطلع على خائنة منهم الأ قليل منهم»(المائدة5/13) وقد جاء هذا الترتيب بعد قوله تعالى : «فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليل منهم»(المائدة5/13).

ويتبين من شرح المفسرين للآية ولـ "لاتزال" أي هذا التركيب يفيد الاستمرار المتصل من الماضي الى المستقبل عبر الحاضر كما رأينا. فمعنى لاتزال تطلع : (هذه عاداتهم وهجيراهم وكان عليها أسلافهم، كانوا يخافون الرسل، هؤلاء

1 - المصدر نفسه 339/2.

2 - البحر 339/5.

3 - انظر شرح الكافية 293/2.

يخوفونك، ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حريك(1) وقد جاءت "خائنة" بمعنى المصدر أي على خيانة(2).

ومنه قوله تعالى : «ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا»(البقرة2/217) فقد أفادت "لايزالون" هنا الاستمرار في المقاتلة والديمومة على ذلك : قال الرازي وهو يشرح هذه الآية : (ومعنى لايزالون) أي يدومون على ذلك، لأن الزوال يفيد النفي، فإذا أدخلت عليه ما، كان ذلك نفياً للنفي، فيكون دليلاً على الثبوت الدائم(3) وهي دالة على الدوام حتى وان ظهرا أن يقاتلونكم معلق بقوله حتى يردونكم عن دينكم. قال الزمخشري وهو يحلل هذا المعنى : (ولايزالون يقاتلونكم) : أخبار عن دوام عدواة الكفار للمسلمين، وأنهم لا ينفكون حتى يرودهم عن دينهم وحتى : معناها التعليل : كقولك "فلان يعبدالله حتى يدخل الجنة" : "يقاتلونكم" كي يردوكم (ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم، كقولك للرجل : ان استطعت أن تظفر بي فلا تبق على وهو واثق بأنه لن يظفر به(4).

أي أن (لايزالون يقاتلونكم) أفادت الاستمرار والدوام على الرغم من التعليق الظاهري في قوله (حتى يردوكم) وذلك لأن في قوله تعالى (ان استطاعوا) ازاله لكل لبس يوهم بانقطاع حدث الفعل وكثير ما تأتي مثل هذه الدلالات في التركيب الشرطي : من ذلك قوله تعالى : «ان استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء»(الانعام6/35) وقوله عز وجل : «يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا»(الرحمن35/33) اذ تدل الايتان في معناهما العاصم على استبعاد

1 - الكشاف 600/1.

2 - التفسير للامام الرازي 187/11.

3 - المصدر نفسه : 35/6.

4 - الكشاف 357/1.

المجموعة الثالثة : (المقاربات)

وتنقسم بدورها الى فئات صغيرة متشابهة الدلالة :

أ - الفئة الأولى : كاد وأخواتها : وتفيد قرب وقوع الخبر.

ب - الفئة الثانية : عسى وأخواتها : وتفيد رجاء وقوع الخبر.

ج - الفئة الثالثة : طفق وأخواتها : وتفيد الشروع ولم يرد من الفئة الأولى في القرآن الا "كاد" وقد جعل النحاة "كاد" أم أفعال المقاربة وتفيد مع أخواتها قرب حصول الفعل (الذي هو خبرها) قريبا شديدا قال ابن عصفور ممثلا لدلالة كاد الزمنية : الا ترى أن معنى قولك كاد زيد يقوم، قارب القيام حتى لم يبق بينه وبين الخبر فيه من (1) ولا يأتي خبرها الا وهو مضارع. قال ابن يعيش وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلا مضارعا(2).

كاد ودلالاتها في القرآن الكريم:

ولما كانت الدلالة العامة لهذا التركيب، يرتبط بدلالته الزمنية فاننا نقف وقفة مع شرح النحاة والمفسرين لـ "كاد" مجردة ومنفية فهي عند ابن منظور تفيد نفي الفعل وهي مجردة وتفيد وقوع الفعل عندما تكون مقرونة بالحجد(3).

ولكن الرضي الذي وقف طويلا عند هذه الحالة لم يعط حكمه في دلالة هذا المركب الا بعد أن أحاط به من جميع جوانبه، فقد حلل كل الحالات والاحتمالات التي قد يؤديها في السياقات المختلفة. وقد رد من قال : ان نفي "كاد" اثبات،

1 - المقرب 99/1.

2 - شرح المنفصل 119/7.

3 - للسان العرب 386/4 «وله آراء أخرى سنوردها بعد حين».

وأن اثباتها نفي، لأنه من غير المعقول أن يكون اثبات الشيء نفيًا له وهذا إن أريد اثبات الكوود (أي القرب)، فيكون معنى زيد يقوم اثبات القرب من القيام. ويكون هذا القول صحيحًا إذا أرادوا أن اثبات كان دال على نفي مضمون الخبر، لأن قريك من انجاز فعل معين ينفي أنك لم تنجزه وهذا يعني انتقاء الفعل في جانبه الدلالي والسياق العام. "اذ لو حصل منك الفعل لكنت آخذ في الفعل لا قريبا منه" (1).

وهم يخطئون كذلك في الشق الثاني في قولهم، اذ أرادوا أن نفي القرب من مضمون الخبر اثبات لذلك المضمون وما ذلك الا لأن نفي القرب من الفعل أبلغ في انتقاء ذلك الفعل من نفي الفعل نفسه فقولك : ما قرئت من النجاح أكد في نفي النجاح من قولك : ما نجحت وانما توهم البعض أن "كاد" المنفية تدل على ثبوت الخبر وهو وجود قرينة "يدل" على ثبوت النجاح بعد انتقائه، وانتقاء القرب ولافضل لكاد المنفية في هذا الاثبات، أي أنك عندما تقول : نجح خالد وما كاد ينجح، فان القرينة السابقة (نجح خالد) هي التي دلت على اثبات مضمون خبر "كاد" فلا يكون اذن نفي "كاد" مفيدا لمضمون ثبوت خبره، بل المفيد لثبوت تلك القرينة فان حصلت قرينة هكذا قلنا بثبوت مضمون خبر "كاد" بعد انتقائه كما في قوله تعالى : «فذبوها وما كادوا يفعلون» (البقرة 71/2)... وان لم يثبت قرينة هكذا، كقولك : مات زيد وما كاد يسافر، قلنا : بقي مضمون خبر "كاد" على انتقائه، وعلى انتقاء القرب منه كما في قوله تعالى : «اذا أخرج يده لم يكذب يراها» (النور 40/24).

ومن أمثلة (كاد يفعل) في القرآن الكريم قوله تعالى : «قالوا الآن جئت بالحق فذبوها وما كادوا يفعلون» (البقرة 71/2) فقد نال هذا التركيب في الآية السابقة من اهتمام النحاة والمفسرين ما يجعلنا نطيل الوقوف معهم في

تحليل الدلالات المختلفة التي تؤديها كاد المنفية في سياق هذه الآية.

فالرضي يفسر (ما كادوا يفعلون) ويقول : أي ما كادوا يذكرون قبل ذبحهم وماقاربوا منه، أما أنهم ما كادوا يفعلون ذلك فلأن القرآن أشار الى تعنتهم في قولهم : «أتتخذنا هزواً»

وقولهم : «ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها»(البقرة/2،67،68،69) وهذا التعنت دأب من لايفعل، ولا يقارب الفعل أيضا، ولو لم تأت قرينة للدلالة على ثبوته لظل على انتفائه بفعل التركيب والسياق لأن اثبات الفعل مفهوم من القرينة، وهي قوله تعالى : فذبحوها، لآ من "ما كادوا"(1).

ونكاد نجد الرأي نفسه عند المجراني الذي يعول كذلك على القرينة السابقة في الآية المثبتة للذبح أما "كاد" عنده فهي باقية على دلالتها على شدة قرب الفعل من الوقوع، وعلى أنه قد شارف الوجود فاذا وجدت قرينة دالة على وقوع الفعل كانت اشارة الى أنه لم يقع الا بعد الجهد وهو أن كان بعيدا في الظن أن يقع(2) :

ويقول صاحب اللسان وهو يشرح : «فذبحوها وما كادوا يفعلون» : معناه فعلوا بعد ابطاء لتعذر وجدان البقرة عليهم(3) :

ويفسر أبو حيان "ما كادوا يفعلون" في الآية تفسيراً لا يبتعد عن توجيه السابقين فهو يقول : وأما الآية فقد اختلف زمان نفي المقاربة، والذبح، اذ المعنى : وما قاربوا ذبحها قبل ذلك، أي وقع الذبح بعد أن نفي مقارنته، فالمعنى أنهم تعسروا في ذبحها بعد ذلك(4) : فقد جاءت "ما كادوا يفعلون"

1 - شرح الرضي على الكافية 306/2 :

2 - دلائل الاعجاز للمجراني 312-313.

3 - لسان العرب 388/4.

4 - البحر المحيط لأبي حيان 258/1.

"استقبال استقصائهم، واستبطاءهم، وزنهم لتطويلهم المفرط، وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها، وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط فيها وتعمقهم" (1).

فإذا جننا الى الدلالة الزمنية لـ (ما كاد يفعل) نجد أنها تدل على الماضي لفظا ومعنى : وأنها تدل على أن الفعل لم يحدث بسهولة، وكان يمكن ألا يحدث ومنه قوله تعالى : « يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان» (ابراهيم 17/14) وقد جاءت الآية في سياق قوله تعالى : « ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاف كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقي من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان» (ابراهيم 17/14).

فيكاد هنا فيما يرى المفسرون تفيد المبالغة في نفي الاستساغة ومقاربتها (2). قال أبوحيان وهو يشرح الآية : "يتجرعه : يتكلف جرعه، ولا يكاد يسغه أي لا يتقارب أن يسيغه فكيف تكون الاساغة، والظاهر هنا انتقاء مقاربة اساغته اياه، واذا انتقت الاساغة فيكون كقوله : لم يكد يراها، أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها" (3) ولكن الفراء يخالف النحاة والمفسرين ويقول : "فهو يسيغه" (لأن العرب تجعل المفسرين قد بنوا رأيهم القائم على نفي الاستساغة على الملابس التي أحاطت بهذا التركيب "يكاد" أي أنى له أن يستسغ "وهو يتجرعه فإذا دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، واذا شربه قطع أمعاء حتى يخرج من دبره" (4) « وفي كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد

1- الكشاف للزمخشري 288/1.

2- الكشاف 371/1.

3- البحر المحيط لأبي حيان 413/5.

4- معاني القرآن 71/2.

5- البحر المحيط 413/5.

مما قبله وأغلط» (1).

فكأن "لايكاد" هنا تأتي لتأكيد نفي الاستساعة عن "الجبار العنيد" وهو محاط بشتى ألوان العذاب.

أما زمن "لايكاد يسيغه" فهو المستقبل البعيد، زمن الدار الآخرة. قال أبو حيان وهو يرد رأي الأخفش القائل بأن المراد بالموت في قرله تعالى : «ويأتيه الموت» البلى التي تصيب الكافر في الدنيا. قال : "وهو بعيد لأن سياق الآية يدل على أن هذا من أحوال الكافر في جهنم" (2).

ومنه كذلك قوله تعالى : «إذا أخرج يده لم يكذب يراها» (النور 40/24).

ولكي نتمكن من مسامرة شرح المفسرين لهذا التركيب يجدر بنا أن ندرجه في سياقه العام، والآية التي تضمنت هذا التركيب هي قوله تعالى : «أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكذب يراها» (النور 40/24). ف (لم يكذب يراها) تفيد المبالغة في كونه لم يراها "أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها" (3)، وهو لا يمكن أن يراها بسبب الظلمات الكثيفة المحيطة به "فهي لا ترى (أي اليد) فيما هو دون هذا من الظلمات وكيف بظلمات قد وصفت بأشد الوصف" (4) لذلك يجعلها أبو عبيدة في حكم الفعل المنفي يقول : وهو لم يذن لأن يراها، ولم يرها، فخرج مخرج لم يراها ولم يكذب (5). ويبدو أن القرائن المحيطة بـ "كاد" ومشتقاتها لها دور في توجيه الدلالة العامة لهذا التركيب إذ وجدنا في الآية السابقة (هي قوله تعالى : فذبحوها وما كادوا يفعلون) أن كاد

1 - الكشاف 371/2.

2 - البحر المحيط 413/5.

3 - الكشاف للزمخشري 69/3.

4 - معاني القرآن للفراء 72/2.

5 - مجاز القرآن لأبي عبيدة 67/2.

المنفية تدل على وقوع الفعل (الذبح) ولكن بعد ابطاء ومجاهدة، وها نحن نجد أن كاد المنفية هنا يجبرها السياق على الدلالة على النفي الشديد لوقوع الفعل فدلالة "كاد" -فيما يبدو- ليست دلالة ذاتية، وإنما هي تستمد من القران والسياق، لذلك نجد أن صاحب اللسان لا يعطي شرحها جامعاً مانعاً لـ "كاد" وإنما يتابعها في سياقاتها المختلفة يقول : "فذبوحها وما كادوا يفعلون : معناه : فعلوا بعد ابطاء لتعذر وجدان البقرة عليهم، وقد يكون ما كدت أفعل، بمعنى ما فعلت ولا قاربت"(1).

أما زمن لم يكده هنا فهو زمن عام لا يختص بماض ولا مستقبل وإنما جاء في سياق عام لمثلين ضربهما الله للذين كفروا في قوله : «والذين كفروا أعمالهم...» «أو كظلمات...» ومن الآيات التي جاء فيها كاد مثبتة، ماضية، دالة على قرب وقوع الفعل قوله تعالى % : «من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم» (التوبة/117).

وذلك في سياق قوله تعالى : «لقد تاب الله على النبي، والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم» (التوبة/117).

وقوله تعالى : «ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» (الاعراف/150).

وقوله تعالى : «وانه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لباء» (الجن/19).

وقوله عز وجل : «ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً» (الاسراء/14).

ومن أمثلة "كاد" في القرآن المسبوقة بأداة شرط الدالة على الماضي وقرب وقوع الفعل قوله تعالى : «ان كاد ليضلينا عن آلهتنا لولا أن ضربنا عليها»

1 - لسان العرب لابن منظور ركود 388/4.

وقوله تعالى : « وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك » (الاسراء/73)
(17)

- « وان كادوا ليفتنونك في الأرض ليخرجوك منها » (الاسراء/76).
- « تالله ان كدت لتريدني » (الصافات/37/56).

ومن أمثلة "يكاد" المثبتة الدالة على الزمن العام وقرب وقوع الفعل فيه
قوله تعالى : « ان الساعة آتية أكاد أخفيها » (طه/20/15)

وقوله عز وجل : « يكاد السموت يتفطرن منه وتنشق الأرض » (مريم/19/90)
وقوله تعالى : « يكاد زينتها يظيى ولو لم تمسسه نار » (النور/24/35)

وقوله تعالى : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » (البقرة/2/20)

ومن أمثلة "يكاد" المنفية الدالة على الزمن العام

قوله تعالى : « فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » (النساء/78/4)
(الكهف/18/93)

وقوله سبحانه وتعالى : « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين »
(الحرف/43/52) حيث تدل "يكاد" هنا على قرب وقوع الفعل في اطار زمني
غير محدد ومن أمثلة "يماد" المثبتة الدالة على قرب وقوع الفعل في المستقبل
البعيد قوله تعالى : « وهي تفور تكاد تميز من الغيظ » (الملك/67/8).

وانما دلت "يكاد" على المستقبل لأنها جاءت في سياق يدل على ذلك، فقد
جاءت في سياق قوله تعالى : « وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير
إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ »

(الملك 8,7,6/76)، وبعد هذه الوقفة عند "كاد" نستنتج أن "كاد" لها زمانان :
زمن خارجي عام، هو الدلالة على المراحل الزمنية لا الماضي المستقبل القريب،
المستقبل البعيد...الخ.

وزمن داخلي خاص، هو الدلالة على قرب وقوع الفعل وفي قرب وقوعه.

عسى في القرآن الكريم :

لم يرد من أفعال الرجاء في القرآن الكريم الا "عسى" مقترنة بـ : "أن"
ويجعلها النحاة فعلا جاء على صيغة الماضي لأنها تتصرف تصرف الأفعال. قال
سيبويه : ومن العرب من يقول : عسى، وعسيا، وعسوا، وعست، وعستاه،
وعسين(1) ولقد اشترط النحاة في أخبار هذه الأفعال أن تكون على صيغة
الفعل المضارع مجردة من أن المصدرية أو مقترنة بها، ولما كانت عسى وأخواتها
تدل على قرب حدوث الفعل أو توقع حدوث الفعل انصرفت دلالتها الزمنية
للاستقبال فهي لاتدل على الحال ولا على الماضي، على الرغم من أنها جاءت
على صيغة الماضي ولم تأت على صيغة المضارع "فلا يقال منها يفعل، ولا
فاعل، ولا يقال يعسى ولا عاس"(2). وفي ذلك يقول الأنباري محللا اقتران
خيرها بـ "أن" وخبرها لا يكون الا مع الفعل المستقبل نحو : عسى زيد أن يقوم،
فان قيل : فلم أدخلت في خبره "أن" قيل : لأن عسى وضعت لمقاربة الاستقبال
و "أن" اذا دخلت على الفعل المضارع أخلصته للاستقبال، فلما كانت عسى
موضوعة لمقاربة الاستقبال و "أن" تخلص الفعل للاستقبال " ألزمو الفعل الذي
وضع لمقاربة الاستقبال "أن" التي هي علم الاستقبال"(3).

ومن أمثلة "عسى" الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى : « أكرمى مشواه

1 - الكتاب 158/3.

2 - فصيح ثعلب ص4

3 - أسرار العربية 53.

عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا» (يوسف 21/12) حيث جاء خبر "عسى" و "ينفعنا" دالا على ترجي وقوع الفعل في المستقبل البعيد، اذ يبدوا من سياق الآية أن العزيز قد تفرس في سيدنا يوسف أمورا لم تكن لتظهر عليه وهو طفل صغير وانما تلوح الخصال والصفات المميزة للانسان من نفع، وشهامة، وشجاعة، عندما يبلغ سن الرشد والرجولة، أي بعد سنين طويلة تلي سن الطفولة. يقول الزمخشري وهو يشرح "عسى أن ينفعنا".

"لعله اذا تدرب، وراض الأمور، وفهم مجاريها، ستظهر به على بعض ما نحن بسبيله، فينفعنا فيه بكفايته، وأمانته، أو تبناه وتقييمه مقام الولد" (1).
ومنه قوله تعالى : « ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل » (القصص 22/28).

غير أن المدى الزمني في هذه الآية -فيما يبدو- أقصر من زمن الاستقبال في الآية السابقة في قوله تعالى : «عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا» اذ نجد أن سيدنا موسى عليه السلام في هذه الآية يرجو من ربه هدايته الى الطريق السوي في أقرب وقت. قال أبو حيان : "والظاهر من قوله : عسى ربي أن يهديني سواء السبيل، أنه كان لايعرف الطريق فسأل ربه أن يهديه أقصد الطرق، بحيث أنه لا يضل، اذ لوسلك ما لا يوصله الى المقصود لتاه". وقد استجاب الله لدعوته في الحين فهده الى مدين، (2) فقد قيل : هذاه جبريل الى مدين، وقيل أخذ يمشي من غير معرفة، فأوصله الله الى مدين، وقيل : أخذ طريقا بأمن فيه، فاتفق ذهابه الى مدين (3)، فخير عيسى ههنا حسب السياق الذي ورد فيه يدل على المستقبل القريب.

1 - الكشاف 310/2.

2- تفسير البحر المحيط لأبي حيان 112/7.

3 - المصدر نفسه.

ومنه كذلك قوله تعالى : «عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا» (الاسراء 8/17).

غير أن السياق يعود بـ "عسى" وما بعدها الى الماضي فيجعلها تفيد مستقبل الماضي اذ يستفاد من الشروح المطولة لهذه الآية أن الله وعد بني اسرائيل بالرحمة -ان تابوا- وبتكرير عقابه عليهم ان عادوا الى الكفر. "وقد عادوا، فأعاد الله اليهم النعمة بتسليط الأكماسرة وضرب الأتاوة عليهم، أو كان ذلك بأن "بعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يدهم صاغرون(1) ينقل السيوطي عن ابن الانباري أن عسى في القرآن واجبة، أي لا بد أن يحقق خبرها الا في موضعين أحدهما : «عسى ربكم أن يرحمكم» يعني بني النضير، فما رحمهم الله بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوقع عليهم العقوبة"(2)

فزمن "عسى ربكم أن يرحمكم" زمن يدل في ظاهره على المستقبل ولكنه استقبال بالنسبة لأحداث ماضية، انقطع وانقضى أثرها والشكل التالي يبين الموضع الزمني لهذا التركيب في سياق الآية التي وقع فيها.

| المستقبل | الحاضر | الماضي القريب | الماضي البعيد |
|--------------------|--------|-----------------|---------------|
| | | عَسَى رَبُّكُمْ | |
| مستقبل الماضي | | | |
| عسى ربكم أن يرحمكم | | | |

1 - الكشاف 439/2.

2 - الاتقان 164/1.

ومنه قوله تعالى : «عسى ربه ان طلقكن أن يبدل له أزواجا خيرا منكن»(التحریم5/66) حيث جاء وقوع الخبر متعلقا بالتبديل، فلم يقع التبديل" والتبديل مشروط بأن يطلق ولم يطلق فلم يقع التبديل"(1). فزمن عسى زمن معلق بفعل آخر لم يقع كل ذلك في سياق دال على أحداث ماضية، وقد رأينا أن عسى في القرآن واجبة الا في موضعين أحدهما في قوله تعالى : «عسى ربكم أن يرحمكم» والثاني في هذه الآية (عسى ربه...) جاء في البرهان : عسى ولعل من الله واجبتان، وان كانتا رجاء وطعما في كلام المخلوقين لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون والباري منزه عن ذلك... وذلك في نحو قوله تعالى : «فعسى الله أن يأتي بالفتح أوامر من عنده»(المائدة5/52).

ولما نزل القرآن بلغة العرب جاء على مذاهيمهم (في الشكوك والظنون) أما زمن عسى في العموم فهو اما أن تكون فعلا ماضيا في اللفظ والمعنى لأنه طمع قد حصل في شيء، واما أن يكون ماضي اللفظ مستقبل المعنى، لأنه أخبار عن طمع يريد أن يقع(2) وهو الوجه الذي ينسجم مع زمن عسى في أغلب الآيات التي ورد فيها.

ومن أمثلة "عسى" الدالة على وقوع الخبر في زمن قريب أو بعيد قوله تعالى : «عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم»(البقرة2/216).

وقوله تعالى : «فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا»(المساء4/19).

وقوله عز وجل : «فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم»(النساء4/99).

1 - الاتقان للسيوطي 1/165.

2 - الاتقان للسيوطي.

- « خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم » (التوبة/102)
(9)

- « فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا » (يوسف/83).

- « ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا » (الاسراء/51/17)

- « وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشد » (الكهف/24/18).

- « قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون » (النحل/27/72).

- « فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من
المفلحين » (القصص/67/28).

- « عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الأنهار » (التحریم/5/66).

قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية الأخيرة : (ومثلها كثير من الآيات التي
أدرجناها) : عسى ربكم : اطماع في الله لعباده... وتعلينا لهم وجوب
الترجع بين الخوف والرجاء (1) أي أن "عسى" واجبة في القرآن الكريم، وفي
حق الله تعالى وإنما عبر القرآن بـ "عسى" الدالة على الرجاء الشك، لتعليم
عباده كيف يطمعون في رحمته، ويرجون مغفرته.

فدلالة "عسى" في القرآن هي :

أنها فعل ماض لفظا يدل على وجوب وقوع الفعل (إلا في موضعين) : في
مستقبل قريب أو بعيد وقد يأتي مستقبلا بالنسبة لأحداث ماضية.

لعل وليت في القرآن الكريم :

لما كانت لعل تفيد الترجي والتوقع مثلها مثل "عسى" وليت تفيد التمني ضرب من الترجي "إذ أن استعمال التمني في الممكن والحال، واختصاص الترجي بالممكن" (1) فقد أحقناهما مع أفعال الرجاء بهذا الاعتبار، وباعتبارهما ناسخين.

و"لعل" عند النحاة : "طمع واشفاق" (2) وهي تفيد مثل "عسى" التوقع والترجي في المحبوب (3) نحو : «لعلكم تفلحون» (آل عمران 130/3)، والاشفاق في المكروه نحو «لعل الساعة قريب»؛ (الشورى 17/42).

ويذكر لها السيوطي دلالات أخرى منها : "أن جميع ما في القرآن من "لعل" فهو للتعليل الا قوله «لعلكم تخلصون» (الشعراء 129/26) ومنها زنها للتشبيه الا أن الترجي والاشفاق هو الأصل في دلالة لعل، أما المعاني الأخرى فطارئة عليها تستفاد من السياق اللغوي ومضمون الجملة (4)، والترجي لا يكون الا للمستقبل ومن أمثلة "لعل" في القرآن الكريم قوله تعالى : «فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى» (طه 44/20).

اذ أفادت "لعل" هنا المستقبل. يقول الزمخشري وهو يشرح الآية : أي اذها على رحانكما وطعمكما، وباشرا الأمر مباشرة من يرجوا ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب سعيه (5) وقد علم الله ارسالهما ما يفضي اليه حال فرعون ولكن ورد اللفظ بصورة وما يختلج في نفوس موسى وهارون في الرجاء والطمع لا يكونان الا للمستقبل القريب، "فلعل" هنا تفيد أن خيرها "يتذكر" قد انصرف

1 - المقرب 106/1.

2 - الكتاب 233/4.

3 - الاتقان 173/1 ...

4 - التعبير الزمني عند النحاة والعرب للدكتور /بوخلخال عبدالله 109/2.

5 - الاتقان للسيوطي 165/1.

الى المستقبل، ومنه قوله تعالى : «لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا» (الطلاق/65).

ودلالة الفعل المضارع "يحدث" على الاستقبال بيّنة واضحة من وجهين، أحدهما : القرينة اللفظية في قوله تعالى : «بعد ذلك» الثاني : السياق الذي جاء فيه التركيب.

وقد جاء التركيب في سياق قوله تعالى : «واتقوا الله ريكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا» (الطلاق/1/65).

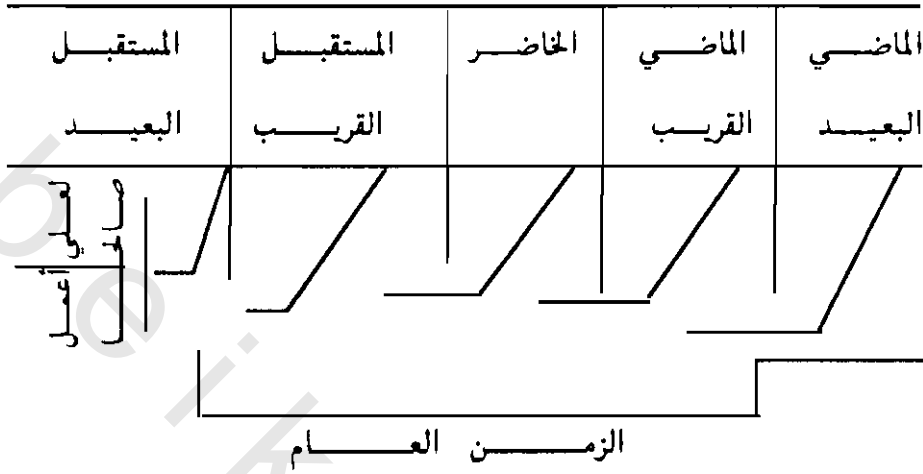
ويفسر المفسرون هذه العبارة بما يفيد دلالة الفعل على الاستقبال، فمعنى لا تخرجوهن... : لاتخرجوهن من بيوتهن، فقد يندم أحدكم مستقبلا على ما فعل، ويعود لزوجها. قال ابن عباس في هذا الموضوع : "يريد الندم على طلاقها، والمحبة لرجعتها في العدة" (1). وقال مفسرون آخرون : "هي الرغبة في ارتجاعها والميل اليها بعد انحرافه عنها، أو ظهور حمل، فيراجعها من أجله" (2). ومنه قوله تعالى : «قال رب ارجعون لعلني اعمل صالحا فيما تركت» (المؤمنون/23/100).

والسياق الذي وردت فيه هو قوله تعالى : «حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلني اعمل صالحا». وهو سياق يبين أن الوجهة الزمنية لـ "لعل" تختلف عن وجهات أخواتها السابقات، فهي واقعة في مستقبل زمني عام (لأن الموت يجيء في كل زمان) وهي تدل على مستقبل ينطلق من نقطة زمنية تقع في هذا الزمن العام، والشكل التالي يبين موقع هذا التركيب في الخريطة العامة

1 - التفسير الكبير للإمام الرازي 33/30.

2 - البحر المحيط لأبي حيان 282/8.

للزمن :



الزمن العام
حتى اذا جاء أحدهم الموت

قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية فيما معناه.

إذا عاين المؤمن الملائكة، قالوا : نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والأحزان، بل قدوما الى الله، وأما الكافر فيقول : رب ارجعرن لعلي آتي بما تركته من الايمان وأعمل فيه (1) فتوجيهنا الزمني يواتم شرح المفسرين للآية.

ومن أمثلة "لعل" الدالة على المستقبل الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى: «واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون» (البقرة 53/2).

- «وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقون لعلكم ترحمون» (الانعام 155/6)

- «فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون» (الانفال 45/8).

- «لا تركظوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم

1 - الكشاف (42/3).

تسألون» (الانبياء 13/21).

- «لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين» (الشعراء 40/26).
- «عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى» (عبس 3/80).
- «فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون» (البقرة 186/2).
- «يوسف أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان تأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلني أرجع الى الناس لعلهم يعلمون» (يوسف 46/12).
- «وقال لفتينه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذ انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون» (يوسف 62/12).
- «لعلني أرجع الى الناس لعلهم يعلمون» (يوسف 46/12).
- «فاجعل لي صرحا لعلني أطلع الى إله موسى» (القصص 38/28).
- «ومن آتاء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى» (طه 130/20).

ليت في القرآن

يقيس النحاة "ليت" على عسى لأنها للتمني وهو ضرب من ضروب الترجي ومادام التمني هو حصول الشيء، فان خبرها لا يكون الا في الاستقبال، أي تفيد المعنى الذي لم يقع بعد : وهذا مالم يصرفها السياق الى زمن آخر على نحو ما سنرى (1) ولم ترد ليت في القرآن وخبرها مضارع مجرد الا مرة واحدة وذلك في قوله تعالى : «يا ليتنا نرد، ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين» (الأنعام 27/6).

1 - انظر شرح الكافية للرضي 346/2 والتعبير الزمني عند النحاة العرب 110/2 و 111، وانظر الاتقان 1/175.

و "ليتنا نرد" ههنا لاتدل على المستقبل وكفى، ولكنها تدل على مستقبل بعيد جدا، أبعد من البعيد لأنها تنطلق من زمن بعيد يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى: «ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين» (الانعام 27/6)، اذ أن المعنى الزمني للآية هو (والله أعلم) أن الكفار سوف يتمنون عندما يصلون نار جهنم أن يردوا الى الدنيا، والمعنى العام للآية هو: "يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب بآيات ربنا رددنا أو لم نرد أي قد عايتنا وشاهدنا ما لانكذب معه أبدا" (1) لأن من صدر منه تقصير - كما يقول الامام الرازي - ثم عاين الشدائد والأحوال بسبب ذلك التقصير أنه يتمنى الرد الى الحالة الأولى ليسعى في ازالة جميع وجوه التقصيرات، ومعلوم أن الكفار قصرُوا في دار الدنيا فهم يتمنون العودة الى الدنيا لتدارك التقصيرات، وذلك التدارك لا يحصل الا بالعودة الى الدنيا (2)، فشرح المفسرين يفضي الى الزمن الذي بيناه وهو الزمن الذي ينطلق من المستقبل البعيد، والشكل التالي يوضح ذلك:

| الانطلاق من المستقبل البعيد | المستقبل | المستقبل | الحاضر | الماضي |
|-----------------------------|----------|----------|--------|--------|
| يا ليتنا نرد | البعيد | القريب | | |

وقد جاء خير ليت في القرآن فعلا مضارعا منقيا، فتغيرت دلالته الزمنية اذ أصبح يدل على ماضي المستقبل، مثال ذلك قوله تعالى: «يقول يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا» (الفرقان 28/25) فنحن نجد أن هذا التركيب

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 192/12.

2 - التفسير الكبير للامام الرازي 193.

يندرج في سياق دال على زمن استقبالي بعيد وذلك في قوله تعالى : «ويوم تشق السماء بالغمام وتنزل الملائكة تنزيلا» الى قوله تعالى : «ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا... ياويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا»(الفرقان25/25,26,27,28) فالمراد باليوم يوم القيامة والزمن الذي تصفه الآيات هو زمن يوم القيامة(1).

ولكن زمن التمني يرتد الى الماضي، ماضي المستقبل وهو ماضي يوم القيامة، والمعنى الزمني للآية هو أن الكافر سيندم يوم القيامة على ماضيه الديني الذي اتخذ فيه انسانا -ضالا- خليلا(2). وانما انقلب الزمن الماضي بفضل "لم" التي تقلب الى الماضي وذلك في قوله "لم أتخذ".

| الماضي | الحاضر | المستقبل القريب | المستقبل البعيد (يوم القيامة) |
|--------|--------|-----------------|-------------------------------|
| | | | يوم يعرض الظالم على يديه |

ماضي المستقبل

"لم أتخذ فلانا خليلا"

وهذا الشكل يبين علاقة ماضي المستقبل «لم أتخذ فلانا خليلا» بـ : المستقبل البعيد في قوله : «يوم يعرض الظالم على يديه» كما جاء خبر "ليت" فعلا ماضيا مثبتا فدل على ماضي المستقبل وذلك في قوله تعالى : «يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا»(الاحزاب66/33)، وذلك بعد قوله تعالى: «يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا»(الاحزاب66/33).

1 - الكشاف 90/3.

2 - انظر المرجع نفسه.

فالموقع الزمني لهذا التركيب هو الموقع نفسه الذي دل عليه التركيب الأول في الآية السابقة، الا أنه هناك فعل مضارع منفي بحرف نفي وقلب للماضي وهو هنا فعل مثبت ماض لفظا ومعنى.

والشكل التالي يوضح ذلك :

| المستقبل البعيد | المستقبل القريب | الحاضر | الماضي |
|-----------------|-----------------|--------|--------|
| يقولون باليتنا | | | |
| مماضي المستقبل | | | |

"أطعنا الله وأطعنا الرسولا"

وهذه أمثلة لـ "ليت" في القرآن وخبرها مضارع منفي، وماض مثبت. قال تعالى : «ويقول باليتني لم أشرك بربي أحدا» (الكهف/42).

- «وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول باليتني لم أوت كتابيه» (الحاقة/25)
(69)

وقال عز وجل :

- «يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما» (النساء/73).
- «قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا» (مريم/23).
- «ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا» (النبأ/40).
- «يقول يا ليتني قدمت لحياتي» (الفجر/24).
- «يا ليتها كانت القاضية» (الحاقة/27).

أما عن مجموعة أفعال الشروع فقد ورد في قوله تعالى : « وطفقا
يخصفان عليهما من ورق الجنة » (الاعراف 22/7 و طه 121/20) و "طفق"
يجعلها النحاة ضمن طائفة كبيرة من الأفعال يسمونها أفعال الشروع، ومعنى
الشروع عندهم ابتداء الفعل ومباشرة أوله حقيقة (1) ومن بين هذه الافعال :
شرع وأنشأ، وأخذ، وعلق، وجعل، وقام... الخ، وهي عند صاحب اللسان تطلب
الفعل المستقبل (2) ولكن شرح المفسرين ل : طفق يوحي بأنها تفيد الابتداء
والشروع في الفعل من أوله فمعنى طفقا يخصفان أخذًا يضعان ورقة فوق ورقة
على عوراتهما ليسترا بها (3).

وهكذا نجد أن هذه المجموعات الناسخة التي عرضناها في هذا الفصل
تضفي دلالات وآمادا زمنية على الفعل بعدها حسب دلالتها المعجمية الذاتية
كما نجد أن زمن هذه الأدوات لا يكاد يتأثر بالسياق الذي يندرج فيه الآن
أزمنتها محدودة بفترة معينة ما عدا ليت.

1 - انظر شرح الكافية 307/2.

2 - لسان العرب لابن منظور 95/1.

3 - الكشاف 73/2.

وهذا جدول يبين الأزمنة التي تدل عليه هذه المجموعات الناسخة في القرآن الكريم (1).

| الفعل | صيغته في القرآن | دلالة الزمنية | معناها |
|-------|--------------------------------|---|--------------------------------------|
| أصبح | أصبح - يصبح | الاصباح - الصبورة (التحول من حال الى حال) | اتصاف اسمها بمعنى خبرها. |
| ظل | ظل | استغراق فترة (التحول من حال الى حال) | اتصاف اسمها بمعنى خبرها. |
| فتئ | فتئ | سريان الحدث من الماضي الى المستقبل (الاستمرار) | ملازمة صفة خبرها لاسمها باستمرار. |
| مازال | مازال - ما يزال | الأزمنة الثلاثة : (الماضي - الحاضر المستقبل) | استمرار الحدث الى وقت الكلام |
| كاد | كاد - ما كاد يكاد - لا يكاد | قرب وقوع الفعل | قرب وقوع الفعل |
| عسى | عسى | وقوع الفعل بعدها في المستقبل | توقع حدوث الفعل |
| لعل | لعل | وقوع الفعل بعدها في المستقبل | ترجي وقوع الفعل |
| ليت | ليت | وقوع الفعل في المستقبل | تمني وقوع الفعل |
| طفق | طفق | الشروع في مضمون الجملة في الزمن الحالي | الشروع في الفعل |

(1) اقتصرنا في هذا الجدول على ذكر الدلالة الزمنية الذاتية للأدوات وهي الدلالة الغالبة في القرآن الكريم ولم نتعرض لدلالاتها السياقية لصعوبة تحديد مواقعها الزمنية السياقية في الجدول.

الفصل الثالث

الدلالة الزمنية الذاتية للأنعال الناقصة

- * كان والدلالة على الماضي.
- * كان والدلالة على الحاضر.
- * كان والدلالة على المستقبل.
- * كان والدلالة على الزمن العام.
- * يكون ودلالاتها الزمنية الذاتية المختلفة.
- * كن ودلالاتها الزمنية الذاتية المختلفة.

الدلالة الزمنية الذاتية للأفعال الناقصة

لما كانت الأفعال الناقصة تفتقر الى الحدث، وتمتتع بطاقة زمنية رأينا أن نقف عند صيغها المختلفة عندما تكون مفردة ومبتدأها وخبرها اسمين في نحو قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة) وسنرى أن هذه الصيغ تحمل في ذاتها أبعادا زمنية مميزة وخصوصيات معينة. جاء في شرح الكافية في موضوع الدلالة الخاصة لهذه الأفعال الناقصة: "ومن قال بعضهم من أنها سميت ناقصة لأنها تدل على الزمان دون المصدر ليس بشيء، لأن كان من نحو (كان زيد قائما) يدل على الكون الذي هو الحصول المطلق، وخبره يدل على المخصوص، وهو كون القيام أي حصوله فجيء أولا بلفظ دال على حصول ما، ثم عين الخبر ذلك الحاصل، فكأنك قلت حصل شيء ثم قلت حصل القيام، فالفائدة في إيراد مطلق الحصول أولا، ثم تخصيصه، كالفائدة في ضمير الشأن... مع فائدة أخرى ههنا، وهي دلالته على تعيين زمان ذلك الحصول المقيّد... ولو قلنا "قام زيد"، لم يحصل هاتان القائدتان معا(1)، أي أن كان تدل على حدث عام مطلق بالإضافة الى دلالتها على الزمان المخصوص، ويرى بعض الباحثين المعاصرين أن هذه الأفعال لا تختلف عن أفعال العربية الأخرى في شيء من العناصر الفعلية. وهو الدلالة على الحدث المقترن بزمان ما. وكل ما في الأمر أنها أفعال تطورت في الاستعمال حتى صارت لا تكفي بفاعلها كما هي الحال في كان "التامة" بل أصبحت تفتقر الى المنصوب المكمل للمعنى الذي يقتضيه المعنى الجديد(2) ونحن لا يسعنا الا القول أن هذه الأفعال تصلح اطار عاما يترجع عليه الزمن ويتحدد فيه، فهي أحداث عامة تحمل الزمان وتفتقر به. ولذلك جاءت الأفعال الناقصة في القرآن الكريم ذات دلالة زمنية خاصة بحيث يطفى

1 - شرح الكافية في النحو للرضي 290/2 والفعل زمانه وأبينته للدكتور إبراهيم السامرائي 57/

56 بتصرف.

2 - المقتضب للمبرد 167/3.

المعنى الزمني فيها على المعنى المعجمي، وتنوع الدلالة الزمنية لهذه الصيغ في القرآن الكريم حسب تركيب الجملة التي ترد فيها، وحسب الأدوات التي تسبقها أو تلحقها كما تتوقف الدلالة الزمنية على السياق الذي ترد فيه.

"كان" والدلالة على الماضي :

يكاد يجمع النحاة على "أن كان" تدل على الزمن الماضي ما لم يوجد ما يصرفه بها لغير الماضي، فهذه الصيغة المفردة تفيد ما مضى وما لم يقع (1).

فإذا قلت كان عبدالله أخاك، فانما أردت أن تخبر عن الأخوة، وأدخلت "كان" لتجعل ذلك فيما مضى (2)، وإذا ادخلت "كان" على قولك "زيد منطلق" فانما فعلت ذلك لتجعل ذلك فيما مضى (3) لأن كان تفيد ثبوت خبرها مقرونا بالزمن الذي تدل عليه صيغة الفعل الناقص اما ماضيا واما حالا واما استقبالا وكان للماضي ويكون للحال والاستقبال، ومن أمثلة "كان" الدالة على الماضي في القرآن الكريم قوله تعالى : «أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعينها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشيا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك» (الكهف/18،79،80،81،82).

حيث جاءت وكان ماضية لفظا ومعنى في قوله تعالى (كانت لمساكين) (كان وراءهم ملك) (كان أبواه مؤمنين) (كان لغلامين)، (كان تحته كنز لهما)، (كان أبوهما صالحا) وانما كانت ماضيه لأنها جاءت في سياق قصصي أوله

1 - الكتاب لسيبويه 45/1.

2 - المقتضب 86/4.

3 - شرح الكافية للرضي 293/2.

قوله تعالى : «واذ قال موسى لفتهاه لأبرح حتى أبلغ مجمع للبحرين وامضي حقبا» (الكهف/8/60).

ولقد أسهب المفسرون في شرح قصه التقاء سيدنا موسى بسيد الخضر ومما قالوه : أن سيدنا موسى عليه السلام قال لسيدنا الخضر لأفارقك حتى تجبري فقال له : فأما السفينة فكانت لعشرة اخوة، خمسة زميني، وخمسة يعملون في البحر... وكان وراءهم ملك (1)... الى آخر شرحهم للآية مما يبين أن "كان" التي تكرر ذكرها في هذه الآيات جاءت دالة على أحداث ماضية محكية. ومنه قوله تعالى : «وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة» (النحل/16/112) حيث جاءت "كان" في قوله تعالى : «كانت آمنة مطمئنة حالة على الماضي، حيث أن القرية التي ضرب بها المثل في مكة التي كانت لاتعزي ولايفار عليها، والارزاق تجلب اليها وأنعم الله عليها بالرسول صلى الله عليه وسلم فكفرت فأصابها السكون والخوف، وسرايا الرسول وغزواته فضريت مثلا لغيرها (2) وقد فسر بعضهم هذه الآية بما يدل على أن كان لم تختص بزمان معين، اذ يذهب الزمخشري الى أن الله جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم فنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولوا، فأنزل الله بهم نقمته (3) ولكن هذا الرأي مردود عليه فلا يجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة، بل لابد من وجودها لقوله تعالى : «ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون» (4) (النحل/16/113).

وعلى أية حال، فان كان هنا، استعملت للدلالة على الزمن الماضي وهي الدلالة التي يؤيدها سياق الآية الدال على أن الكلام ينصرف الى قرية في

1 - البحر 6/153.

2 - البحر المحيط لابن حيان 5/542.

3 - الكشاف 2/431.

4 - البحر 5/542.

ومنه قوله تعالى : « ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات » (التغابن/6)
 (64)، فقد انصرفت "كان" هنا للماضي اذ جاء واقعة في سياق يوحى بذلك،
 وهو قوله تعالى في الآية التي قبلها : « ألم يأتكم نبا الذين كفروا من قبل
 فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم » غير أن تفسير بعض المفسرين لهذه الآية
 يجعلها للماضي القريب، فهم يذهبون الى أن قوله تعالى « ألم يأتكم نبا الذين
 كفروا » خطاب لكفار مكة، وذلك اشارة الى الويل الذي ذاقوه في الدنيا (1)
 غير أن هذا التوجيه يبعده قوله تعالى « كانت تأتيهم رسلهم » حيث ان الرسل انما
 كانت ترسل في الأمم الأولين، أي أن كان هنا تصرف الى الماضي البعيد، يقول
 الزمخشري وهو يشرح هذه الآية : « كانت تأتيهم رسلهم » أنكروا أن تكون
 الرسل بشرا ولم ينكروا أن يكون الله بشرا.

ومن الآيات التي جاءت فيها "كان" دالة على الماضي لفظا ومعنى، قوله
 تعالى : « وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما
 آخرين » (الانبياء 11/21) وقوله تعالى : « قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم
 والذين معه » (المتحنة 4/60) وقوله عز وجل : « يا أخت هارون ما كان أبوك
 إمراة سوء وما كانت أمك بغيا » (مريم 28/19)، وقوله سبحانه وتعالى : « أم
 تقولون إن إبراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا
 ونصارى » (البقرة 2/140)، ومنه قوله عز وجل : « وضرب الله مثلا للذين
 كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين » (التحريم 10/
 66).

ومنه ذلك قوله تعالى : « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها
 النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والريانيون والأخبار بما استحفظوا من كتاب

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 23/30.

الله وكانوا عليه شهداء» (المائدة/44/5).

بقوله تعالى : «وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين» (الذاريات/46/51).

وقوله سبحانه وتعالى : «يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين» (يوسف/37/12).

وقوله عز وجل : «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه» (البقرة/143/28).

ومنه قوله تعالى : «فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغافلين وأمطنا عليهم مطرا فكيف كان عاقبة المجرمين (الاعراف/84/7).

وقوله تعالى : «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب» (يوسف/111/12).

"كان" والدلالة على الحاضر :

على الرغم من أن كان تفيد الماضي في غالب الأحوال كما يذهب النحاة، إذ هي عندهم تدخل على المبتدأ والخبر لتخبر أن ذلك وقع فيما مضى (1) أقول، على الرغم من كل ذلك، فاننا وجدنا أنها تفيد الحاضر، وتتخلص من الدلالات الزمنية الأخرى ذلك قوله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس» (آل عمران/110/3) إذ يذهب أغلب المفسرين إلى أن "كنتم" بمعنى "أنتم"، وإذا أردنا أن نترجم هذا الرأي، إلى معنى زمني، فاننا نجد أن شرحه المناسب المعادل له هو الزمن الحاضر، يقول الفراء : «كنتم خير أمة».

"ومعنا في اللوح المحفوظ : أنتم خير أمة إلى أن يقول".... فاضمار كان

في مثل هذا، واطهارها سواء" (1)، أي أن كان هنا تجرد من الأزمنة الأخرى، وتنصرف الى الزمن الحاضر، وفي ذلك يقول أبو حيان... ولايراد بها (أي بكان) هنا الدلالة على الزمن الماضي وانقطاع التعيينة.. بالأصح أنها كسائر الافعال تدل على الانقطاع ثم قد تستعمل حيث لايرادا لانقطاع(2).

ومن الآيات التي جاءت فيها "كان" دالة على الحاضر قوله تعالى : «واذكروا اذ كنتم قليلا فكثرت» (الأعراف86/5) اذ يذهب الفراء الى أنها جاءت للحاضر، فهي عنده في معنى : «واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض» (الانفال26/8) لأن "اظمار" "كان" واطهارها في مثل هذا سواء(3)، وهو رأي يكاد ينفرد به الفراء اذ نجد أن معظم المفسرين يشرحون الآية حسب دلالتها الزمنية الظاهرية، من ذلك الشرح الامام الفخر الرازي الذي يجعل كان تنصرف الى الماضي اذ معنى الآية عنده ان الله سبحانه وتعالى : كثر عددكم بعد القلة، وكثركم بالغنى بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد الضعف، الى أن يقول: "ذلك أنهم كانوا فقراء، أو ضعفاء، فهم بمنزلة القليل، في أنه لا يحصل من جودهم قوة وشوكة..... والدليل على ذلك هو قوله تعالى : «وانظروا كيف كا عاقبة المفسدين» (الأعراف86) اذ هي اشارة قاطعة الى وقوع الحدث في الزمن الماضي لأن الآية عنده : تذكروا عاقبة المفسدين وما لحقهم من الخزي والنكال،(4) ولعل الفراء انما جعل "كنتم" في الآية للحاضر، ظنا منه بأن السياق الذي وردت فيه يفيد استحضر الحال، أي استحضر حاله، أو صورة معينة من الماضي وتصويرها وكأنها تقع في الحاضر، ومنه قوله تعالى : «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول، ممن ينقلب على

1 - معاني القرآن للفراء 229/1.

2 - البحر المحيط 28/3، وقد ذهب بعضهم : ان كنتم بمعنى صبتم.

3 - انظر المصدر السابق ودراسات أساليب القرآن الكريم للأستاذ عبدالحق عظمة القسم الثالث ج1 ص349 معاني القرآن للفراء 229/1.

4 - التفسير الكبير للامام الرازي 176-175/14.

"فكنت" هنا عند بعض المفسرين للدلالة على الحاضر لاغير، فالقابلة في الآية : الكعبة، كنت بمعنى : أنت تماما مثل قوله تعالى : «كنتم خير أمة» فيصبح معنى الآية عند ابن عباس، وما جعلنا القبلة التي أنت عليها.

غير أن أبا حيان يوجه هذا الرأي توجيهها دلاليا حتى يبتعد عن الغاء كان في الاعراب والمعنى ولذلك علق على تفسير ابن عباس بقوله «وهذا من ابن عباس أن صح تفسير معنى لاتفسير اعراب لأنه يؤول الى زيادة "كان" الرافعة للاسم والناصبة للخبر، وهذا ما لم يذهب اليه أحد والرأي عنده أن تكون "كان" بمعنى "صار" لأن من صار الى شيء اتصف به صح من حيث المعنى نسبة ذلك الشيء اليه، فاذا قلت صرت عالما أن تقول، أنت عالم، فأنت تخبره بشيء هو فيه (1) فكان تفسير ابن عباس "لكنت" بـ "أنت" هو من قبيل تجميل "كان" معنى صار، التي تتضمن معنى "أنت" وما يهمننا من هذا كله هو أن المفسرين متفقون على أن "كنت" في الآية جاءت للدلالة على الحاضر.

كان "دالة" على ماضي المستقبل

وردت كان في القرآن على زمن خاص، لا هو بالمستقبل الخالص ولا هو ينصرف الى الحاضر، أو الى الماضي، وانما يدل على أن احداثا وقعت وستقع سيتحدث عنها في المستقبل فعندما تقول لابنك «سيقول لك المعلم كنت مهملا في العطلة الماضية» فمعنى ذلك أن قول المعلم لم يحدث بعد، بل سيتحقق في المستقبل وأن كون الابن مهملا يكون أمرا مقضيا في زمن مخاطبة المعلم للتلميذ فـ "كنت" في المثال جاءت دالة على ماضي المستقبل والشكل التالي بين الموقع الزمني للفعلين "يقول" و "كنت".

1 - البحر المحيط 423/1-424 وانظر دراسات لأساليب القرآن الكريم لأستاذ عبدالحق عظمة القسم الثالث ج 1 ص 343.

| | | | |
|-----------------|-----------------|----------|---------------|
| المستقبل البعيد | المستقبل القريب | المستقبل | الماضي |
| | سيقول | مهملاً | كنت |
| | | | ماضي المستقبل |

فمن ذلك قوله تعالى : « قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم » (الطور 26,27).

اذ ان سياق الآية يوحي بأنها في مجملها تدل على المستقبل البعيد هي الاحداث التي ستقع يوم القيامة، أما أنها تدل على المستقبل وعلى يوم القيامة، فلقرله تعالى : في أول السورة « يوم تومر السماء مورا وتسير الجبال سيرا » (الطور 9/52).

ولقد رأينا أن المراد بـ "يوم" في القرآن يوم القيامة غير أن "كان" جاءت لتدل على احداث ماضية بالنسبة لهذا الزمن البعيد (زمن يوم القيامة) وبذلك يمكن القول : ان كان دلت على أحداث دنيوية تستوعب كا الأزمنة الدنيوية، فتنتقل من الماضي الدنيوي السحيق الى المستقبل الممتد الى نهاية حياة الانسان على هذه الارض ولذلك جاءت قبل لتدل على أن هذه الكينونة حدثت في ماضي ذلك الزمان (1).

وتتضح الدلالة الزمنية الحقيقة للفاعلين الواردين في الآية من خلال هذا الشكل.

| | | | |
|------------------------|-----------------|--------|--------|
| المستقبل البعيد | المستقبل القريب | الحاضر | الماضي |
| فأقبل بعضهم على بعض | المستقبل | ماضي | |
| يتساءلون (يوم القيامة) | | | |

1 - انظر شرح الآية في الكشاف 25/4 والبحر المحيط 154/8.

ومنه كذلك قوله تعالى : «قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا»(طه/20/125) وقد جاءت هذه الآية في سياق يدل على يوم القيامة (وهو استقبال بعيد)، فقد جاء بعد قوله تعالى : «ومن يعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونشره يوم القيامة أعمى»(طه/20/124) و (حشرتني) في الآية هو من قبيل الافعال الماضية لفظا الدالة على المستقبل معنى، غير أن كنت جاءت لتدل على ماضي هذا المستقبل، فزمن كنت هنا هو زمن الحياة الدنيا وهو زمن يصبح يوم القيامة ماضيا، قال الزمخشري وهو يشرح هذه الآية ومعنى لم حشرتني أعمى : اي لاحجة لي، وقد كنت عالما بحجتي، بصيرا بها، أحاج عن نفسي في الدنيا، لذلك قال الله سبحانه وتعالى : «كذلك أتتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى» أي أتتك آياتنا (في الدنيا) فلم تنظر اليها بعين الاعتبار، ولم تبصر وتركتها وعميت عنها(1).

والشكل التالي يبين الموقع الزمني للفعل كنت.

| المستقبل البعيد | المستقبل القريب | الحاضر | الماضي |
|-----------------|-----------------|----------|--------|
| لم حشرتني أعمى | | المستقبل | ماضي |
| | بصيرا | كنت | |

ومن الايات التي جاءت فيها كان دالة على ماضي المستقبل، قوله تعالى : «قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين»(الاعراف/37/7).

وقوله تعالى : «ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا»(النبا/40/78).

وقوله تعالى : «انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب

1 - البحر المحيط لأبي حيان 287/6.

السوم» (الطور 26/52)

وقوله عز وجل : «إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار» (غافر 47/40).

وقوله تعالى : « فلما رأو بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين» (غافر 84/40)

ومنه كذلك قوله تعالى : « قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين» (القلم 29/68).

كان" والدلالة على المستقبل

رأينا عند دراستنا لزمان "فعل" أن هذه الصيغة تأتي للدلالة على الاستقبال في سياقات معينة وبما أن "كان" فعل يتمتع بالخصائص الزمنية التي يمتلكها الفعل، فقد وجدنا ونحن ندرس استعمال "كان" في القرآن الكريم -أنها تدل في موافق معينة على ما يستقبل من الزمن على غرار "فعل".

ومن الايات التي جاءت فيها "كان" دالة على الاستقبال قوله تعالى : « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كشيئا مهيبا» (المزمل 14/73) وانما جاءت "كان" دالة على الاستقبال بفضل السياق الذي وجدت فالمراد بـ "يوم" في قوله تعالى (يوم ترجف) يوم القيامة وهو اليوم الذي تحدثت عنه الآيتان السابقتان (12,13) في قوله تعالى : «ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما» (المزمل 12/73) في معنى الآيتين عند المفسرين : ان لدينا في الآخرة ما يضاعف في تنعمهم في الدنيا ويوم تتعلق بالقول السابق فهو منصوب في قوله تعالى : «ان لدينا انكالا وجحيما» أي تنكل بالكافرين وتعذبهم (1) وبذلك يصبح المعنى الزمني لكان في الآية هو "يوم ترجف الأرض

ويوم تكون الجبال كثيبا مهيبا"

ومنه قوله تعالى : « وفتحت السماء فكانت أبوابا سرايا » (النبا/19,20
78) فكان هنا تدل على المستقبل على الرغم من أنها جاءت بصيغة الماضي
فهي ماضي لفظا دالة على الاستقبال معنا فهي واقعة في حيز زمني
استقبالي، دلت عليه الآيات السابقة في قوله تعالى : « عم يتساءلون عن النبا
العظيم الذي هم فيه مختلفون » (النبا/18,1,2,3)، وقوله تعالى في الآيات
التالية « ان يوم الفصل كان مقاتا يوم ينفخ في الصور فتأتون
أفواجا » (النبا/17,18).

فالنبا العظيم الذي كان يتساءل عنه أهل مكة هو يوم البعث فالحديث
ينصرف اذا الى المستقبل، زمن يوم القيامة (1) والمراد (بيوم الفصل) و (يوم
ينفخ في الصور) "اليوم الذي تنتهي الدنيا عنده" (2) وبذلك ينصرف زمن
"كان" الى المستقبل زمن يوم القيامة الذي تحدثت عنه الآية. قال الزمخشري
وهو يشرح معنى قوله تعالى (فكانت سرايا)، ".... يعني أنها تصير شيئا كلا
شيء، لتفرق أجزائها، وانبثاث ظواهرها" (3).

والشكل التالي يقرب المعنى الزمن لكان في الآية السابقة.

| المستقبل البعيد | المستقبل القريب | الحاضر | الماضي |
|-------------------|-----------------|--------|--------|
| يوم ينفخ في الصور | | | |
| فكانت أبوابا | | | |
| فكانت سرايا | | | |
| زمن يوم القيامة | | | |

1 - الكشاف 177/4 والتفسير الكبير للامام الرازي 181/30.

2 - الكشاف 208/4.

3 - المصدر نفسه.

ومنه قوله تعالى : «ويطاف عليهم بأنية من فصة وأكواب كانت قوارير» (الانسان 15/76) فقد جاءت "كانت" في الآية دالة على الاستقبال لأنها واقعة في سياق عام دال على المستقبل البعيد هو الدار الآخرة أما أن السياق دال على الاستقبال فلقوله تعالى في آيات سابقة : «أنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم» (الانسان 10/76) ومعنى "كانت" عند المفسرين هو يكون في قوله تعالى كن فيكون، أي تكونت قوارير بتكوين الله فكأنه أوجدها (1).

ومنه قوله تعالى : «يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا» (الانسان 7/76)

اذ جاءت كان هنا لتدل على المستقبل البعيد كذلك هو يوم القيامة من قوله تعالى : «يخافون يوما» فان الامام الرازي (قال : كان مستطيرا، ولم يقل سيكون شره مستطير (لأن) اللفظ وان كان للماضي الا أنه بمعنى المستقبل (2).

ومن الآيات التي جاءت فيها كان دالة على الاستقبال قوله تعالى : «فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا» (الكهف 98/18) وقوله تعالى : «وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة» (الواقعة 7/56).

وقوله عز وجل : «فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالذهان» (الرحمن 37/55) وقوله تعالى : «ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون» (يس 29/36) وقوله تعالى : «ويسقون فيها كأسا كان مزاجا زنجبيلا» (الانسان 17/76)

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 249/30 والبحر المحيط 397/8.

2 - التفسير الكبير للامام الرازي 247/30.

"كان" والدلالة على الزمن العام

أشار المفسرون والنحاة الى هذا المعنى المتميز الذي تدل عليه "كان" في مواطن في القرآن الكريم، لأن كان عندهم (عبارة عن وجود الشيء في زمن ماض على سبيل الإبهام) وليس فيه دليل على عدم سابق، ولا على انقطاع طارئ(1) اذ غالبا ما تأتي "كان" بمعنى الدوام، والاستمرار نحو (كان الله غفور رحيمًا). ونحو قوله تعالى : (وكنا بكل شيء عالمين) كل ذلك يأتي في معنى لم يزل كذلك قال : السيوطي، وعلى هذا المعنى (أي معنى الأزلية) تتخرج جميع الصفات الذاتية المقترنة بـ "كان"(2) غير أن بعضهم يذهب الى أن الاستمرار المستفاد في قوله تعالى : «وكان الله سميعا بصيرا» لا فضل فيه لـ "كان" وإنما هو مستفاد من قرينة وجوب كون الله سميعا بصيرا(3) وهو رأي يتجه الى تجريد "كان" من الزمن وتحويل السياق الآية عن المعنى المراد لأن كان هي التي تفضي المعنى الزمني علي الآية وتجعل صفات الله أزلية من حيث امتدادها في الزمن ماضيا ومستقبلا (ولو قلنا : الله سميع بصير لكان مجرد اخبار) ومن دلالات "كان" على الزمن العام في القرآن الكريم قوله تعالى : «سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله مقدورا»(الاحزاب33/38) فـ "كان" هنا لا يمكن صرفها للماضي وحده أو للمستقبل وحده، وإنما هي تستغرق جميع الزمينة الممتدة من الماضي الى الحاضر- الى المستقبل. لأن أمر الله كان وسيظل قدرا مقضيا وحكما مثبتوتا(4). ومعنى "كان" أمر الله عند أبي حيان : مأموراته الكائنات من أمره فهي مقدورة وبما أن مأمورات الله لا يحددها زمن، فان "كان" في الآية تستوعب جميع الازمنة(5) ومن ذلك قوله تعالى : «واتقوا

1 - الكشاف 400/1.

2 - الاتقان في علوم القرآن للسيوطي 168/1.

3 - شرح الرضي للكافية 272/2.

4 - البحر المحيط لأبي حيان 28/3.

5 - البحر المحيط لأبي حيان : 28/3.

الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا» (النساء 1/4) اذ لا يمكن أن تنصرف "كان" في الآية الى زمن معين، لأن رقابة الله لعباده لا يحدثها زمان، قال أبو حيان وهو يشرح الآية : «لا يراد بـ "كان" تفيد الخبر، بالمخبر عنه في الزمن الماضي المنقطع في حق الله تعالى. وان كان موضوع كان ذلك، بل المعنى على الديمومة، فهو تعالى رقيب في الماضي وغيره علينا» (1).

ومنه كذلك قوله تعالى : «ان الله كان عليما كبيرا» (النساء 34/4) حيث أن العلو والكبر من صفات الله الأزلية، ولا يمكن أن تدل كان الا على الزمن الأزلي المناسب للمقام بقول أبو حيان : ختم الله تعالى الآية بصفة العلو والكبر لينبه على أن المتصف بذلك حقيقة هو الله تعالى (2).

ومنه قوله تعالى : «وكان أمر الله مفعولا» (الاحزاب 27/33).

حيث يستفاد من شرح المفسرين لملايسات الآية أن كان هنا لا تنحصر بزمن معين على الرغم من أنها نزلت في مناسبة محددة (فكان أمر الله مفعولا) "يعني وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه مفعولا لا محالة لأن المراد هو نفي الحرج عن المؤمنين -كافة- في اجراء أزواج المتبينين مجرى أزواج المبينين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع علائق الزوج بينهم وبينهم" (3) "كان" في الآية تدل على الزمن العام الدال على الازمنة الثلاثة : الماضي، الحاضر، المستقبل، وقد تأتي "كان" مسبوقه بـ من الشرطية فتدل على الزمن العام كذلك من ذلك قوله تعالى : «فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر» (البقرة/184) (2) لأن كان هنا جاءت في سياق تشريعي يشمل كافة المسلمين في جميع الأزمنة فـ "كان" في الآية لا تدل على الماضي فقط أو الحال فقط وانما دلالتها الزمنية الى آخر أمد في هذه الحياة، حيث يقسر أبو حيان يجعل فيه هذا

1 - المصدر نفسه 159/3.

2 - المصدر نفسه : 243/3.

3 - الكشاف 264/3.

التركيب يفيد مطلق المرض ومطلق السفر زمنا وقصدا(1).

ومن الآيات التي جاءت فيها : "كان" دالة على الزمن العام

وقوله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا» (الاحزاب33/21) (كان المقصودة هنا الثانية في الآية).

وقوله عز وجل. «ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما» (الأحزاب33/54).

وقوله تعالى : «وكان عهد الله مسؤولا» (الاحزاب33/15).

وقوله تعالى : «ولانطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما» (الاحزاب33/1).

وقوله سبحانه تعالى : «ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيفا» (الاحزاب33/73).

«والله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزا حكيما» (الفتح7/48).

«وأخرى لم تقدوا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا» (الفتح21/48).

وقوله تعالى : «أفمن كان على بينة من ربه» (محمد14/47).

وقوله تعالى : «وان تدع مشقة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قرى» (فاطر18/35)

وقوله تعالى : «ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا» (يونس/61).
ومنه قوله عز وجل : «ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر» (البقرة/228).

كان بمعنى "صار"

التفت المفسرون الى هذا المعنى الزمني الخاص الذي تفيد "كان" بحيث تنزاح عن معناها الأصلي وتفيد معنى "صار" أي تفيد التحول من حال الى حال حسب الزمن الذي ترد فيه، وذلك في مثل قوله تعالى : «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول» (البقرة/143).

ونحو قوله تعالى :

«الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين» (البقرة/34) اذ يرى المفسرون أن كان في الآيتين جاءت بمعنى "صار" (1) قال أبوحيان وهو يعقب على قول ابن عباس في أن كنت في الآية الأولى بمعنى "أنت" كقوله تعالى : (كنتم خير أمة) (آل عمران/110) قال وهذا من ابن عباس أن صح تفسير معنى لاتفسير اعراب لأنه يؤول الى زيادة "كان" الرافعة للاسم والناصب للخبر، وهذا لم يذهب اليه أحد وانما تفسير للاعراب على هذا التقدير، ما نقله النحويون أن كان تكون بمعنى "صار" ومن صار الى شيء، واتصف به صح من حيث المعنى نسبة ذلك الشيء اليه، فاذا قلت صرت عالما، صح أن تقول أنت عالم، لأنك تخبر عنه بشيء، هو فيه، فتفسير ابن عباس كنت بأنت من هذا القبيل (2)، أي أن كنت جاءت بمعنى صار التي مؤداها في المعنى النهائي المستخلص أنت، أما من حيث الاعراب والدلالة الزمنية فان كان تبقى دالة على

1 - الاتقان في علوم القرآن للسيوطي 1/168. والبحر 1/423-424.

2 - المصدر نفسه.

التحول من حال الى حال. وكذلك الآية الثانية وهي قوله تعالى : «واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس استكبر وكان من الكافرين»(البقرة/134)

فإن بعض المفسرين يرجحون أن تكون "كان" في الآية بمعنى "صار"، فاما أن تكون "كان" بمعنى "صار" واما على بابها "أي كان في علم الله لأنه لاخلاف أنه كان عالما بالله قبل كفره، فالمعنى أنه كان فعل الله سيكون من الكافرين(1) لان اعتبار كان دالة على الماضي يفضى الى أنه وجد قبله جمع من الكافرين حتى يكون هو بعضا له.

فمعنى الآية اذا عند بعض المفسرين أنه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك..... فقد كان ابليس مؤمنا، وانما كفر لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد(2)، فمعنى كان عند المفسرين في الآية "صار" صار من الكافرين بعد ما كان مؤمنا ومن ذلك قوله تعالى : «فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين»(الأعراف/83/7).

اذ بيدوا من شرح المفسرين للآية أن "كانت" الواردة فيها قد جاءت بمعنى "صار" لأن معنى (من الغابرين) من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا، اذ كانت قبل ذلك كافرة موالية لأهل سدوم(3)، فمعنى كانت من الغابرين : أي أصبحت (أو صارت من الهالكين ومنه قوله تعالى : «ان كيد الشيطان كان ضعيفا»(النساء/76/4).

فكان هنا كذلك يمكن أن يكون لها مدلول "صار" قال أبوحيان : ودخلت كان في قوله (كان ضعيفا) اشعار بأن هذا الوصف سابق لكيد الشيطان وانه لم يزل

1 - البحر 1/154.

2 - المصدر نفسه والتفسير الكبير للإمام الفخر الرازي 2/238.

3 - الكشاف 2/92-93 والبحر 4/335.

ضعيفا وقيل : هي بمعنى "صار"، أي صار ضعيفا بالاسلام(1)، وفي قوله تعالى : «ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين»(البقرة/64/2)

يحتمل أن تكون "كان" دالة على الصيرورة ويكون معنى الآية، لولا فضل الله عليكم لصرتم من الخاسرين(2) ومن الايات التي جاءت فيها كان بمعنى صار قوله تعالى :

«واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلح منها فأتبعه الشيطان فكان من الغايرين»(الانفال/175/7).

وقوله تعالى : «أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المختصر»(القمر/31/54).

يكون ودلالاتها الزمنية

وردت يكون في القرآن دالة على جميع الأزمنة التي تدل عليها مثل هذه الصيغة في الأفعال الأخرى.

ومن دلالات "يكون" على الماضي قوله تعالى : «قال رب إنني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا»(مريم/4/19).

وقد جاءت "أكون" مسبوقة بقرائن لفظية متعددة تدل على الماضي فالأفعال "وهن" و "اشتعل" أفعال ماضية لفظا ومعنى و "لم" من الحروف الجازمة التي تصرف زمن الفعل المضارع الى الماضي، وقوله تعالى على لسان سيدنا زكرياء لم أكن بدعائك ربي شقيا، نفي للشقاء فيما مضى من حياته، قال أبوحيان : "ولم أكن نفي فيما مضى : أي ما كنت بدعائك رب شقيا، بل كنت سعيدا

1 - البحر 296/3.

2 - البحر 246/1.

موفقا اذ كنت محجيب دعائي فأسعد بذلك" (1).

ومن دلالات يكون المسبوقه بـ "لم" على الماضي قوله تعالى :

- «أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا» (مريم/67/19).

ومن ذلك قوله تعالى : «وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا» (مريم/14/19).

ومنه كذلك قوله تعالى : «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا» (الانسان/1/17)

وقوله تعالى : «فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم يكن معكم وإن كان للكافرين نصيب» (النساء/141/4)

"يكون" والدالة على ماضي المستقبل

وردت "يكون" في مواطن كثيرة من القرآن الكريم دالة على ماض خاص، اذ غالبا ما ترد مسبوقه بـ "لم" الدالة على قلب الزمن الى الماضي ولكنها تأتي مدرجة في سياق استقبالي أي أنها تدل على زمن يكون قد مضى بالنسبة لأحداث ستقع في المستقبل وذلك في مثل قوله تعالى : «أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال» (ابراهيم/44/14).

حيث نجد أن الآية واقعة في سياق استقبالي يدل عليه قوله تعالى في الآية السابقة : «يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل» (ابراهيم/43/14)

غير أن قوله تعالى : «لم تكونوا أقسمتم من قبل» تركيب يدل على زمن مضى وبذلك يكون موقعه الزمن الحقيقي هو : ماضي المستقبل واذا أردنا ترجمة هذا المعنى الزمني الى مثال أكثر وضوحا قلنا أن المعنى الزمني للآية هو

1 - البحر المحيط لأبي حيان 173/6.

كان الله سبحانه وتعالى : «سيقول لهم يوم القيامة أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال» (1).

والرسم التالي يوضح العلاقة بين الماضي الذي دل عليه الاستقبال الذي دل عليه السياق.

| الماضي | الحاضر | المستقبل القريب | المستقبل البعيد |
|----------------------------|----------|-------------------|-----------------|
| ماضي | المستقبل | يوم تأتيهم العذاب | يوم القيامة |
| أو لم تكونوا أقسمتم من قبل | | يوم القيامة | |

ومن ذلك قوله تعالى : «قالوا ألم نك من المصلين» (المدرثر43/74)

اذ نجد أن التركيب "ألم نك" يدل على ماض المستقبل الذي تشير اليه الآيات السابقة وذلك في قوله تعالى : «كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر...» (المدرثر42/74).

"يكون" دالة على المستقبل

تأتي "يكون" دالة على المستقبل في القرآن بفضل قرائن عديدة من تلك القرائن "يوم" الدالة على يوم القيامة كما رأينا وذلك في قوله تعالى : « يوم تكون السماء كالمهل» (المعارج 8/7) : حيث تدل "يكون" في الآية على المستقبل البعيد، هو زمن الدار الآخرة وهذا حسب السياق الذي ورد فيه "يوم تكون"، هو قوله تعالى «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبيرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا» (المعارج 1/7, 2, 3, 4, 5, 6) فالآية كما نرى تصور مشاهد من الدار الآخرة وكيف تكون السماء والجبال، مما يصرف تكون الى المستقبل البعيد.

ومن بين تلك القرائن :سوف" في قوله تعالى : «فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون» (الانعام 6/135)، فـ "تكون" هنا جاءت مسبوقه بسوف الدالة -غالبا- على ما يستقبل من الزمان كما جاءت في سياق الحديث عن الدار الآخرة، حيث يزداد عاقبة الدار : «العاقبة الحسنی خلق الله تعالى : هذه الدار لها" (1) وذلك لأن العاقبة تكون على الكافر ولا تكون له (2) والمهم أن "تكون" جاءت للاستقبال البعيد بفضل التركيب والسياق الذين وقعت فيهما.

ومنه قوله تعالى : «فسينفقونها ثم تكرر عليهم حسرة ثم يغلبون» (الانفال/7). (8).

وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : «ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله» مما يفيد أن الذين كفروا سنفقون أموالهم في المستقبل

1 - الكشاف 52/2.

2 - التفسير الكبير للامام الرازي 203/13.

القريب أي أن تكون عاقبة إنفاقها حسرة في هذه الزمن ثم يغلبون آخر الأمر من المعرفيين فيكون هنا جاءت للدلالة على المستقبل القريب.

ومن القرائن التي تجعل "يكون" دالة على الاستقبال، لا الناهية في قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذ ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندما ما ماتوا وما قتلوا» (آل عمران/156). (3).

فتكونوا في الآية مسبوقه بـ "لا" الناهية، والنهي لا يكون الا للمستقبل، وسياق الآية يوحي بهذا الاتجاه الزمني اذ ذكر في هذه الآية ما يدل على النهي عن أن يقول أحد من المؤمنين مثل مقالتهم، فقال : يا أيها الذين آمنوا : لا تقولوا لمن يريد الخروج الى الجهاد : "لو لم تخرجوا كما متم....." (2) فزمن "لا تكونوا" زمن استقبالي دنيوي. ومن الآيات التي جاءت فيها "يكون" دالة على الاستقبال قوله تعالى : «كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا» (مريم/82).

وقوله تعالى : «ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف» (آل عمران/104)

ومنه قوله تعالى : «ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين» (يونس/95).

«وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين» (105/10).

وقوله عز وجل : «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات» (آل عمران/105).

1 - الكشاف 156/2.

2 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 52/9 والكشاف 473/1.

ومنه قوله تعالى : «لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين» (الزمر 65/39).

وقوله تعالى : «قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهرا للمجرمين» (القصص 17/28)..

'يكون' والدلالة على الزمن العام :

وردت "يكون" في سور عديدة من القرآن غير مقيدة بزمن معين بحيث جاءت دالة على معنى زمني يستوعب جميع المراحل الزمنية، وغالبا ما تكتب هذه الدلالة لتفصيل قرائن تسبقها أو سياقات تكتنفها من ذلك قوله تعالى :

«إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا» (الاسراء 25/17). فـ "تكونوا" في الآية لاتقف عند زمن محدد، حيث جاءت مسبقة وبأداة شرط دالة على عامة الناس فهي كل زمان ومكان.

قال أبوحيان وهو يشرح : (ان تكونوا صالحين) "أي ذوي صلاح ثم فرط منكم تقصيرا في عبادة، أو بر، وأبيتم الى الخير، فانه غفور لما فرط من هناتكم، والظاهر أن هذا عام لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها، ويندرج فيه من جنى على أبويه، ثم تاب من جنايته" (1).

ومن ذلك قوله تعالى : «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» (النساء 78/4).

حيث نجد أن "تكونوا" جاءت مسبقة بـ "أينما" التي تدل على عموم الزمان أيضا. "فقد جاءت وتكونوا" باخبار من الله بأنه لاينجو من الموت أحد" (2) : قال أبوحيان : "وأينما تدل على العموم، وكأنه قيل في أي مكان تكونون فيه

1 - البحر المحيط 29/6 وانظر الكشاف 446/2.

2 - انظر البحر لأبي حيان 299/3 وانظر التفسير الكبير للامام الرازي 187/10.

أدرركم الموت". وقوله "في أي مكان" يفضي به الى القول "وفي أي زمان"، فالتركيب "أينما تكونوا" يدل على عموم الزمان وليس مختصا بزمن معين. ومنه قوله تعالى : «من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها» (النساء/85/4).

يستفاد من شروح المفسرين لهذه الآية وما بعدها أنها حكم عام يشمل كافة المسلمين، مهما اختلفت أزمتههم وأماكنهم، قال الزمخشري وهو يشرح الآيتين : «الشفاعة الحسنة هي التي روعي فيها حق مسلم ودفع بها عنه أو جلب اليه خيرا وابتغى به وجه الله، ولم يأخذ عليها رشوة وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله، ولا في حق من الحقوق (1) وقال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم فيما كتبه أبو حيان : "هي في حوائج الناس فمن يشفع لتقع فله نصيب، ومن يشفع لضر فله كفل" (2).

فـ "تكن" في الآية وان كانت جوابا للشرط الا أنها جاءت دالة على زمن عام وانما جاءت هذه الدلالة الزمنية من كونها واقعة في جواب شرط فعل دال على زمن عام، وهو قوله تعالى "من يشفع".

ومن الآيات التي جاءت فيها "تكون" دالة على الزمن العام قوله تعالى : «ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد» (النساء/12/4).

وقوله تعالى : «فان لم يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما» (النساء/135/4). وقوله عز وجل : «وان يكن ميتة فهم فيه شركاء» (الأنعام/139/6).

ومنه كذلك قوله تعالى : «ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا» (النساء/138/4).

1 - الكشاف 549/1.

2 - البحر المحيط لأبي حيان 309/3.

وقوله تعالى : «والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم» (النور 6/29).

وقوله عز وجل : «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» (الإخلاص 4/112).

ومن ذلك قوله تعالى : «قل لا أحد فيهما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً» (الأنعام 6/145).

ومنه قوله تعالى : «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» (الأحزاب 33/36).

دلالة "كن" الزمنية :

من المواضع التي جاءت فيها "كن" في سياق دال على زمن ماضٍ، قوله تعالى : «قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم» (الأنبياء 21/69) وهو ماضٍ لأنه جاء بعد قرينة لفظية هي قوله تعالى "قلنا" الماضية لفظاً وعنى ولأننا نعلم أن الحديث ينصرف إلى نبي الله سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي عاش في زمن سحيق" وكيف فزع منها (عن النار) طبعها الذي طبعها عليه من الحر لأحراق وأبقائها على الاضائة والاشتعال" (1).

ومن دلالات "كن" على الماضي، قوله تعالى : «خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» (آل عمران 3/59)

وقوله عز وجل : «قلنا لهم كونوا قردة خاسئين» (البقرة 2/65).

وقوله تعالى : «فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين»

ومن دلالة "كن" على الاستقبال قوله تعالى : «ويوم يقول له كن فيكون» (الأنعام 6/73)

وقد علمنا أن يكون في القرآن تصرف ما بعدها الى زمن استقبالي هو زمن القيامة. فزمن "كن".

في الآية هو زمن استقبالي بعيد يدل عليه قوله تعالى بعد ذلك : يوم ينفخ في الصور "ولاشبهة أن المراد منه يوم الحشر" (1)، وقد فسر الزمخشري هذه الآية تفسيراً يجعل زمن الآية لمطلق الاستقبال، الذي يدل على الزمن القريب والبعيد يقول : "واليوم بمعنى الحين، والمعنى أنه خلق السماوات والأرض قائماً بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء" (2).

مهما اختلف المفسرون في تفسير الآية فإن زمن "يكن" يبقى على دلالات كن على الاستقبال قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله» (النساء 135/4).

«يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» (التوبة 119/9).

ونحو قوله تعالى : «فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين» (الحجر 98/15).

«بل الله فاعبد وكن من الشاكرين» (الزمر 66/39).

ومن دلالات "كن" على الزمن العام قوله تعالى :

«وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون» (البقرة 2/117) حيث جاءت "كن" في سياق زمني عام دلت عليه "إذا" الظرفية الدالة على عموم الزمن والمعنى الزمني للآية هو ما يذهب إليه الزمخشري في أن معنى كن فيكون هو : "أن ما اقتضاه من الأمور وأدركوا فيه، فإنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف" (3)، وقد أفاض صاحب التفسير الكبير في شرح هذا المعنى

1- التفسير الكبير للإمام الرازي 33/13.

2- الكشاف 29/2.

3- الكشاف 307/1.

الزماني بما يشفى غليل المستزيد (1).

ذلك قوله تعالى : «انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون» (النحل 40/16) :

«انما أمره اذا أردنا شيئا أن يقول له كن فيكون» (يس 82/36)

ومن الدلالات الزمنية الذاتية لأخوات "كان" في القرآن، زمن أصبح في قوله تعالى : «قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتكم بماء معين» (الملك 30/67) فقد جاء زمن "أصبح" زمنا عاما غير مقيد بزمن محدود اذا المعنى "أخبروني ان صار ماؤكم ذاهبا في الأرض فمن يأتكم بماء معين" (2). لأن "ان" الشرطية هنا تدل على عموم الزمان وينسحب هذا الزمن على "أصبح" فتكتسب الدلالة نفسها.

وقد جاءت أصبح دالة على الماضي في قوله تعالى : «فقتله فأصبح من الخاسرين» (المائدة 30/5)

وقوله تعالى : «فأصبح فؤاد أم موسى فارغا» (القصص 10/28)

وقوله عز وجل : «فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا» (آل عمران 103/3).

وقوله عز وجل : «قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين» (المائدة 102/5).

غير أن "أصبح" في هذه الايات جميعها لاتدل على المضي فقط وانما تدل بالاضافة الى ذلك -على الصيرورة والتحول من حال الى حال.

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 26/4.

2 - التفسير الكبير للامام الرازي 76/30.

ومنها كذلك زمن "ظل" في قوله تعالى : «واذا بشر أحدكم بالانشى ظلّ وجهه مسودا وهو كظيم»(النحل16/85).

حيث نجد أن "لظل" في الآية زمنين، زمنا عاما أضفاه عليها سياق الآية وأداة الظرف "إذا" الدالة على عموم الزمن وزمنا آخر ذاتيا. هو اتصاف اسمها بمعنى خبرها طول النهار أي أنها في هذه الآية دلت على اسوداد الوجه طول النهار(1).

ويرجح هذه الدلالة الزمنية لظل في الآية "أن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مرید الوجه من الكآبة والحياء من الناس"(2)، ويجوز أن تكون هنا "ظل" بمعنى "صار"(3). بأنه يتحول وجهه من صفته العادية الى صفة السواد.

ومن الايات التي جاءت فيها "ظل" دالة على المعنى الزمني السابق قوله تعالى : «وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا»(طه20/97).

وقوله تعالى : «ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين»(الشعراء4/26).

ومن الدلالات الذاتية لأخوات "كان" زمن "مازال" وذلك في قوله تعالى : «فما زلتم في شك مما جاءكم به»(غافر40/34).

وعندما ندرس الجوانب الزمنية لـ "مازال" في الآية نجد أنها وقعت في سياق قصصي دال على زمن ماضي بعيد هو زمن يوسف عليه السلام، غير أنها تدل على زمن آخر هو الاستمرار لأنها تدل على مصاحبة الصفة للموصوف منذ كان

1 - شرح الرضي للكافية 2/293.

2 - الكشاف 2/414.

3 - المصدر نفسه.

قابلا لها (1)

وهذا المعنى نفسه الذي دلت عليه "مازال" في الآية يقول الزمخشري وهو يشرح هذه الآية : « بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيه ولم تزالوا شاكين حتى اذا قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا » (2).

فزمن "مازال" في الآية هو الماضي والاستقبال.

ومن الدلالات الزمنية لـ "مادام" قوله تعالى : « ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤدى اليك إلا ما دمت عليه قائما » (آل عمران 75/3).

فزمن "مادام" في الآية جاء مطابقا لما ذهب اليه النحاة من أنها تفيد الاستمرار. استمرار المعنى الذي قبلها مدة محددة هي مدة ثبوت معنى خبرها، واستمرار ذلك في الزمن الماضي الى الاخبار عنه (3).

حيث يشرح المفسرون الآية : "منهم من يكون معترفا بما دفعت اليه مادمت قائما على رأسه بالاجتماع معه والملازمة له..... فان أنظرت وأخرت أنكر" (4).

ومن ذلك قوله تعالى : « لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ».

وقوله تعالى : « وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم » (المائدة 117/5).

وقوله عز وجل : « قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها » (المائدة 24/5).

1 - القانون في النحو للجزولي ص 46.

2 - الكشاف 426/3.

3 - التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي 101/7.

4 - شرح الرضي على الكافية 290/2، والبحر 498/2.

وقوله سبحانه وتعالى : «وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرما» (المائدة/96).
(5).

وقد رأينا -ونحن نختم هذا الفصل- أن نعطي بعض اللّمحات عن ورود كان في القرآن الكريم وعن دلالتها واستعمالاتها الغالبة.

يقول الدكتور ابراهيم أنيس ان ما يروا على 400 من الآيات اشتملت كل منها على الفعل كان..... غير أنا لا نكد نلحظ بوضوح معنى المضى في الفعل "كان" الا في عدد قليل من تلك الايات(1).

وقد وجد بعد ذلك الاستاذ عبدالمخالق عزيمة أن "كان" وأخواتها في القرآن بلغت قرابة(1500) ألف خمسمائة(92).غير أن غرضنا نحن من استقراء "كان" في القرآن الكريم ليس مجرد اعطاء فكرة عامة أو عدد تقريبي لـ "كان" وانما نريد الوقوف بالاحصاء الفعلي على الدلالة الزمنية الغالبة (والأقل ورودا) لـ كان في آيات القرآن الكريم.

فقد وجدنا أن عدده كان في القرآن بكل صيغها ومشتقاتها بلغت (1354).

وأن عدد "كان" التي خبرها اسم مفرد (في نحو قوله تعالى وكان الله غفورا رحيمًا) بلغ 790 منها 244 مرة بصيغة "يكون".

والجدول الموالي (في الصفحة التالية) يوضح توزيع كان المفردة (التي خبرها اسم مفرد وتدل ذاتيا على الزمن) على المراحل الزمنية المختلفة، وقد سبق لنا في الفصل الأول أن رصدنا سلوك "كان" التي خبرها جملة فعلية وأحصينا دلالتها الزمنية المتعددة.

1 - من أسرار اللغة العربية للدكتور ابراهيم أنيس ص160.

2 - دراسات لأسلوب القرآن القسم الثالث الجزء الأول ص333.

جدول يبين دلالات كان ونسبها في المراحل الزمنية المختلفة

| مجموع الصيغ | الزمن العام | المستقبل | ماضي المستقبل | مستقبل الماضي | الحاضر | الماضي |
|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|----------------|
| 546 | 331 | 21 | 14 | 03 | 06 | 171 |
| النسبة المئوية | 60,62 | 03,84 | 02,546 | 0,549 | 1,09 | 31,31 |
| النسبة المئوية | النسبة المئوية | النسبة المئوية | النسبة المئوية | النسبة المئوية | النسبة المئوية | النسبة المئوية |

وعند دراستنا لهذا الجدول نجد أن دلالة "كان" لا تقتصر على الماضي فقط وإنما تدل على جميع الأزمنة المختلفة بنسب متفاوتة. كما نلاحظ أن دلالتها "كان" على الزمن العام هي النسبة الغالبة وذلك لأن "كان" استعملت كثيرا في القرآن استعمالا أزهيا. خصوصا عندما تستند الى اسم الجلالة في نحو "كان الله غفورا رحيمًا، وكان الله سميعًا بصيرًا... الخ" كما يكثر استعمالها مع أدوات الشرط في نحو قوله تعالى: «وان كان رجل يورث كلاله أو امرأة... الخ». وغالبا ما تدل أدوات الشرط على عموم الزمن.

أما القول بأن كان "لا تدل على الماضي الا في آيات قليلة (1)" فرأى يناقص ما كشفته الأرقام في الجدول المبين، إذ نجد أن ثلث هذا القبيل من كان استعمل

1 - من أسرار اللغة العربية للدكتور إبراهيم أنيس ص160.

في الماضي. وغالبا ما تأتي مثل هذه الدلالة لـ "كان" في سرد قصص الانبياء في نحو قوله تعالى «وكان في المدينة تسعة رهط»، (وكان تحتها كثر لهما وكان أبوهما صالحا....).

ويجب أن نلاحظ في الأخير أننا اعتمدنا في تحديد المراحل الزمنية غالبا على كتب التفسير والسياق القرآني وكثيرا ما يختلف المفسرون في تحديد زمن الصيغة مما يجعلنا لا نقطع بدقة الأرقام المبنية في الجدول، ونبقي فصل هذه الاحصاءات كما نأمن في اعطاء صورة واضحة عن دلالات كان الزمنية وفق اجتهاد المفسرين وتوجيه الباحث لهذه الآراء.

وهذا جدول آخر يبين المراحل الزمنية التي يدل عليها "يكون" في القرآن الكريم مع نسبها المئوية.

| الماضي | الحاضر | مستقبل الماضي | ماضي المستقبل | المستقبل | الزمن العام | مجموع الصيغ |
|----------------|----------------|------------------|------------------|----------------|----------------|----------------|
| 45 | 03 | 15 | 06 | 112 | 63 | 244 |
| النسبة المئوية | النسبة المئوية | النسبة المئوية | النسبة المئوية | النسبة المئوية | النسبة المئوية | النسبة المئوية |
| 18.44 | 1,23 | 06,15 | 02,46 | 45,90 | 25,62 | |

نلاحظ أن "يكون" جاءت دالة بذلك على مختلف مراحل الأزمنة بما في ذلك

الدلالة على الزمن الماضي على الرغم من النحاة يجعلونها خاصة بالدلالة على الحاضر والاستقبال. كما نجد أن الدلالة الغالبة لـ "يكون" هي المستقبل وهذا كشف يسائر رأى النحاة في دلالة هذه الصيغة على الاستقبال، أما الدلالة على الحاضر فبجد أن "يكون" في القرآن تقفز من الماضي الى المستقبل عبر الحاضر ولذلك قلت نسبة ورودها فيه، كما كشف الجدول أن الدلالة على الزمن العام تغطي نسبة هامة من مجموع الصيغ (الربيع تقريبا) ولعل مرد ذلك الى أن "يكون" كثيرا ما تستعمل مع أدوات الشرط الدالة على عموم الزمن وذلك في قوله تعالى : « أن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا، أينما تكونوا يدرككم الموت.....الخ».

- ولم تكتف "يكون" بالدلالة على المراحل الزمنية الكبرى وإنما دلت كذلك على الأزمنة الاعتبارية (السياقية) التي يقتضيها الأسلوب القرآني (مستقبل الماضي. ماضي المستقبل) وذلك في نحو قوله تعالى : (لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الضالين).

الباب الرابع

الصيغ الفعلية مع الأدوات

obeikandi.com

الفصل الأول

الصيغ الفعلية مع أدوات الشرط

- * الدلالة الزمنية لأدوات الشرط مع "فعل" و"يفعل".
- * دلالتها على الاستقبال.
- * دلالتها على الزمن العام.
- * دلالتها على الماضي.

الصيغ الفعلية مع أدوات الشرط

أولا : / يفعل/ مع أدوات الشرط

ينصرف المضارع للاستقبال مع أدوات الشرط في مواطن كثيرة وفي أغلب أساليب الشرط، حتى وإن كانت أداة الشرط غير جازمة أو كانت الصيغة فعلا للشرط أو جوابا له.

والشرط يتكون في الغالب من جملتين فعليتين : جملة الشرط، وجملة الجواب والجزاء. وقد ينسجم الفعلان في الصيغة فيكونان ماضيين أو مضارعين، وقد يكون أحدهما ماضيا والآخر مضارعا.

ووجه الكلام وأحسنه عند جمهور النحاة أن يكون فعلا الشرط مضارعين لأن الفعل المضارع أصلح للدلالة على الاستقبال من صيغة /فعل/ وفي ذلك يقول سيبويه : «فإذا قلت/ إن تفعل/ فأحسن الكلام أن يكون الجواب /افعل/ لأنه نظير من الفعل»(1)، وقد جاء فعل الشرط بصيغة الماضي في سور كثيرة في القرآن الكريم، فقد ورد فعل الشرط وجوابه ماضيين 24 مرة، وورد فعل الشرط ماضيا 108 مرة كما ورد جواب الشرط ماضيا في 17 مرة مما يدل على أن ورود الشرط بصيغة الماضي عربي فصيح وإن نبذه النحاة.

وقد درس النحاة التركيب الشرطي دراسة مستفيضة من حيث دلالاته ووظيفته كما أفردوا لكل أدواته بحوثا واستقصاءات ستفيدنا ونحن ندرس الدلالات الزمنية التي تضيفها هذه الأدوات على الصيغ في القرآن الكريم(2)

1 - الكتاب 91/3 وانظر شرح الكافية 25/2.

2 - انظر الصاحبى 438 وانظر معاني القرآن للفراء 6/2 والاتقان 198/2 والمغني والتركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر يوسف المطلبى والشرط في القرآن عبد السلام المسدي ومحمد الهادي الطرابلسي ص33-15.

يفعل/مع أداة الشرط إن :

يجعل النحاة /إن/ على رأس حروف الشرط لاعتبارات كثيرة، منها : انها لالتحيد عن الشرط في الاستعمال، ومنها أن التركيب الشرطي يطرد بها أكثر من غيرها، حيث إنها استعملت 572 مرة في القرآن من مجموع 1379 مرة استعمل فيها التركيب الشرطي في القرآن(1) وهي الاعتبارات التي جعلت النحاة يعدون أدوات الشرط الأخرى /من، وما/ فروعا من /إن/ الشرطية وتبعا لها. لأنها جميعا تتضمن معنى /إن/ قال سيبويه : «زغم الخليل أن /إن/ هي أم حروف الجزاء فسألته لما قلت ذلك فقال من قبل أني أرى حروف الجزاء قد يتصرفن منها ما يكون استفهاما، ومنها ما يفارقه فلا يكون فيه الجزاء، وهذه على حال، احد أبدا لاتفارق المجازاة»(2).

ومن الايات التي جاء فيها /يفعل/ /مع/ /إن/ دالا على الاستقبال قوله تعالى : «فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما»(الفتح16/48)

حيث نجد أن الفعلين المضارعين /تطيعوا/ و/تولوا/ قد انصرفا الى الاستقبال بفضل أداة الشرط /إن/ فهما واقعان في سياق يوحى بذلك وسياق الآية الذي وقع فيه الفعلان هو قوله تعالى في الآية نفسها : «قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون» فليس هناك شك في أن السين في /ستدعون/ تجعل دعوة المخلفين فيما يستقبل من الزمان وبذلك لن تكون الطاعة المشروطة الا في المستقبل، وكذلك القول في الفعل /تولوا/ يقول أبوحيان وهو يشرح الآية : «فإن تطعوا : أي فيما تدعون اليه

1 - هذه الاحصاءات قام بها مؤلفنا كتاب الشرط في القرآن الكريم ونحن في الحقيقة لم نزد على التحقق منها لتأكيدنا.

2 - الكتاب 63/3، وانظر الجني الداني في حروف المعاني للحسين بن قاسم المرادي ص208.

كما توليتم من قبل : أي في زمان الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في زمن يعذبكم : يحتمل أن يكون في الدنيا وأن يكون في الآخرة» (1) أي فإن تتولوا في مستقبل الزمان كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما في الدنيا أو في الآخرة.

ومنه قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم » (الأنفال/29/8).

حيث جاء فعل الشرط /تتقوا/ وجواب الشرط /يجعل/ دالين على ما يستقبل من الزمان، فسياق الآية يوحي بأن في الآية وعدا مشروطا للمؤمنين إذا اتقوا وذلك بأن ينصرهم الله ويمنحهم «فضلا ومزية في الدنيا والآخرة» (2) وقال أبوحيان وهو يشرح الآية بما يفيد دلالة الفعلين السابقين على الاستقبال : «والتقوى هنا إن كانت من اتقاء الكبائر، كانت السيئات الصغائر ليتغابر الشرط والجواب وتكفيرها في الدنيا ومغفرتها في الآخرة.... وتغابر الطرفان لئلا يلزم التكرار» (3).

ومنها قوله تعالى : «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما» (التحریم/4/66).

حيث جاء فعل الشرط في هذه الآية على صيغة /يفعل/ وللمفسرين في شرحها وأسباب نزولها تفصيلات كثيرة نكتفي بالاحالة إليها، ونجتزئ بما يفيد توجيه الفعل /تتوبا/ إلى الاستقبال، إذ معنى /إن تتوبا/ عند المفسرين التوجه من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأيذاء. وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره كان خيرا لكما (وكان هنا دالة على الاستقبال

1 - البحر 95/8 والكشاف 53-54.

2 - انظر البحر 486/4 والكشاف 154/2.

3 - البحر 487-486/4.

بمعنى يكون(1).

ومن الآيات التي جاءت فيها / أن يفعل/ دالة على الاستقبال قوله تعالى :
«وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله»(الانفال71/8).

وقوله عز وجل : «وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل»(الانفال71/8).

وقوله تعالى : «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا
فقد مضت سنة الاولين»(الانفال38/8).

وقد جاءت /إن يفعل/ في سياق الماضي ودالة عليه في آيات كثيرة من
القرآن الكريم على الرغم من أن النحاة يجعلون /إن وما بعدها/ للمستقبل.

ومن ذلك قوله تعالى : «قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل»(يوسف77/
12)

إذ نجد السياق في قصة يوسف عليه السلام يقتضي أن يكون الفعل
/يسرق/ للزمن الماضي وليس لغيره، إذ إن اتهام سيدنا يوسف بالسرقة حادثة
كانت قد وقعت قبل اللفظ بالفعل /يسرق/ فقد جاءت الآية بعد قوله تعالى :
«ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون،
قالوا نفقد صراع الملك» الى قوله تعالى : «ثم استخرجها من وعاء
اخيه»(يوسف70/12-76).

وهي آيات تبين أن المراد به /إن يسرق/ الزمن الماضي لا غير كما تدل على
ذلك آية أخرى بعد ذلك وهي قوله تعالى على لسان اخرة سيدنا يوسف :
«ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق»(81/12) فمعنى /إن
يسرق/ في الآية يقابلها زمانيا معنى /إن كان سرق/(2).

1 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 44/30 وأسباب النزول 327 والكشاف 126/4.

2 - انظر الكشاف 335/2.

ومن الايات التي جاء فيها الفعل المسبوق بأن الشرطية دالا على الماضي قوله تعالى : «الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين»(التوبة9/40) إن /تنصروه/ ههنا جاءت للماضي إشارة الى خروج الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى الكدينة. يقول أبوحيان وهو يشرح الآية «الا تنصروه، فيه انتقاء النصر بأي طريق كان الى أن يقول ومعنى إخراج الذين كفروا إياه فعلهم به ما يؤدي الى الخروج والاشارة الى خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة»(1).

ومنه قوله تعالى : «وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وشمود»(الحج22/42).

وقوله عز وجل : «إن يرووا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر»(القمر2/54).

وقوله تعالى : «وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة»(المنافقون4/63) كما جاءت "إن يفعل" دالة على الزمن العام في أكثر الاساليب الشرطية في القرآن من ذلك قوله تعالى : «كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل»(البقرة2/265).

حيث نجد أن الفعل /يصبها/ لا ينصرف الى زمن محدد وإنما هو زمن عام يستمر من الماضي الى المستقبل لأنه تعالى مثل بأجر يحدث في كل زمان وهو إصابة الجنة بالمطر. فمن اخرج صدقة لوجه الله تعالى لا يضيع كسبه قليلا أو كثيرا.

ومنه قوله تعالى : «وان يمسسك الله يضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا رادا لفضله»(يونس10/117)

إذ وقع الفعلان /يمسسك ويردك/ في زمن عام غير محدد لأن مس عباده

بالضر أو بالخير أمر يقع في كل وقت، أي أنه لا راد لما يريده منهما ولا مزيل لما يصيبه منهما»(1).

ومنه قوله تعالى : «وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك»(النساء،78/4).

وقوله تعالى : «إن تصبك حسنة تسوؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون»(التوبة،50/9).

ونحو قوله تعالى : «ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا»(النساء،149/4).

/من يفعل/

جاءت /من يفعل/ الشرطية في القرآن دالة على جميع الأزمنة وإن كانت الدلالة الغالبة هي الدلالة على الزمن العام. فمن دلالتها على الاستقبال قوله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا من يردد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين»(المائدة،54/5).

التركيب /من يردد/ ينصرف الى ما يستقبل من الزمن وهذا حسب الرازي الذي أورده المفسرون للآية فقد قالوا : إن معنى الآية «ياأيها الذين آمنوا من يتول منكم الكفار فيردد عن دينه فليعلم أن الله تعالى يأتي بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه»(2).

وقالوا «علم الله أن قوما يرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه. وهم أبو بكر وأصحابه لأنهم هم الذين قاتلوا أهل

1 - الكشاف 256/2.

2 - التفسير الكبير للامام الرازي 19-18/12.

الردة» (1) وعلى هذا التقرير تكون هذه الآية إخبار عن الغيب» (2).

فالفعل /يرتد/ المسبوقة بـ /من/ الشرطية يدل على المستقبل وهذا حسب القرينة والسياق، أما القرينة فهي الحرف /فسوف/، وأما السياق فهو المعنى الزمني الذي شرحه المفسرون. ومنه قوله تعالى : «إنه من يأتي ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى» (طه/20/74) وهذا الفعل /يأت/ المسبوق بـ/من/ الشرطية جاء دالاً على المستقبل البعيد زمن الدار الآخرة (3).

ومنه قوله تعالى : «ومن يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك هو الفوز المبين» (الأنعام/16/6).

/من يفعل/ والدلالة على الزمن العام :

لاحظنا ونحن ندرس /من يفعل/ أن دلالتها الزمنية في القرآن تنصرف غالباً إلى الزمن العام أو ما هو في حكمه مثل الاحكام والحكم، والصفات العامة للمخلوقات من ذلك قوله تعالى : «ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً» (النساء/52/4).

اللعنة هنا تنصرف إلى من استحقها ماضياً وحاضراً ومستقبلاً فالمعنى عند المفسرين «من يلعنه الله فلا ناصر له» (4)، واضح من هذا الشرح وسياق الآية أن الفعل المضارع /يلعن/ لا ينصرف إلى المستقبل وحده لأن ذلك يقتضي أن تكون النصرة للملعونين قبل نزول الآية وهو محال.

ومن ذلك قوله تعالى : «ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 18/12-19.

2 - (م، ن، س)

3 - انظر البحر المحيط 262/6.

4 - التفسير الكبير للامام الرازي 10/128.

الطير» (الحج 31/22) إذ نجد أن الفعل /يشرك/ يمتد زمانه في كل الاتجاهات الماضية والحاضرة والمستقبلية لأن /من/ الشرطية التي سبقته تفيد عموم الزمان كما تفيد عموم المكان «فكأنه قال : من أشرك بالله فقد أهلك نفسه هلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بحال من خر من السماء فاخترفته الطير» (1).

ومن الآيات التي جاءت فيها /من يفعل/ دالة على الزمان العام قوله تعالى: «ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثر من الناس، وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء» (الحج 18/22) ومنه كذلك قوله تعالى: «ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب» (الحج 32/22).

ومنه كذلك قوله تعالى: «ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» (البقرة 229/20).

وقوله عز وجل: «ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» (البقرة 269/2).

وقوله تعالى: «فمن يضل الله فلن تجد له سبيلاً» (النساء 88/4).

وقوله سبحانه وتعالى: «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً» (النساء 110/4).

وقوله تعالى: «ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً» (النساء 19/4).

وقوله: «ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً» (المائدة 41/5).

وقوله : «إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار» (المائدة/72)
5). وقوله تعالى أيضا : «قال أنا يوسف وهذا أخى قد منّ الله علينا إنه من
يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين» (يوسف/90/12).

وقد جاءت /من يفعل/ في بعض الآيات دالة على ما مضى من الزمان من
ذلك قوله تعالى : «من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (إذ نجد أن
الفعل /يحكم/ تتجاوزه دلالتان مختلفتان في الاتجاه الزمني : /من/ التي
تصرف الفعل الى المستقبل و /لم/ التي تقلب الفعل المضارع دائما الى
الماضي، ويبدو أن الغلبة الزمنية كانت في هذه الآية لـ /لم/ وهذا حسب سياق
الآية وملابسات نزولها، يقول الامام الفخر الرازي : «المقصود من هذا الكلام
تهديد اليهود في اقدمهم على تحريف حكم الله تعالى في حد الزاني المحصن
أي أنهم لما انكروا حكم الله المنصوص عليه في التوراة، وقالوا انه غير واجب،
فهم كافرون على الاطلاق لا يستحقون اسم الايمان، لا بموسى والتوراة ولا بمحمد
والقرآن (1). وقد قال آخرون «ومن لم يحكم من هؤلاء الذين سبق ذكرهم (أي
الريانيون والاحبار) بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (2) أي زمن /يحكم/
في الآية -حسب هذا الشرح- ينصرف الى الماضي القريب.

على أن هناك رأيا يجعل زمن /يحكم/ عاما لأن /من/ تدل على
العموم (3) وعلى أية حال فان التركيب /من يحكم/ في الآية فيه معنى الماضي
أكثر من الحاضر والمستقبل.

ومنه قوله تعالى : «ولاتكروها فتیانکم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا
عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور
رحيم» (النور/24/33).

1 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 5/12.

2 - نفسه.

3 - نفسه.

لقد نزلت هذه الآية في حق فتيات بعد أن تشككت اثنتان منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يسمى عبدالله بن أبي رأس كان يكرههن على البغاء (1). وجاء في أسباب النزول «كانت معاذة جارية لعبدالله ابن أبي وكانت مسلمة وكان يستنكرهنا على البغاء، فأنزل الله تعالى لا تکرهوا فتياتکم على البغاء» (2)، فالفعل / يکرههن / المسبوق بأداة الشرط / من / ينصرف الى زمن ماض وهو الزمن الذي وقعت فيه حادثة شكوى الفتيات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصبح المعنى الزمني ل/ من يکرههن / من أکرههن / أي / أن يکرههن / مضارع لفظا ماض معنى، وإن سبقته إحدى أدوات الشرط / من /، وكما جاءت / من يفعل / في سياق سردي قصصي دال على الزمن الماضي وذلك في قوله تعالى : «وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربکم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار» (المائدة/72/5).

فقد جاء التركيب / من يشرك / واقعا في حيز الماضي ويمكن لنا القول إنه جاء دالا على مستقبل الماضي على نحو يبينه الشكل :

| الماضي البعيد | المستقبل القريب | الحاضر | المستقبل |
|---------------|-----------------|--------|----------|
| قال المسيح | من يشرك | بالله | |
| | مستقبل | الماضي | |

/لو يفعل/

لاحظنا ونحن ندرس /لو/ في القرآن الكريم أن أغلب الاماكن المستعملة

1 - الكشاف 66/3.

2 - انظر الرويات المختلفة التي جاءت في كتاب أسباب النزول لأبي الحسن النيبابوري 245-246.

فيها كانت بمعنى /إن/ الشرطية، أو بمعنى /أن/ المصدرية، ومعلوم أن النحاة يقسمون /لو/ من حيث وظيفتها ودلالاتها الزمنية الى قسمين قسم يقتضي فعلا ممتنع لامتناع ويصرف المضارع الى المضي بعكس /إن/ الشرطية. ومن ذلك قول كثير عزة :

لو يسمعون كما سمعت حديثها
خروا لعزة ركعاً وسجوداً
أي لو سمعوا.

وقسم آخر يأتي بمعنى /إن/ الشرطية أو /أن/ المصدرية وهاتان لا يليهما إلا فعل صريح يفيد المستقبل (1)

ومن الآيات التي جاءت فيها دالة على المستقبل قوله تعالى : «ومن الذين اشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة» (البقرة 2/96) و /لو/ هنا جاءت بمعنى /أن/ المصدرية كأنه قال : يود أحدهم أن يعمر ألف سنة. و /أن/ لا تأتي بعد المضارع إلا للدلالة على المستقبل. ثم إن سياق الآية يفرض أن تكون يود للاستقبال فقد جاءت الآية في سياق تمن بعيد المدى الزمني، إذ المراد بألف سنة التكثير وتطويل مدى عيشهم في الدنيا (2).

ومنه قوله تعالى : «يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بئنيه وصاحبته وأخيه» (المعارج 70/11).

فالفعل /يفتدي/ المسبوق بـ /لو/ يدل على المستقبل لأن معنى /لو/ ههنا كمعنى /أن/ أي يود المجرم أن يفتدي، لأن الآية تتحدث عن مستقبل بعيد هو يوم القيامة الذي ينطلق منه الفعل /يفتدي/ إذ معنى الآية عند المفسرين أن

1 - انظر الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 272-290.
والاتقان للسيوطي 174/1.

2 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 192/3.

المجرم يتمنى يومئذ لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده (بنيه وصاحبتيه وأخيه) وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه (1).

والرسم التالي يبين الموقع الزمني للفعل /يفتدي/

| المستقبل | المستقبل البعيد | المستقبل | الحاضر | الماضي |
|---|------------------------|----------|--------|--------|
| لو يفتدي (انطلاق الفعل من المستقبل) | يومئذ (يوم القيامة) | | | |

وقد وجدنا أن /لو/ الامتناعية تفيد الاستقبال كذلك على الرغم من أن النحاة يخصون هذه بالزمن الماضي لا غير من ذلك قوله تعالى : « لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا هم ينظرون » إذ تتحدث الآية عن قدوم يوم القيامة وهو مستقبل بعيد كما يدل على ذلك سياق الآية وهو قوله تعالى : « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ».

وقد شرح المفسرون /لو يعلم/ بما يفيد أن هذا التركيب للمستقبل البعيد قال الزمخشري وهو يشرح الآية : « أي لو يعلمون الوقت الذي عنه بقولهم متى هذا الوعد - هو وقت صعب شديد تحيط بهم النار فيه. من وراء وقدم فلا يقدر على دفعها ومنعها من أنفسهم ولا يجدون ناصر ينصرهم لما كانوا بملك الصنعة من الكفر والاستهزاء » (2).

ومن الآيات التي جاءت فيها /لوفعل/ دالة على الزمن الماضي قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 126/30.

2 - التفسير الكبير للامام الرازي 182/29.

في زجاجة الزجاجاة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار» (النور/24/35).

فالتركيب /لو لم تمسه/ جاء مكونا من /لو/ الامتناعية التي قال عنها النحاة إنها تقلب معنى المضارع الى الماضي، و /لم/ التي تدل دائما على قلب زمن المضارع الى الماضي فالتركيب /لو لم تمسه/ دال في مجمله على ما مضى من الزمن إذ معنى الآية الزماني : يكاد زيتها يضيء، على الرغم من انها لم تمسها نار من قبل. ومنها كذلك قوله تعالى : «أفأنتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما ما فضلتم تفكهمونا إنا لمعرفون بل نحن محرمون، أفأنتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون» (الواقعة/53/65-70).

فقد جاءت /لونشاء/ للزمن الماضي وهذا ما فسره صاحب التفسير الكبير حيث يقول وهو يشرح هذه الآية «كلمة /لو/ مختصة بالدخول على الماضي معنى، فإنها إن دخلت على المستقبل جعلته ماضيا...» الى أن يقول «... ويقويه (أي ويقوى كونه ماضيا) انه تعالى يقول جعلناه أجاجا عن طريقة الإخبار.... وذلك لأنّ /لو/ إذا دخلت على فعل مستقبل كما في قوله /لو نشاء/ قد أخرجت عن حيزها لفظا لأنّ /لو/ للماضي» (1). ف /لونشاء/ في الآية جاءت مصروفة للزمن الماضي بفضل السياق الذي وردت فيه.

كما جاءت /لو يفعل/ دالة على الزمن العام الذي يشمل كل المراحل الزمنية من ذلك قوله تعالى : «ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقشي إليهم أجلهم» (يونس/11).

لأنّ قوله تعالى للناس (و /ال/ههنا للجنس) يدل على أن الفعل /يعجل/ ينصرف الى كل الناس في جميع الأزمنة وعلى الرغم من أن الآية نزلت في أهل

مكة(1) جاءت بمثابة الحكم العام الذي يصلح لكل الناس ولكل زمان
ومكان....

ومنه كذلك قوله تعالى : «ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من
دابة»(النحل/61/16).

/ ما + يفعل / :

جاء هذا التركيب في القرآن دالا على الزمن العام (الزمن غير المحدد بماض
أو حاضر أو مستقبل) ولذلك سماها ابن هشام /غير زمانية/(2)

في نحو قوله تعالى : «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو
مثلها»(البقرة/2/106) أي أن الفعل الذي يليها لا يتحدد بزمان.

وقد أفاض المفسرون في شرح هذه الآية مما لا يفيد المعنى الزمني الذي نريد
بحثه بالشيء الكثير ولكننا مع ذلك نستأنس بشروحهم تلك، لتأكيد الدلالة
الزمنية العامة للفعل /نسخ/ في الآية إذ معنى الآية عندهم كلما أردنا أن
نبدل من حكم آية نأت بخير منها وأنفع لكم(3).

ومن ذلك قوله تعالى : «وما تفعلوا من خير يعمله الله»(البقرة/2/197).

وقوله عز وجل : «وما تنفقوا من خير لأنفسكم»(البقرة/2/272).

وقوله : «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله»(الزمل/73/20).

1 - الكشاف 227/2.

2 - المغني 302/1 وانظر الاتقان للسيوطي 175/1.

3 - انظر البحر لأبي حيان 344-342/1.

/إما + يفعل/

الزائدة، أو الموصلة (1) وتأتي في القرآن غالبا للدلالة على الزمن المستقبل مثل /ان/، ومن ذلك قوله تعالى : «فإمّا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (البقرة/38)

وقوله تعالى : «إما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين» (الأنعام/68).

وقوله تعالى : «وإما ينزعنك من الشيطان نزع فاستعذ بالله» (الأعراف/200). (7)

وقوله عز وجل : «إما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء» (الأنفال/48).

«وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب».

أيما + يفعل

يفككها النحاة الى /أين/ الاستفهامية التي يستفهم بها عن المكان و /ما/ الزائدة أما دلالتها الوظيفية فانها تكون شرطا لمكان ما .

نحو : أيما تجلس اجلس (2) أي أنها تدل على عموم المكان مما يفضي الى دلالتها على عموم الزمان.

من ذلك قوله تعالى : «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله» (البقرة/115). إذ جاء الفعل /تولوا/ بعد /أيما/ دالا على الزمن

1 - انظر الجنبي الداني في حروف المعاني للمرادي 535-536.

2 - الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس 142.

العام.

والآية جاءت بمثابة الحكم العام الذي يشمل كل زمان ومكان يقول صاحب التفسير الكبير في شرح الآية (أينما تولوا فثم وجه الله) مشعرا بالتحخير والتخيير لا يثبت إلا في صورتين أحدهما في التطوع على الراحلة وثانيهما في السفر عند تعذر الاجتهاد للظلمة، أو لغيرها « الى أن يقول «وحمل الكلام على هذا الوجه (لأنه يعم كل مصل)» (1) وإذا كان الكلام يعم كل مصل، فإنه يشمل كل الأزمنة يصبح زمن / أينما تولوا/ زمنا عاما.

ومن ذلك قوله تعالى : «فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا» (البقرة/2/148).

وقوله عز وجل : «وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء، وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم» (النحل/16/76).

/أياما + يفعل/

وردت /أياما/ + يفعل في القرآن الكريم مرة واحدة وهي مركبة من /أي/ الشرطية/ و /ما/ الظرفية وذلك في قوله تعالى : «أياما تدعو فله الأسماء الحسنی». حيث دلت على الزمن العام.

ثانيا : فعل وأدوات الشرط

يكاد يطرد اقتران /فعل/ في القرآن الكريم بكل أدوات الشرط (يستثنى من هذه الأدوات /مهما/ التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم مع /يفعل/ ومن الأدوات التي وردت معها /فعل/ بكثرة /إن/ الشرطية إلا أن الدلالة الزمنية لـ /فعل/ لا تتأثر بصيغتها بقدر ما تخضع للأبعاد الزمنية التي

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 19/4.

تضيفها عليها /إن/ الشرطية أولا، والسياق الذي تتحرك فيه الجملة ثانيا.

ومن دلالات /إن فعل/ على الاستقبال في القرآن الكريم قوله تعالى :
«وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على
أعقابكم» (آل عمران 144/3).

إذ ليس يخفى أن /إن مات/ في الآية للاستقبال. فقد نزلت في يوم احد يوم
أن اعتقد الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أصيب، ومعنى الآية كما
يوضح المفسرون : اتقلّبون على أعقابكم إن مات محمد في يوم من الأيام وقد
علمتم أنه رسول سيخلو كما خلت من قبله الرسل، وكما أن أتباعهم بقوا
متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تمسكوا بدينكم بعد خلوه. (1)

فالتركيب /إن مات/ لا يمكن أن ينصرف إلا الى الاستقبال.

ومنه قوله تعالى : «قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا
تمتعون إلا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد
بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا» (الأحزاب 16/33).

إذ نجد أن التركيب /إن فررتم/ و /إن أراد/ مصروفين الى الاستقبال بفضل
القرائن والسياق الذي وردت فيه، فالآية مصدرية بـ /لن/ الدالة على المستقبل
أبدا ثم إن قوله تعالى (من ذا الذي يعصمكم من الله) جملة تساير الاتجاه
الاستقبالي للآية.

قال الزمخشري : «لن ينفعكم الفرار... مما لا بد لكم من نزوله بكم من
حتف أنف، أو قتل وإن نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير، لم يكن ذلك
التمتع إلا زمنا قليلا» (2) وهو شرح يصرف الفعلين /إن فررتم/ و /إن

1 - الكشاف 467/1-468 وانظر التفسير الكبير للامام الرازي 20/9-21.

2 - الكشاف 254/3.

أراد / الى المستقبل.

ومن الايات التي جاءت فيها /إن فعل/ دالة على المستقبل قوله تعالى :
«فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في
شقاق» (البقرة/137).

وقوله تعالى : «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة
فانصف ما فرضتم رلاً أن يعفون أو يعفوا الذي بيده عقد النكاح» (البقرة/237)
(2).

وقوله تعالى : «فإن خفتن فرجالا أو ركبانا» (البقرة/329).

وقوله سبحانه تعالى : «ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون» (آل
عمران/158).

وقوله تعالى «فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون
بالله» (النساء/59).

وقوله تعالى : «وقال الله إني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم
برسلس وعززتمونهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم
ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار» (المائدة/12).

وعلى الرغم من أن النحاة متفقون على أن /إن/ الشرطية تصرف /فعل/ و
/يفعل/ الى المستقبل فقد جاءت آيات كثيرة لا ينصرف فيها الفعل الماضي
الى المستقبل على الرغم من كونه مسبوqa بـ /إن/ الشرطية.

ومن ذلك قوله : «أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله
شيئا» (الاحقاف/8).

فالتركيب /إن افتريته/ ينصرف الى الماضي والدليل على ذلك قوله تعالى:

«ام يقولون افتراه» إذ جاءت /افتراه/ ماضية لفظا ومعنى وجاءت بعد ذلك عبارة قل إن افتريته /جوابا للاستفهام ومسويا له في الصيغة والزمن.

يقول المفسرون وهم يشرحون الآية «قل إن افتريته على سبيل الفرض فإله حسبي في ذلك وهو الذي يعاقبني على الافتراء عليه...» (1).

ومنه قوله تعالى : «ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب» (التوبة/65). (9).

إذ يتبين في شرح المفسرين أن الفعل /سأل/ جاء للماضي على الرغم من اقتترانه بـ /إن الشرطية التي تصرف الفعل الى الاستقبال غالبا ذلك أن السياق جاء يوحى بأن النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه حدث السؤال في زمن ماض ومنقضى إذا نزلت الآية في غزوة تبوك وفيما يقول المفسرون -وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المنافقين إذ قالوا : يرجو هذا الرجل أن يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات له ذلك فأطلع الله نبيه على ذلك فقال نبي الله : اجلسوا على الركب فاتاهم فقال : قلت كذا وكذا فقالوا يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تعالى هذه الآية (2).

ويرى بعضهم أن /إن/ قد جاءت للمضي في قوله تعالى : «فذكر إن نفعت الذكرى» (الاعلى 9/87).

لأن معنى /إن نفعت/ في الآية قد نفعت ولكن /إن/ هنا لا يصح فيها الشرط لأنها تضمنت معنى الفعل (3).

1 - البحر المحيط لأبي حيان 56/8.

2 - أسباب النزول 188.

3 - الاتقان 1/155.

إن + فعل والدلالة على الزمن العام

من الآيات التي جاءت فيها /إن فعل/ دالة على الزمن العام قوله تعالى :
«يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (الحجرات 6/49). لأن التركيب /إن جاء/
جاء للدلالة على الزمن العام على الرغم من أن المفسرين يقولون إن سبب نزول
الآية هو تيب الوليد بن عقبة بعد أن بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم.
أي أن /إن جاءكم/ لا تدل فقط على الزمن الماضي أو زمن الحادثة التي نزلت
من أجلها الآية ولكنها تمتد من الزمن الماضي الى الزمن المستقبل يقول
الزمخشري : «وفهي تنكير الفاسق والنبأ شاع في الفساق والانبياء كأنه قال :
أي فاسق جاءكم بأي نبأ فتوقفوا فيه واطلبوا بيان الأمر وانكشاف الحقيقة ولا
تعتمدوا قول الفاسق، لأن من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب
الذي هو نوع منه...» (1) فالآية جاءت بمثابة الحكم العام على الفاسق في كل
زمان وبما أن الفعل /جاء/ قد زسند إليه فانه يستمد دلالته الزمنية من الآية
ومن ذلك قوله تعالى : «لايسأم الانسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيثوس
قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مستسه ليقولن هذا
لي» (فصلت 49-48/4).

التركيبان /إن مسه الشر/ و /لئن أذقناه رحمة منا/ يمتدان في الزمن
ولاتحدهما مرحلة زمنية لأن الآية كلها جاءت وصفا لسمة من سمات الانسان
الخفيف الايمان أو الكافر. ويقول الزمخشري : «القنوط أن يظهر عليه أثر
اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء... وهذه صفة الكافر بدليل قوله
تعالى «إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون» (2) ومن البدهسي أن

1 - الكشاف 560-559/3.

2 - الكشاف 457/3.

يسحب عمومية زمن الآية على التركيبين /إن مسه الشر/ و /إن أذقناه من رحمتنا/ ومن الآيات التي جاء فيها /إن فعل/ دالا على الزمن العام قوله تعالى : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلتا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله» (الحجرات9/49).

ومن ذلك قوله تعالى : «فقل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين» (الواقعة30/67).

ومنه قوله تعالى : «ووصينا الانسان بوالديه حسنا وإن جاهداك على أن تشرك بي بما ليس لك بع علم فلا تطعهما» (لقمان14/31)

من الشرطية + فعل

على الرغم من أن النحاة يجعلون /من/ الشرطية دالة على الاستقبال مع الفعل /فعل، يفعل/ فإننا نجد أن الدلالة الغالبة لـ /من فعل/ في القرآن الكريم هي الزمن العام، ولا تتضح دلالتها على المستقبل إلا في آيات معدودة من ذلك قوله تعالى «فمن زحزح على النار وأدخل الجنة فقد فاز» (آل عمران185/3).

إذ من الواضح أن الفعل /زحزح/ ينصرف الى المستقبل البعيد، هو زمن الدار الآخرة. وقد جاء الفعل /زحزح/ تشبيها على أن الانسان حينما كان في الدنيا كأنه كان في النار وما ذاك إلا لكثرة آفاتها، وشدة بلياتها، وقال عليه الصلاة والسلام : (من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليؤت الى الناس ما يجب أن يؤتى إليه)(1).

ومن ذلك قوله تعالى : «فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم» (الإسراء71/17).

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 126/9.

حيث يوحي السياق الذي وردت فيه الآية أن زمن /أوتي/ / زمن لا يمكن إلا أن يدل على المستقبل، فقد جاءت /من أوتي/ بعد قوله تعالى : «(يوم تدعو كل أناس بإمامهم...») وورد بعد ذلك قوله تعالى : «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً». وقد رأينا ما مر في هذه الدراسة أن المراد بـ /اليوم/ يوم القيامة أو الدار الآخرة أي أنّ /من أوتي/ جاء للدلالة على المستقبل البعيد وهي الدلالة التي يمكن أن نستوحيها من شروح المفسرين للآية حيث يقول أبوحيان : «...وفي قوله أوتي كتابه بيمينه، وقراءتهم كتبهم هو على سبيل التلذذ بالاطلاع على ما تضمنتها من البشارة وإلا فقد علموا من حيث إبتاؤهم إياها باليمين أنهم من أهل السعادة»(1).

ومن الآيات التي جاءت فيها /من فعل/ واضحة الدلالة على المستقبل قوله تعالى : «فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون»(المؤمنون23/102-103).

ومن الآيات التي جاءت فيها /من فعل/ دالة على مستقبل الماضي قوله تعالى : «من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا»(المائدة5/32).

والشكل التالي يبين الموقع الزمني الحقيقي للتركيب /من قتل/

| الماضي | الحاضر | المستقبل |
|-----------------------|--------|----------|
| كتبنا على بني إسرائيل | | |
| من قتل | نفسا | |
| مستقبل | الماضي | |

1 - انظر على سبيل المثال الكشاف 459/2، وانظر البحر المحيط لأبي حيان 62/6.

كما وردت /من فعل/ دالة على ماض المستقبل في قوله تعالى : « قالوا
رينا من قدم لنا فزده عذابا ضعفا في النار» (ص63/38).

الآية جاءت في سياق استقبالي تدل على بعض مشاهد عذاب الآخرة وقالوا
هذا من قبيل الأفعال الماضية لفظا المستقبلية معنى (1) والشكل التالي يبين
الدلالة الزمنية للتركيب /من قدم/ :

| المستقبل البعيد | المستقبل القريب | الحاضر | الماضي |
|-----------------|-----------------|--------|----------------|
| قالوا رينا | المستقبل | ماضي | من قدم لنا هذا |

/من/ والدلالة على الزمن العام

وجدنا ونحن نتابع الدلالات الزمنية لبنية /من فعل/ في القرآن الكريم انها
جاءت في أغلب الآيات دالة على الزمن العام. إذ غالبا ما تأتي بمثابة الحكم
العام الذي يستغرق جميع الأزمنة، ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها من ذلك
قوله تعالى : «من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم
يمهدون» (الروم44/30)، فالحكم على الكافر والمؤمن في الآية حكم عام يشمل
كل المؤمنين والكفرة في جميع الأزمنة والأمكنة، أي في الحياة الدنيا كلها.
وللمفسرين شروح لهذه الآية نستشف منها هذا المعنى الزمني الذي بيناه. يقول
الزمخشري وهو يشرح الآية (/فعليه كفره/)، كلمة جامعة لما غاية وراءه من
المضار لأن من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة» (2) ويقول في سياق
شرحه ل /لأنفسهم يمهدون/ «يسوون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه

1 - انظر الكشاف 381/3.

2 - نفسه 224.

ويواطنه كي لا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه» (1).

ومن دلالات /من فعل/ على الزمن العام في القرآن الكريم قوله تعالى :
«من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم
يصلها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك
كان سعيهم مشكورا» (الاسراء 17/18-19).

حيث إن /من أراد/ جاءت في الآية للدلالة على الزمن العام ولا تختص
بزمن معين بحيث يدخل في هذا الحكم كل من أراد الآخرة مهما كان الزمن الذي
عاش فيه. وهو ما يستوحى من شرح المفسرين للآية، فقد شرحوا الآية بقوله
صلى الله عليه وسلم «فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما
هاجر إليه».

ومن الآيات التي جاء فيها /من فعل/ دالة على الزمن العام قوله تعالى :
«ومن ضل فأبغا يضل عليها» (الاسراء 17/15).

وقوله تعالى : «ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة أعمى» (طه 20/124).

ونحو قوله تعالى : «ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون» (النور 55/
24).

ومنه قوله تعالى : «فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من
المنذرين» (النمل 27/92).

1 - نفسه، وانظر البحر المحيط 177/7.

وقوله عز وجل : «أفمن حق عليه العذاب أفأنت تنفذ من في النار»(الزمر/19)
(39).

وقوله تعالى : «أفمن يشرح الله صدره للإسلام فهو على نور من
ربه»(الزمر/22/39)

وقوله تعالى : «قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر، ومن شكر فإنما
يشكر لنفسه»(النمل/40/27).

لو الشرطية + فعل

رأينا أن /لو/ حرف شرط في المضي بصرف المضارع إليه (1) ونضيف في
هذا المقام ما قاله النحاة من أنها تقتضي فعلا ماضيا كان يتوقع ثبوته لثبوت
غيره (2) ومؤدى ما قاله النحاة في زمن /لو/ أنها لا تدل إلا على الماضي سواء
دخلت على /يفعل/ أم اقترنت به /فعل/ إلا أنها ونحن نرصد دلالتها الزمنية
في القرآن الكريم مع الفعلين المذكورين وجدنا أنها تدل على غير الماضي فتأتي
دالة على الاستقبال تارة وعلى الزمن العام تارة أخرى. فمن دلالتها على
الاستقبال قوله تعالى : «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم
ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به»(آل عمران/91/3).

إن التركيب /ولو افتدى/ جاء دالا على المستقبل البعيد، وذلك أن هذه
الاية سبقت به /لن/ الدالة دائما على المستقبل، وأن سياق الآية وشرح المفسرين
لها يجعلانها خالصة للاستقبال. يقول صاحب التفسير الكبير في شرح /لو
افتدى/ «لو تقرب الى الله بملء الأرض ذهباً لم ينفعه ذلك مع كفره، ولو
افتدى من العذاب بملء الأرض ذهباً لم يقبل منه...» من المعلوم أن الكافر
لا يملك يوم القيامة نقيرا ولا قطميرا، ومعلوم أن بتقدير أن يملك فلا ينفع الذهب

1 - الاتقان 1/173.

2 - نفسه وانظر الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 272-287.

البتة في الدار الآخرة» (1) أي أن الدلالة الزمنية للتركيب /لو افتدى/ لا يمكن أن تكون إلا للاستقبال.

ومن الايات التي جاءت فيها /لو + فعل/ دالة على المستقبل قوله تعالى : «ولن تغنى عنكم فتكم شيئا ولو كثرت» (الانفال8/19) لأن لو كثرت ههنا جاءت في سياق دال على الاستقبال، وذلك في قوله تعالى : (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد) معنى الآية : اتعودوا لمحاربتة (مستقبلا) نعد لنصرته ولن تغنى عنكم كثرتكم في هذه الحال» (2) وبهذا تكون /لو كثرت/ دالة على المستقبل من جهتين :

إحداهما : أنها جاءت في سياق يصرف الكلام الى المستقبل.

وإحداهما الأخرى : أنها جاءت مسبوقه بـ /لن/ الخاصة بالاستقبال.

وهكذا نجد أن /لو/ لا تكتفي بصرف الفعل المضارع الى الزمن الماضي كما ذهب النحاة، بل انها تقلب معنى الفعل الماضي الى المستقبل كما رأينا.

/لو فعل/ دالة على الزمن الماضي

وهي الدلالة الزمنية الغالبة التي يطرد ورودها في القرآن الكريم ولعل هذه الظاهرة هي التي جعلت النحاة يخصون /لو/ بالماضي فقط ومن الايات التي جاءت فيه /لو/ دالة على الزمن الماضي قوله تعالى : «تلك الرسل فضلنا على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما احتلف الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا» (البقرة2/253).

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 132/7.

2 - البحر 479/4.

ولسنا في حاجة الى التدليل على مضي /لوشاء/ التي تكررت مرتين في الآية إذ جاء الفعل في سياق سرد قصصي يروي أخبار الأمم السابقة ومعنى /لو/ في الآية «لو شاء الله أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا» (1) أي لو شاء الله في ذلك الزمن الا يقتتلوا لم يقتتلوا....ولكن اختلفوا فاقتلوا... فلو شاء في الآية جاءت للدلالة على الماضي لفظا ومعنى. ومن ذلك قوله تعالى : «لو اطلعت عليهم لو لبت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا» (الكهف18/18). إذ أن /لو اطلعت/ هنا في سياق سرد أخبار أصحاب الكهف. أي لو اطلعت عليهم في ذلك الوقت لو لبت منهم فرارا. ويرى المفسرون أن /باسط ذراعيه/ في الآية جاء لحكاية حال ماضية (2).

ومن الايات التي جاءت فيها /لو فعل/ دالة على الماضي قوله تعالى : «ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم» (آل عمران3/110).

وقوله سبحانه وتعالى : «الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا» (آل عمران3/168).

وقوله تعالى : «ولو أنزلناه ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون» (الأنعام6/8-9).

وقوله تعالى : «ولو شاء الله ما أشركوا» (والأنعام6/107).

وقوله سبحانه : «قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي» (الاعراف7/155).

ومنه قوله تعالى : «لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم» (الأنفال8/63).

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 205/6.

2 - انظر الكشاف 476-475/2، والبحر المحيط لأبي حيان 109/6.

وقوله تعالى : « قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا » (الكهف/18/77).

وقوله عز وجل : « قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم » (الزخرف/43/20).

وكثيرا ما تأتي / لو فعل / للدلالة على الزمن العام الذي لا يمكن أن يتحدد بمرحلة معينة وإنما يمكن له أن يتحدد في أي وقت ويمكن أن يكون قد حدث في أي وقت كذلك. من ذلك قوله تعالى : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض » (الشورى/27/42) إذ لا خلاف في أن / لوسط / ههنا جاءت لجميع الأزمنة وقد وردت في سياق يوحى بأنها بمثابة الحكم العام الذي يشمل جميع العباد في كل الأزمنة والدليل على ذلك قوله تعالى بعد ذلك / ولكن ينزل بقدر ما يشاء / ويشرح صاحب الكشاف هذه الآية بما يوحى أنها حكم عام صالح لكل زمان يقول : « لاشبهة في أن البغي مع الفقر أقل، ومع البسط أكثر وأغلب، وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على البغي والإحجام عنه، فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الأمر الى عكس ما عليه الآن » (1).

ومنه كذلك قوله تعالى : « إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم » (يونس/96-97).

فمن شأن الكفار في كل زمان الايؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم وثبت عليهم قوله تعالى الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا فلا يكونون غيره » (2). فزمن / لوجاء / في الآية زمن عام لا ينصرف الى الماضي وحده ولا الى المستقبل وحده.

وقد جاءت / لو فعل / دالة على الزمن العام في آيات كثيرة منها قوله تعالى : « لو أراد الله أن يتخذ ولدا لا صطفى مما يخلق ما يشاء » (الزمر/4/39).

1 - الكشاف 469/3.

2 - الكشاف 253/2.

ومنها قوله تعالى : «ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا» (الفرقان 51/25).

وقوله عز وجل : «ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا» (الفرقان 45/25).

وقوله عز وجل : «ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون» (يونس 82/10).

ومنه قوله تعالى : «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم» (المائدة 48/5).

وقوله تعالى : «ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم» (البقرة 221/2).

وقوله تعالى : «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها» (السجدة 13/23).

إذا + فعل

يذهب أغلب النحاة الى أن /إذا/ الشرطية تكون ظرفا لما يستقبل من الزمان (1) وسنرى ونحن نرصد بنية /إذا فعل/ في القرآن الكريم أن أغلب الآيات التي جاءت فيها /إذا الشرطية/ جاءت دالة على المستقبل غير أننا وجدنا أن هناك آيات جاءت فيها إذا /لغير الاستقبال وكل الآيات التي جاءت فيها إذا الشرطية مع الفعل جاءت متلوة بالفعل الماضي /فعل/ ولم تقترن بالفعل المضارع /يفعل/ إلا في مرة واحدة هي قوله تعالى : «وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا أجتبيتها» (الأعراف 203/97) ومن دلالات /إذا فعل/ على المستقبل قوله تعالى : «إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة» (الواقعة 1/56).

1 - انظر الجني الداني في حروف المعاني 380/367 وانظر الاتقان 148/1.

إذا الشرطية في الآية قلبت معنى الفعل الى الاستقبال البعيد. إذ ينصرف الفعل الى زمن يوم القيامة. قال الزمخشري : « وقعت الواقعة/ كقولك كانت الكائنة، وحدثت الحادثة والمراد يوم القيامة وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة (1) أما جواب إذا فهو محذوف تقديره رذا وقعت كان كيت وكيت(2) ومن ذلك قوله تعالى : « فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة» (الحاقة 13/69).

قال المفسرون وهم يشرحون الآية : المراد بالنفخة الواحدة النفخة الأولى لأن عندها يحصل فساد العالم» (3).

أي أن هذه النفخة تكون يوم القيامة مما يعني أن الفعل /نفخ/ المسبوق به /إذا/ قد انصرف للدلالة على المستقبل وإن بلفظ الماضي.

وقد جاءت /إذا فعل/ دالة على الاستقبال في آيات كثيرة منها قوله تعالى : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» (الانعام 6/68).

ومنه قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» (المجادلة 11/58-12).

إذا في الماضي :

رأينا قبل قليل أن /إذا/ تستعمل للزمن الماضي في بعض الآيات من القرآن الكريم وقد تفتن بعض النحاة الى هذه الدلالة الزمنية الأخرى لـ /إذا/ في

1- الكشاف 51/4.

2 - نفسه.

3 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 107/30 والكشاف 151/4.

القرآن الكريم مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا -غزى لوكانوا- عندنا ما ماتوا وما قتلوا» (آل عمران 156/3).

ومثل قوله تعالى : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه» (التوبة 91/9).

إذ من الواضح أن الآيات جاءت في سياق الماضي وأن القول في الآية الأولى والثانية كان في الزمن الماضي فكأن /رذا/ الاستقبالية غالبا جاءت بمعنى /إذا/ الدالة على الماضي غالبا (1).

وقد تردد المفسرون في تحديد زمن /إذا/ في قوله تعالى : « ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط» (يونس 47/10).

إذ وجدوا أن معناها الزمني يتجاوزه الماضي والمستقبل وهذا على حسب توجيه الآية فاما أن تكون الآية إخبارا عن حالة ماضية فيكون ذلك في الدنيا ويكون المعنى أنه بعث إلى كل أمة رسولا فكذبوه فقضى بينهم وأنجى الرسول وعذب المكذبين. وإما أن يكون على حالة مستقبلية، أي فإذا جاء رسولهم يوم القيامة للشهادة عليهم قضي عليهم (2).

إفادة /إذا + فعل/ الزمن العام

وجد أن /إذا/ لا تكتفي بإفادة الماضي أو المستقبل، وإنما تفيد بالإضافة إلى ذلك الزمن المستمر العام، يقول السيوطي : «تستعمل /إذا/ للاستمرار في الأحوال الماضية والحاضرة والمستقبلية كما يستعمل الفعل المضارع لذلك منها قوله تعالى : «وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى» (النساء 142/4).

1 - انظر المغني 87/1 وما بعدها.

2 - البحر 164/5.

وهناك آيات كثيرة أفادت فيها /إذا + فعل/ استمرار الزمن وتكراره من ذلك قوله تعالى : «والذين إذا انفقوا لم يسرقوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا» (الفرقان 67/25-72).

ومنه كذلك قوله تعالى : «وإذا مس الإنسان ضر دعارته منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة ومنه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل» (الزمر 8/39).

ومنه قوله تعالى : «وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر للذين من دونه إذا هم يستبشرون» (الزمر 45/39).

بلاحظ في كل هذه الآيات أن /إذا فعل/ خرجت عن أصلها في إفادة ما يستقبل من الزمان، وأفادت عموم الزمن واستمراره وهو ما أشار إليه المفسرون.

ما الشرطية + فعل

تفيد /ما الشرطية + فعل/ الزمن العام كما أفادته مع /يفعل/ كما رأينا وذلك نحو قوله تعالى : «ما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه» (البقرة 270/2).

إذ إن عمومية زمن /ما أنفقتم/ لا تخفى على عاقل فالله عالم بنفقته على عباده في كل مكان وفي كل زمان يقول الرازي في تفسير /فإن الله يعلمه/ وعلى اختصاره يفيد الوعد العظيم للمطيعين (أي لكل المطيعين في أي زمان و /أل/ هنا جنسية) والوعد الشديد للمتمردين (1).

وقوله تعالى: «وما أو تيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها» (القصص 60/28).

وقوله عز وجل : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله » (الشورى/10)
. (42).

وقوله تعالى : « وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (الحشر/7)
. (59).

أنى الشرطية + فعل

وذلك في قوله تعالى : « نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم » (البقرة/223).

أفاض المفسرون في شرح هذه الآية واختلفوا في أحكامها الفقهية اختلافا كبيرا غير أن ما يهمننا في كل ذلك هي الدلالة الزمنية لـ / أنى شئتم / فقد وجدنا أن بعضهم يفسرها بـ / أي وقت شئتم من أوقات الحل : يعني إذا لم تكن أجنبية، أو محرمة، أو صائمة، أو حائضا (1) لأنّ « أنى تأتي بمعنى متى (2) .

فzمن / أنى شئتم / زمن عام لا يتحدد بفترة معينة، إذ جاء التركيب في سياق حكم عام لجميع المؤمنين في كل الأزمنة.

1 - انظر م س 75/6 والبحر المحيط لابي حبان 17/2-72.

2 - التفسير الكبير 75/6.

هذا جدول يبين الدلالات الزمنية لـ/يفعل/ مع أداة الشرط وكيفية توزيعها وتنوعها في القرآن الكريم.

| التركيب | مجموع الصيغ مع الأداة | الماضي | مستقبل الماضي | المستقبل | الزمن العام |
|------------|--------------------------|--------|------------------|----------|-------------|
| إن يفعل | 76 | 8 | 4 | 46 | 18 |
| من يفعل | 72 | 7 | 0 | 43 | 22 |
| لو يفعل | 16 | 6 | 0 | 10 | 0 |
| ما يفعل | 13 | 0 | 0 | 0 | 13 |
| إما يفعل | 14 | 0 | 0 | 14 | 0 |
| أينما يفعل | 4 | 0 | 0 | 0 | 4 |
| إذا يفعل | 1 | 1 | 0 | 0 | 0 |
| أني يفعل | 2 | 0 | 0 | 0 | 2 |
| | | النسبة | المتوقعة | | |
| إن يفعل | 105 | 5,2 | 60,5 | 23,6 | |
| من يفعل | 9,7 | 0 | 59,7 | 30,5 | |
| لو يفعل | 37,5 | 0 | 62,5 | 0 | |
| ما يفعل | 0 | 0 | 0 | 100 | |
| أما يفعل | 0 | 0 | 100 | 0 | |
| أينما يفعل | 0 | 0 | 0 | 100 | |
| إذا يفعل | 100 | 0 | 0 | 0 | |
| اني يفعل | 0 | 0 | 0 | 100 | |

جدول دلالات /فعل/ ونسب ترددها.

| الزمن العام | المستقبل | مستقبل الماضي | الماضي | مجموع الصيغ مع الأداة | التركيب |
|-------------|----------|------------------|--------|--------------------------|----------|
| 13 | 101 | 3 | 14 | 131 | إن فعل |
| 19 | 80 | 1 | 2 | 102 | من فعل |
| 17 | 13 | 0 | 16 | 46 | لو فعل |
| 36 | 61 | 0 | 10 | 101 | إذا فعل |
| 14 | 0 | 0 | 0 | 0 | ما فعل |
| 1 | 0 | 0 | 0 | 1 | أيضا فعل |
| 1 | 0 | 0 | 0 | 1 | أني فعل |
| النسبة | | | | | |
| المئوية | | | | | |
| 9,9 | 77 | 2,29 | 10,68 | | إن فعل |
| 18,6 | 18,43 | 0,9 | 1,9 | | من فعل |
| 36,95 | 28,26 | 0 | 33,78 | | لو فعل |
| 35,6 | 60,39 | 0 | 09,90 | | إذا فعل |
| 100 | 0 | 0 | 0 | | ما فعل |
| 100 | 0 | 0 | 0 | | أيضا فعل |
| 100 | 0 | 0 | 0 | | أني فعل |

عند دراستنا لهذين الجدولين نجد أن أدوات الشرط تدل على جميع المراحل الزمنية مع الصيغ المختلفة على الرغم من أن النحاة يجمعون على صرف الصيغة الفعلية الى الاستقبال. غير أن الدلالة الغالبة لهذه الأدوات هي الزمن العام والمستقبل خصوصا مع /إن/ و/من/ و/إذا/ فقد رأينا مثلا أن النحاة

حددوا زمن /إذا/ بالاستقبال، فإذا هي تدل في القرآن على الزمن الماضي والزمن العام وهكذا نجد أن النسبة المثوية لأدوات الشرط الدالة على الاستقبال لا تقل عن 60٪ وأن نسبة دلالتها على الزمن العام تتراوح بين الصفر في المائة و 100٪.

الفصل الثاني

الصيغ الفعلية مع أدوات النفي والاستفهام

- * الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع أدوات النفي.
- * الدلالة على الاستقبال.
- * الدلالة على الماضي.
- * الدلالة على الحاضر.
- * الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية مع أدوات الاستفهام.
- * الدلالة على الحاضر.
- * الدلالة على الاستقبال.
- * الدلالة على الماضي.
- * الدلالة على الزمن العام.

فعل/ و /يفعل/ مع أدوات النفي والاستفهام

رأينا أن الدلالة الغالبة مع أدوات الشرط في تواتر الصيغ الفعلية هي زمن الاستقبال. وسنرى في هذا الفصل أن الدلالة الزمنية لأدوات النفي والاستفهام الذي ترد فيه الجملة المنفية، أو الاستفهامية ثانياً، فنجد مثلاً /لم/ إلا تدخل إلا على المضارع ولا تفيد وضعاً إلا الماضي، ونجد أن /لن/ لا تدخل إلا على المضارع ولا تفيد إلا الاستقبال. وهناك أدوات نافية تفشد الحال والاستقبال معاً مثل /ما/ و/لا/ وغيرهما وقد أشار سيبويه إلى هذه الدلالة الزمنية المتعددة لأدوات النفي عندما قال: «إذا قال فعل فإن نفيه /لم يفعل/ إذا قال قد فعل فإن نفيه لما فعل، وإذا قال لقد فعل فإن نفيه ما فعل" كأنه قال والله لقد فعل، فقال والله ما فعل، وإذا هو يفعل لم يكن الفعل واقعاً فنفيه لا يفعل وإذا قال ليفعلن فنفيه لا يفعل كأنه قال والله ليفعلن فقلت والله لا يفعل وإذا قال سوف يفعل، فإن نفيه لن يفعل» (1) كما نجد في باب الاستفهام أن همزة الاستفهام تفيد ذاتياً الماضي تارة والمضارع تارة أخرى. تلك ملاحظات استقينها ونحن ندرس هذه الأدوات في القرآن الكريم مستفيدين مما قاله المفسرون واللغويون في هذا الباب.

وسنحاول هنا أن ندرس الجوانب الزمنية لكل أداة بالقدر الذي يقتضيه تلون معانيها الزمنية ومقدار ورودها في القرآن الكريم.

أولاً : أدوات النفي

1 - لم :

لقد اتفق النحاة على أنها حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضياً (2)، لقد قال ابن فارس في الصحابي: «/لم/ تنفي الفعل المستقبل وتنقل معناه إلى

1 - الكتاب لسبويه 117/3.

2 - الاتقان 172/1.

الماضي» (1) وقال المرادي وهو يعلق على تعريف سيبويه لـ /لم/ «وظاهر مذهب سيبويه أنها تدخل على مضارع اللفظ فتصرف معناه الى الماضي» (2) وفي القرآن الكريم نجد أن أغلب الأفعال المضارعة المسبوقة بـ /لم/ جاءت للدلالة على نفي الماضي من ذلك قوله تعالى : «ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما» (النساء 164/4).

وقد جاءت هذه الآية في سياق سردي هو قوله تعالى في الآية السابقة (163).

«إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط رعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً» و (وقد جاءت /لم/ في قوله تعالى : «لم نقصصهم عليك/ دالة على نفي الماضي المتصل بزمن الاخبار ودلالة /لم/ في الماضي تنسجم مع قوله /من قبل/ قال الرازي وهو يشرح الآية «والمعنى أنه تعالى إنما ذكر بعض الانبياء في القرآن والأكثر غير المذكورين على سبيل التفصيل (3).

وهو شرح يبين أن عدم القص حصل في الزمن الماضي. ومن ذلك قوله تعالى: «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما» (طه 115/39).

فـ /لم/ نجد/ في الآية للماضي ودليلنا في ذلك هو قوله تعالى : (من قبل) ويذكر اسم آدم الذي يصرف الكلام الى الماضي البعيد وقد جاءت في سياق يدل على سرد أحداث الأولين وذلك في قوله تعالى : «كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً» (الآية 99)، قال أبو حيان وهو

1 - الصحابي لابن فارس 164.

2 - المجني الداني في حروف المعاني للمرادي 267.

3- التفسير الكبير للامام الرازي 109/11.

يقدر المضاف اليه في قوله تعالى /من قبل/ «والظاهر أن المضاف اليه المحذوف بعد قوله /من قبل/ تقديره من قبل هؤلاء الذين صرف لهم من الوعيد لعلهم يتقون وهم الناقضو عهد الله والتاركرو الايمان»(1).

ومن الآيات التي جاءت فيها /لم يفعل/ للدلالة على الزمن الماضي قوله تعالى : «انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه»(البقرة2/259).

ومنها قوله تعالى : «يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك»(مريم/43). (19).

قوله تعالى : «قال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين»(النمل/22). (27).

وقد تدخل همزة الاستفهام على /لم/ مع الفعل المضارع وتقلب معنى النفي في /لم/ الى الاثبات ويبقى زمن الفعل على ما هو عليه من الماضي وذلك في قوله تعالى : «ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا»(طه/86).

وقوله عز وجل : «ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين»(الاعراف/22).

وقوله تعالى : «أو لم يروا كيف يبدأ الله الخلق ثم يعيده»(العنكبوت/19/20) وذلك لأن الاستفهام قد يتحول الى معنى الإنكار، والإنكار نوع من النفي فكان الهمزة أفادت نفي النفي الذي في /لم/ ونفي النفي إثبات، أي أن الهمزة مع أداة الاستفهام أفادت التقرير(2).

1 - البحر المحيط لأبي حيان 282/6-283.

2 - مغني اللبيب 1/17.

لم يفعل والدلالة على الاستقبال

وجدنا مع اللغويين المحدثين (1) أن زمن المضارع لا ينقلب الى الماضي مع /لم/ في بعض الايات بل يدل على المستقبل البعيد. من ذلك قوله تعالى : «ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون» (الاعراف/46). (7).

اذ ليس يخفى أن /لم يدخلوها/ في الاية خالصة للاستقبال فقد جاءت في سياق استقبال هو عرض مشاهد من الدار الآخرة. وقد جاءت الاية بعد قوله تعالى : «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن ماذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون» (الاعراف/44-45).

وقد شرح المفسرون /نادى/ و /قال/ الواردتان في الاية بـ /ينادى/ و /يقول/ يوم القيامة» (2).

ومن الايات التي جاءت فيها /لم يفعل/ دالة على الاستقبال قوله تعالى : «ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة فحشرناهم فلم نغادر منهم أحد» (الكهف/47).

حيث نجد أن /لم نغادر/ في الآية جاءت للدلالة على الاستقبال. لأن المراد باليوم في قوله تعالى /ويوم نسير الجبال/ يوم القيامة والدليل على ذلك قوله تعالى بعد هذه الاية : «وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا» (الكهف/48).

1- نفسه 203/2 وأساليب النفي في القرآن 107.

2- الكشاف 78/2 وما بعدها وانظر التفسير الكبير للرازي 83/14 وما بعدها.

3 - البحر المحيط لأبي حيان 134/6.

قال أبو حيان في شرح (عرضوا على ريك صفا) «وقيل وحشرناهم، وعرضوا، ووضع الكتاب، مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه أي أن /عرضوا/ و /حشرناهم/ و /لم نغادر/ جاءت بلفظ الماضي للدلالة على أن يوم العرض واقع لا محالة فجاءت الأفعال الدالة على الماضي تصور الاحداث وكأنهما وقعت فعلا.

ومن الآيات التي جاءت فيها /لم يفعل/ دالة على الاستقبال قوله تعالى : «ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موقفا» (الكهف/18/52).

ومنه قوله تعالى : «فيهن قاصرات الطرف لم يطمثن انس قبلهم ولا جن» (الرحمان/55/56) وقد رفض الاستاذ محمد عزيمة أن تأتي /لم يفعل/ للدلالة على المستقبل لأنها وضعت لقلب المضارع الى المضي ويرى أن الايسر من ذلك التحول : إن حروف النفي يقوم بعضها مقام بعض فتبادل مواقعها(1).

ولنا رأي آخر مؤداه أن الأكثر يسرا من ذلك أن نقول : إن السياق القرآني هو الذي يقلب المعاني الزمنية للتراكيب كيفما كانت دلالتها الزمنية الذاتية فنجد مثلا أن حروف الشرط وضعت لصرف الفعل الماضي الى الاستقبال ولكنها كثيرا ما جاءت في سياق دال على الماضي. ولذلك لاغرابة في أن تأتي /لم يفعل/ دالة على الاستقبال.

وقد انصرف التركيب /لم يفعل/ الى الاستقبال عندما جاء مسبوqa بأداة شرط وذلك في نحو قوله : «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي أعدت للكافرين» (البقرة/24) وإنما انصرف الى الاستقبال لأنه جاء في سياق يدل على ذلك وذلك في قوله تعالى في الآية السابقة : «فإن كنتم في ريب مما

1 - انظر الكشاف 1/148.

أنزلنا على عبدنا فأتوا بسورة مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين» (البقرة/23).

ومعنى فإن لم تفعلوا لن تفعلوا «فإن لم تأتوا بسورة من مثله» (1) إذ إن كلتا الأداتين تفيد المستقبل في الآية ولن جاءت لتأكيد النفي فقط ولا محل لها من الاعراب (2).

ومن الآيات التي جاءت فيها /لم يفعل/ دالة على الاستقبال بفضل أداة الشرط التي تسبقه قوله تعالى : «فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم» (النور/28).

وقوله عز وجل : «فإن لم يستجيبوا لكم فاعملوا أنما أنزل بعلم الله» (هود/14).

ومنه كذلك قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله» (البقرة/279).

وقوله عز وجل : «فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين» (الانعام/76).

ولكن /إن الشرطية أفادت أيضا الزمن العام مع /لم يفعل/ وذلك في نحو قوله تعالى : «ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتشبيها من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فظل» (البقرة/165).

1 - انظر الكشاف 1/148.

2 - نفسه، وانظر التفسير الكبير للرازي 2/121.

كما دلت /إذا الشرطية/ على الماضي مع لم يفعل(1) وذلك نحو قوله تعالى :
«وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها»(الاعراف7/203).

لما + يفعل

يتفق النحاة على أنها تختص بالمضارع فتجزمه وتقلبه ماضيا ك/لم/ إلا أنها تختلف عن /لم/ في أن نفيها يستمر الى الحال، أو قريب منه ويتوقع ثبوته.

وقد فصل النحاة الفروق التي بين /لم/ و /لما/ من حيث دلالتها ووظيفتهما ونكتفي بالاحالة على بعض المراجع لمن أراد المزيد من البحث في الموضوع.(2)

وقد لازمت /لما/ في القرآن هذا المعنى الزماني (نفي الفعل القريب من الحال والمتوقع ثبوته) ولم تفارقه وهذا باتفاق المفسرين. ومن بين الايات التي جاءت فيها /لما/ جازمة للفعل المضارع دالة على التوقع قوله تعالى : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين»(آل عمران243).

فقد أجمع المفسرون على أن /لما يعلم/ في الآية من قبيل الأفعال المتوقعة حدوثها والتي لم تقع في وقت قريب من الحال.

يقول الزمخشري : «و/لما يعلم الله/ بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقة.... و/لما/بمعنى /لم/ لأن فيها ضربا من التوقع قدل علي نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما

1 - انظر التفسير الكبير للرازي 101/15 وفيه ما يوحي بأن /لم تأتهم/ في الآية تنصرف الى الماضي.

2 - راجع الجني الداني 268 وما بعدها، والمغني 278/1 والصاحبي 164، والاتقان 172/1.

يستقبل»(1). ويرى أبوحيان أن رأي الزمخشري المتقدم يكاد يكون رأيا منفردا لأنه لم يجد أحد من النحاة يقول بذلك «بل قالوا إنك إذا قلت / لما يخرج زيد/ دال ذلك على انتقاء الخروج فيما مضى متصلا نفيه الى وقت الإخبار، أما أنها تدل على توقعه في المستقبل فلا، لكنني وجدت في كلام الفراء شيئا يقارب ما قاله الزمخشري»(2).

ومؤدى كلام المفسرين أن / لما يعلم/ جاءت لتفيد استمرار نفي الفعل في الماضي الى الوقت الحاضر لأن معنى الآية «لاتحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم يقع منكم الجهاد»(3)، وإنما تفيد /لما/ مع الفعل التوقع لما تضيفه على الفعل من معاني الاتصال وسريان الحدث الى ما بعد الحاضر تقول مثلا : / لما يصل القطار/ ووصوله متوقع) كما تقول /لما يظهر الهلال/ وظهوره متوقع كذلك».

ومنه قوله تعالى : «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم»(الحجرات14/49).

فقوله تعالى /لم تؤمنوا/ دليل على أن معنى /لما يدخل الايمان/ مغاير لمعنى /لم/ الجازمة في التركيب الأول وهذا المعنى المغاير هو التوقع مع استمرار معنى النفي الى وقت التكلم.

قال الزمخشري وهو يبين زمن /لما يدخل/ «وقوله/ لما يدخل الايمان في قلوبكم/ توقيت لما امروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم، ولكن قوله أسلمنا حين لم تثبت مواطاة قلوبكم لألستكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في /قولا/ وما في /لما/ من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما

1 - الكشاف للزمخشري 466/91.

2 - البحر المحيط لأبي حيان 66/3.

3 - التفسير الكبير للرازي 19/9.

ويعد» (1).

ولقد وجه أبوحيان هذا التركيب توجيهها يراد منه استمرار انتقاء الايمان من الماضي الى زمن الإخبار دون الايحاء بالتوقع قال : «ولكن قولوا أسلمنا فهو اللفظ الصدق من أقولكم وهو الاستسلام والانتقاد ظاهرا ولم يولي أفواهم ما في قلوبكم وجاء النفي ب/لما/ الدالة على انتقاء الشيء الى زمن الإخبار وتبين أن قوله لم تؤمنوا لا يراد به انتقاء الايمان في الزمن الماضي بل متصلا بزمن الاخبار» (2)

وقد بينا أن /لما/ تفيد نفي الحدث في الماضي مستمرا الى زمن الاخبار وتضفي بالاضافة الى ذلك معنى توقع الحدث وقرب وقوعه أو انتظار حدوثه خلافا ل/لم/ التي تفيد مجرد نفي الحدث في الزمن الماضي فعندما تقول : /لما ينضج الشمر/ فإنك تنفي انتظار نضجه. وعندما يقول الطالب /لما أدرس هذا الموضوع/ فإن معنى ذلك أنه سيدرسه في الأيام المقبلة وعندما يقول الطالب /لم أنجح في الامتحان هذه السنة/ فانه ينفي نجاحه في الزمن الماضي وكفى فلا انتظار ولا توقع مع هذا القبيل من النفي ويفضل هذا الفهم الدلالي ل/لما/ ندرك معنى التوقع الذي دل على أن الاعراب قد امتوا فيما بعد على نحو ما ذهب اليه الزمخشري.

ومن الايات التي جاءت فيها /لما/ الجازمة دالة على التوقع قوله تعالى : «أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب» (ص8/38).

وقوله عز وجل : «وهو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين

1 - الكشاف 570/4.

2 - البحر المحيط 117/8.

منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم» (الجمعة 3/62).

ومنه قوله تعالى : «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله» (يونس 39/10).

لن + يفعل

يعرف النحاة /لن/ بأنها حرف ينصب الفعل المضارع ويكون جواب الميثب أمرا في الاستقبال. يقول : "سيقوم زيد" فتقول أنت : /لن يقوم/، وحكوا عن الخليل أن معناها /لا أن/ بمعنى ما هذا وقت أن يكون كذا. وقد جعلها الزمخشري لتأبيد النفي في المستقبل حتى اقترنت باسمه فقيـل /لم الزمخشريـة/ قال المرادي : «ولا يلزم أن يكون نفيها مزيدا خلافا للزمخشري» (1). قال ابن عصفور : «وما ذهب إليه دعوى لا دليل عليها، بل قد يكون النفي بـ/لا/ أكد من النفي بـ /لن/ لأنّ المنفي بـ /لا/ قد يكون جوابا للقسم، والنفي بـ/لن/ لا يكون جوابا له. ونفي الفعل إذا أقسم عليه أكد. (2)

وقال في المغني : « قيل : لو كانت للتأبيد لم يتقيد منفيها باليوم في (فلن أكلم اليوم انسيا) (مریم 26/19) ولكان ذكر الأبد في (ولن يتمنوه أبدا) (البقرة 95/2) تكرارا والاصل عدمه (3). أي أنّ /لن/ لاتفيد معنى النفي في تأبيد المستقبل والا لما ذكر /اليوم/ و /أبدا/ بعدها في الآيتين وسرى أنّ /لن/ في القرآن تفيد النفي في المستقبل، وتفيد تأبيد النفي في المستقبل في بعض الايات ولكنها لا تتقيد بهذه الدلالة الزمنية وحدها بل تفيد المستقبل القريب والمتوسط والبعيد كذلك. ومن الايات التي جاءت فيها /لن/

1 - انظر الصحابي 165 وانظر الجني الداني في حروف المعاني 270-271.

2 - نفسه.

3 - مغني اللبيب لابن هشام 284/1.

لتأبيد النفي في المستقبل قوله تعالى : « قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهدة» (البقرة/80).

سياق الآية يشير الى أنّ /لن/ ههنا أزلية في نفيها خلف العهد في حق الله عز وجل قال الرازي : « فلن يخلف الله عهدة/ وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى منزّه عن الكذب في وعده ووعيده.» (1) لأن الكذب صفة نقص والنقص على الله محال. وبذلك لا يمكن أن تنصرف /لن/ في الآية الى زمن غير الزمن الأزلي المطلق وقد وجد أبوحيان جدوى في القول «وفي قوله/ فلن يخلف الله عهدة/ دليل على أنّ الله لا يخلف وعده» (2) وكأن ذلك في حاجة الى دليل، وقد يقال إنّ معنى تأبيد النفي مستمد من صفة سبحانه وتعالى وليس من معنى /لن/ ونحن نقول إنّ استعمال /لن/ لهذا المعنى في هذا المقام ودليل على أنها أولى من بقية أدوات النفي في الدلالة على المستقبل الأزلي.

وقد جاءت /لن/ لتأبيد النفي في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى : «إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له» (الحج/73/22) ولن يخلقوا دالة على التأبيد لأن منفيهما مستحيل الوقوع (3) يستحيل على هذه الآلهة المزعومة أن تخلق الذباب) يقول الزمخشري وهو يشرح هذه الآية «لن/أخت/لا/ في نفي المستقبل إلا أنها تنفيه نفيًا مأكداً، وتأكيده ههنا الدلالة على أنّ خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال : محال أن يخلقوا... إن هذا من أبلغ ما أنزل الله في تجهيل قريش واسترقاق عقولهم إذ يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله وأدله وأصغره» (4).

1 - التفسير الكبير للرازي 143/3.

2 - البحر 289/1.

3 - انظر دراسات لاسلوب القرآن الجزء الأول 633/2.

4 - الكشاف 23-22/3.

ومن دلالات /لن/ على التأييد أيضا قوله تعالى : «وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قولك إلا من قد آمن» (هود 36/11).

إذ جاءت لتأييد النفي في المستقبل، فقال الزمخشري : لن يؤمن اقناط من إيمانهم، وأنه كلمحال الذي لا تعلق به للتوقع إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه (1)

ومنها كذلك قوله تعالى : «وإن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا» (الكهف 57/18)

وقوله عز وجل : «قال إنك لن تستطيع معي صبرا» (الكهف 67/18).

وقوله تعالى : «فذوقوا فلن يزيدكم إلا عذابا» (النبأ 30/78)

ومنه قوله تعالى : «فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا» (التوبة 83/9).

وقد رأينا أن /لن/ لا تكتفي بالدلالة على التأييد فقد تفيد المستقبل المحدد بمدى زمني معين وغالبا ما يأتي هذا المعنى الزمني بفضل حتى التي تردد في التركيب /لن+يفعل/ من ذلك قوله تعالى : «وإذ قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» (البقرة 55/2).

ويجب أن نلاحظ أن /لن/ وما بعدها جاءت في سياق الماضي الذي دلت عليه /قلت/ ولذلك فإن مداها الزمني ينطلق من الماضي الى المستقبل كما يجب أن ندرك أن حتى ههنا جاءت لتدل على غاية لا تتحقق إنما كانت دالة على غاية وزمن محدد ضمن حكاية لسان حالهم وزعمهم الآن، ومعنى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، لن نصدقك ولا نعترف بنبيوتك حتى نرى الله جهرة أي

عيانا (1). فحتى ههنا جاءت غائية بالنسبة للكفار ولكنها ليست كذلك بالنسبة للخارج لاستحالة رؤية الكفار لله جل شأنه ولذلك يمكن القول إن الدلالة الزمنية ل/لن/ هنا اعتبارية نسبية ومن أوضح دلالات /لن/ على الزمن المحدد في القرآن قوله تعالى : «لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون» (آل عمران 92/3).

إذ يفهم من الآية أن نيل البر يتوقف على انفقاق المرء مما يحب في هذه الدنيا إذ معنى الآية عند المفسرين انكم وإن اتيتم بكل تلك الخيرات المذكورة في تلك الآية فإنكم لا تفوزون بفضل البر حتى تنفقوا مما تحبون (2).

يقول صاحب التفسير الكبير وهو يحلل معاني الآية : «إنَّ الانسان لا يمكنه أن ينفق الدنيا في الدنيا الا اذا ابتغى سعادة الآخرة ولا يمكنه أن يفوز بسعادة الآخرة إلا إذا أقر بوجود الصانع العالم القادر وأقر بأنه يجب عليه الانقياد لتكاليفه وأوامره ونواهيته» (3). وبذلك يمكن اعتبار /لن تنالوا/ دالة على زمن محدد يطول ويقصر حسب الغاية المراد الوصول اليها.

ومن الآيات التي جاءت فيها /لن/ متبوعة بحتى دالة على الغاية قوله تعالى : «لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون» (المائدة 22/5)

وقوله تعالى : «وقالوا لن نؤمن حتى نؤتي ما أوتي رسل الله» (الأنعام/124) (6).

وقوله عز وجل : «فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي» (يوسف 80/12).

1 - التفسير الكبير للرازي 83/3.

2 - التفسير الكبير للرازي 133/8-134.

3 - نفسه.

ومنه قوله تعالى : « لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى » (طه/91)
20.

وقوله تعالى : « ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه » (الاسراء/92)
(17)

لا النافية مع الصيغ الفعلية (لا+يفعل-لا+فعل)

إن كان ما بعد /لا/ النافية فعلا، صرفته للاستقبال في رأي كثير من النحاة في نحو (لا يخرج زيد) وتكون بمعنى /لم/ إذا دخلت على ماض نحو قوله تعالى : « فلا صدق ولا صلى » (1) (القيامة/31/75) قال سيبويه «إذا قال هو يعمل ولم يكن الفعل واقعا فنفيه لا يفعل، وإذا قال ليفعلن فنفيه لا يفعل، كأنه قال : والله ليفعلن، فقلت : والله لا يفعل» (2)

يفهم من قول سيبويه كذلك أن /لا/ النافية للحدث خاصة بالاستقبال إذ جعلها نافية لأحداث في المستقبل غير أن ابن مالك وابن هاشم يجعلانها تفيد الحال كذلك قال في المغني : «رتخلص المضارع بها /لا/ للاستقبال عند الأكثرين وخالفهم ابن مالك لصحة قولك : (جاء زيد لا يتكلم) مع الاتفاق على أن الجملة الحالية لا تتصدر بدليل استقبال (3).

ويبدو أنهما يصدران عن آراء سابقة لهما في هذا الموضوع منسوبة للمبرد والأخفش قال المرادي : «ونص الزمخشري ومعظم التأخرين على أنها تخلصه للاستقبال وهو ظاهر أن ذلك غير لازم، بل قد يكون المنفي بها للحال» (4).

1 - الصحابي في فقه اللغة 165.

2 - الكتاب 117/3.

3 - مغني اللبيب لابن هشام 244/1.

4 - انظر الجنبي الداني للمرادي 296، وانظر أساليب النفي في القرآن امد ماهر البقر 19 والاتقان

في علوم القرآن 171/1 ودراسات لاسلوب القرآن عبد الخالق عضية القسم الأول 545/2 وما بعدها

وقد جاءت /لا/ النافية للحدث في القرآن مؤيدة للرأين فجاءت دالة على الاستقبال في آيات كثيرة كما دلت على الحال في آيات كثيرة أخرى كما سنرى.

/لا/ النافية والدالة على الاستقبال

من المواطن التي جاءت فيها /لا/ دالة على الاستقبال قوله تعالى على لسان سيدنا موسى : «قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا» (الكهف/19/69).

ونستدل على معنى الاستقبال من /ستجدني/ الدالة على الاستقبال ومن أداة الشرط /إن/ كما نستدل عليه من سياق الآية نفسها فقد جاءت الآية في سياق وعد قطعه سيدنا موسى على نفسه مع العبد الصالح على أن يكون صابرا ولا يعصى له أمرا والوعد لا يكون إلا في المستقبل (1).

ومنها كذلك قوله تعالى : «واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينضرون وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين» (البقرة/2-123-124).

ف/لا تحزي/ و /لا يقبل/ و /لا تنفعهما/ كلها مركبات انصرفت للاستقبال بقضل القرينة الزمنية الواضحة في الآية وهو قوله تعالى (اتقوا يوما) إذ المقصود باليوم يوم القيامة.

قال الرازي وهو يشرح قوله تعالى : /واتقوا يوما/ في آية سابقة من البقرة (84) «اعلم أن اتقاء اليوم اتقاء لما يحصل في ذلك اليوم من العقاب والشدائد لأن نفس اليوم لا يتقي ولا من يرده أهل الجنة والنار جميعا (2) أما

1 - التفسير الكبير 152/22-153.

2 - التفسير الكبير للرازي 55/3.

قوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) فإننا نفهم من شرح المفسرين أن /لا/ النافية وما بعدها للمستقبل القريب (الأقرب من زمن يوم القيامة) لأن معنى /ومن ذريتي/ عند المفسرين : «أنه تعالى أعلم سيدنا إبراهيم أن في ذريته أنبياء فأراد أن يعلم هل يكون ذلك في كلهم أو بعضهم وهل يصلح جميعهم لهذا الأمر فأعلمه الله أن منهم ظالما لا يصلح لذلك.» (1) وهكذا نفهم أن زمن /لا ينال عهدي/ زمن متوسط المدى سيأتي بعد عقود زمنية ومنه كذلك قوله تعالى : «وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون» (القصص 41/28).

ف/لا/ نافية لحدث سيقع في مستقبل بعيد هو يوم القيامة ومثله قوله تعالى : «قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون» (سبأ/30 35) وقد اختلف النحاة والمفسرون في تفسير قوله تعالى : «واتفقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة» (الأنفال 25/8).

إذ يرى فريق منهم أن /لا/ ههنا ناهية «والأصل لا تتعرضوا للفتنة فتصيبكم، ثم عدل عن النهي عن التعرض إلى النهي عن الإصابة لأن الإصابة مسببة عن التعرض وزند هذا المسبب إلى فاعله، وعلى هذا فالإصابة خاصة بالمعترضين» (2).

ويرى آخرون أنها هنا نافية وتكون جملة /لا تصيبن/صفة ل/فتنة/ وعلى هذا التوجيه تكون الإصابة عامة للظالم وغيره ويكون التقدير/ اتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن الذين ظلموا(3) ولقد توسع المفسرون في بسط الأوجه المختلفة لهذه الآية(4) مما يجعلنا ننتهي إلى أن زمن لا تصيبن زمن استقبالي

1- نفسه 40/4.

2 - مغني اللبيب لابن هشام 246/1-247.

3 - نفسه.

4 - انظر الكشاف 152/2 وما بعدها والبحر المحيط 482/4 وما بعدها.

دلت عليه قرائن لفظية هي قوله تعالى : (واتقوا) فعل أمر للاستقبال وقوله تعالى (فتنة) قادمة فيما يستقبل من الزمان.

ومن الايات التي جاءت فيها الجملة المنفية صفة لزمن استقبالي (1) قوله تعالى : «واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده» (لقمان 31/33).

/لا/ النافية والدلالة على الزمن العام

على الرغم من أن النحاة لم يلتفتوا الى هذه الدلالة الزمنية الخاصة ل/لا/ النافية (الزمن العام) فإنها وردت في ايات كثيرة لا تصرف فيها الى زمن محدد، وإنما هي تدل على زمن عام يشمل كل الأزمنة من ذلك قوله تعالى : «في بيوت أذن الله أن ترفع يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله» (النور 24/36-37)

إذ لا يمكن أن ينصرف زمن /لا تلهيهم/ الى زمن محدد فقد جاءت الجملة المنفية صفة لؤلاء الرجال الذين يعمرن بيوت الله في كل زمان ومكان (2).

منها كذلك قوله تعالى : «أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون» (التوبة 9/126).

وسياق الآية يوحي بأن فتنة المنافقين أصبحت ملازمة لهم تصيبيهم في كل زمان ومع ذلك لا يتوبون، فزمن لا يتوبون ليس هو الماضي فقط ولا هو المستقبل فقط، وإنما هو زمن مطلق من الماضي الى المستقبل لأنهم فتنوا وسيفتون في كل عام قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه وهو يشرح هذه /الفتنة/ :
يتمحنون بالعرض في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون من ذلك النفاق ولا

1 - نفسه 194/7.

2 - انظر الكشاف 68/3-69 والتفسير الكبير للرازي 4/24.

يتعضون بذلك المرض كما يتعظ بذلك المدمن إذا مرض فإنه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقعه بين يدي الله فيزيده ذلك إيمانا (1) وقد قيل : يفتنون بالغزو والجهاد فان تخلفوا أو قعدوا في السنة الناس باللعن والحزبي والذكر القبيح. وإن ذهبوا الى الغزو مع كونهم كفار كانوا قد عرضوا أنفسهم للقتل والنهب من غير فوائد (2) وقيل غير ذلك... مما يبين أن السياق الذي أدرجت فيه جملة النفي (لايتوبون) يوحي بأنه لا يخص زمنا معيننا بالماضي أو بالمستقبل وإنما زمن ينسحب على المنافقين كلما فتنوا ولم يتوبوا.

وهناك آيات كثيرة جاءت فيها /لا/ النافية للمضارع دالة على الزمن العام من ذلك قوله تعالى : «ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» (البقرة /12).

وقوله تعالى : «ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون» (البقرة/13).

ومنه كذلك قوله عز وجل : «وقال الذين لا يعلمون لو يكلمنا الله أو تأتينا آية» (البقرة/118).

وقوله عز وجل : «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم» (الاعراف/27).

وقوله تعالى : «با أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» (الصف/61).

/لا/ فعل

لم ترد /لا/ النافية مع الفعل الماضي لفظا ومعنى الا في مرة واحدة في قوله تعالى : «فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى» (3) لقد جاءت /صدق/ المنفية دالة على الماضي لفظا ومعنى، يقول ابن فارس : عن /لا/ النافية فسي

1- نفسه 232-233.

2- نفسه 233.

3- الصحابي لابن فارس 165 وانظر الاتقان للسيوطي/1

هذه الآية : إنها جاءت بمعنى /لم/ أي أنها جاءت دالة على الماضي.

كما جاءت مع الفعل الماضي في أسلوب شرطي ودالة على زمن عام وذلك في قوله تعالى : «لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء» (النحل 35/16).

ما + فعل - ما + يفعل

كما هو معلوم أنّ /ما/ النافية تنفي الافعال كما تنفي الاسماء وتنفي الفعل المضارع كما تنفي الفعل الماضي. ويميل أغلب النحاة الى انها لنفي الحال أو لنفي الماضي القريب من الحال. قال الرضي «/ما/و/ليس/ كلاهما لنفي الحال عند النحاة وقال ويتعين المضارع للحال بالآن وينفيه بليس و/ما/ نحو/ ما يقوم زيد/.

أما في القرآن فجاءت بلفظ الماضي دالة على الماضي في آيات كثيرة كما جاءت بلفظ المضارع ودالة على الاستقبال في آيات كثيرة كذلك.

وقد اجتمع ذلك كله في آية واحدة وهي قوله تعالى : «وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون» (الشعراء 210/26) كما جاءت دالة على الزمن العام في عدد من الايات على نحو ما سترى فمن دلالات ما النافية على الماضي بلفظ الماضي قوله تعالى : «ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه» (آل عمران 191/3).

ولا جدال في أنّ /ما خلقت/ للمضي لفظا ومعنى لأنّ /هذا/ في الآية تشير الى السموات والأرض وقد خلقهما الله في زمن سحيق. ومن ذلك قوله تعالى: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما

جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشيرا ونذير» (المائدة/19/5).

إذ نجد أن /ما جاءنا/ في الآية للماضي القريب والدليل على ذلك قوله تعالى : (فقد جاءكم بشير ونذير) إذ المراد بالبشير والنذير سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قال في التفسير الكبير : «بمعنا إنما بعثنا إليكم الرسول في وقت الفترة كراهة أن تقولوا ما جاءنا في هذا الوقت من بشير ولا نذير ثم قال تعالى : فقد جاءكم بشير ونذير فزالت هذه العلة وارتفع العذر» (1).

وقد جاءت /ما/ النافية للماضي دالة على الزمن العام الذي يستوعب الأزمنة الماضية والأزمنة المستقبلية وذلك في قوله تعالى : «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون» (المائدة/103/5).

ف/ما جعل الله/ على الرغم من أنها جاءت نافية لفعل ماض لفظا فإنها جاءت بمثابة الحكم العام الذي يشمل الأزمنة المختلفة، ماضيها وحاضرها ومستقبلها. فقد شرح الرازي /ما جعل/ بما حكم الله بذلك ولا شرع ولا أمر به. قال : «اعلم أنه تعالى لما منع الناس من البحث عن أمور كلفوا بالبحث عنها في قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء...) كذلك منعهم عن التزام أمور ما كلفوا بالتزامها ولما كان الكفار يحرمون على أنفسهم الانتفاع بهذه الحيوانات... بين تعالى أن ذلك باطل فقال ما جعل الله.» (2).

وما يعيننا من هذا الشرح أن /ما جعل/ جاءت للتشريع، والتشريع صالح لكل زمان ومكان ومن هنا تستمد /ما جعل/ دلالتها الزمنية العامة.

ومن المواطن التي جاءت فيها ما النافية للماضي واقعة في سياق استقبالي قوله تعالى: «ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى

1 - التفسير الكبير 11/194.

2 - التفسير الكبير 12/109.

عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون» (الاعراف 48/7).

فان ما أغنى جاءت لتدل على الماضي بالنسبة للمستقبل البعيد هو الدار الآخرة أي أن / ما / في هذه الآية تنفي حدثا ماضيا ليس بالنسبة الى الحاضر الذي نعيشه وإنما هو ماض بالنسبة لما يستقبل من الزمان. أما أن الآية في سياق استقبالي فقد سبق أن بينا ذلك في مقام سابق (1).

كما جاءت / ما / النافية للحدث بلفظ المضارع في آيات كثيرة منها قوله تعالى : « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير ريبكم » (البقرة 2/105).

قال / ما يود / تدل على ما يستقبل من الزمان بدليل قوله تعالى : (أن ينزل عليكم من خير ريبكم.) ف/ أن / من الأدوات التي تصرف المضارع للاستقبال، وقد بين الرازي أن الكلام للاستقبال فقال : « المعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي » (2).

ومنها قوله تعالى : « قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين » (القصص 18/27).

إذ لا جدال في أن / ما أريد / يراد بها التعبير عن ما يستقبل من الزمان و / أن / التي جاءت بعد الفعل تحيل الى المستقبل لأن الآية جاءت في سياق اتفاق بين النبيين في السنين الموالية لذلك الزمن (3).

1 - انظر الفصل الأول في الباب الثاني (فعل في القرآن).

2 - التفسير الكبير 225/3.

3 - نفسه 24/242.

ومن دلالات /ما/ النافية للفعل المضارع على الزمن العام قوله تعالى :
« قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما » (الفرقان/77)
(25).

فان /ما يعبأ/ المسند الى اسم الجلالة لا تتحدد بزمان كسائر الافعال المسندة
الي الله سبحانه وتعالى. قال أبو عبيدة وهو يشرح الآية ما أعابيه، أي وجوده
وعدمه عندي سواء، وقال الزجاج معناه لا وزن لكم عند ربكم والعبء في
اللغة: الثقل وقال عمرو بن العلاء ما يبالي بكم ربي(1).

ومنها قوله تعالى : « ما خلقت الجن والانس إلا ليعبدوني ما أريد منهم من
رزق وما أريد أن يطعمون » (الذاريات/51/56).

إذ جاءت /ما أريد/ في الآية دالة على جميع الأزمنة لأن الفعل كذلك
مسند الى ذاته تعالى.

ان النافية للفعل

إن النافية من الأدوات التي تدخل على الاسم كما تدخل على الفعل(2)
عندما تدخل على الفعل فان الفعل بعدها إما أن يبقى على دلالاته اللفظية
الزمنية، وإما أن تدرج في السياق فتتلون دلالاته الزمنية بالاجواء التي يوحى
بها النص شأنها في ذلك شأن /ما/ النافية.

من ذلك قوله تعالى : « الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن
أمسكهما من أحد من بعده » (فاطر/35/41).

حيث جاءت /ان/ هنا نافية للفعل دالة على الاستقبال فقد جاءت في سياق
شرطي مصدر بـ/لئن/ ولئن تدخل غالبا على الممكن فان قدرنا دخولها على

1 - التفسير الكبير للرازي 116/24.

2 - انظر الاتقان 154/1 والصاحبي لابن فارس 131.

الممكن ذلك فاعتبار القيامة عند شيء السماء ونسف الجبال أي ولئن جاء وقت زوالهما ويجوز أن يكون ذلك على سبيل الفرض، أي لئن فرضنا زوالهما فيكون مثل /لو/ في المعنى. (وقد قرئت الآية : لو زالتا ولذلك يقول أبو حيان : إن أمسكهما في الآية بمعنى المضارع أي أنها مصروفة الاستقبال يقول: وإنما هو في معنى المضارع لدخول إن الشرطية)(1).

وبذلك يمكن القول أن /إن/ وما دخلت عليه دل على المستقبل البعيد فكأن /ان/ جاءت بمعنى /لن/ الدالة على المستقبل البعيد أي لن أمسكهما من أحد. ومنها قوله تعالى (ولقد مكناهم فيما إن مكناهم فيه) باعتبار أن /ان/ نافية ودالة على الماضي لأن الله سبحانه وتعالى لما أخبر بهلاك قوم عاد خاطب قريشا على سبيل الموعظة فقال ولقد مكناهم. قال أبو حيان : «وكونها نافية هو الأوجه لأن القرآن يدل عليه في مواضع كثيرة كقوله كانوا أكثر منهم وأشد قوة(2).

ومن الآيات التي جاءت فيها /ان/ نافية للفعل المضارع ودالة على الحاضر قوله تعالى : «قل إن أدري أقريب أم بعيد ما تدعون» (الأنبياء 109/21).

وقوله عز وجل : «وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين» (الأنبياء/ 111
21)

ومن الآيات التي جاءت فيها /ان/ نافية للفعل المضارع دالة على الزمن العام قوله تعالى : «ان يدعون من دونه إلا إنانا وان يدعون إلا شيطانا مريدا».

حيث جاءت الجملة النفية هنا بمثابة الصفة الملازمة للمشركين في كل زمان ومكان.

1 - البحر المحيط لأبي حيان 317/7.

2 - نفه 65/7.

الصيغ الفعلية مع أدوات الاستفهام

يمكن القول إن أدوات الاستفهام الواقعة قبل الأفعال لا توجه الدلالة الزمنية للفعل، وإنما هي تبثه حسب دلالته اللفظية ويكون علامة على أنه باق على دلالاته الأصلية غير أن السياق له دوره في صيغ التركيب كله بألوان زمنية مختلفة فقد يكون التركيب دالا على الحال ولكنه واقع في سياق الماضي، وقد يكون دالا على الماضي ولكن السياق ينقله الى المستقبل وهكذا.

- هل والاستفهام عن الفعل في القرآن الكريم

هي عند النحاة حرف استفهام موضوع لطلب التصديق الإيجابي وقد جعلها صاحب المغني تصرف المضارع للاستقبال غير أننا ونحن ندرس الزمن في القرآن وجدنا أنها أفادت أزمنة أخرى غير زمن الاستقبال(1).

مرة مع الماضي و14 مرة منها 59 وقد وردت /هل/ مع الفعل في القرآن مرة مع المضارع. ومن المواضع التي جاءت فيها /هل/ دالة على الماضي 45 قوله تعالى: «وهلأتاك نبأ الخضم إذ تسوروا المحراب»(ص21/38).

فقد جاءت /هل أتاك/ خيرا ماضيا محكيا عن سيدنا داود(2).

ومنها كذلك قوله تعالى: «وهل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما»(الذاريات24/51).

حيث نجد أن /هل/ دخلت على ماض لفظا ومعنى وهو /أتاك/ وهو ماض لأن كل الملابس والقرائن تؤكد ذلك فقد جاءت في سياق قصصي إخباري وجاءت بعدها /إذا/ الدالة على الماضي، وقد قال المفسرون: إن /هل/ جاءت

1 - انظر مغني اللبيب 249/2-250، والاتقان في علوم القرآن 178/1 والجني الداني في حروف المعاني للمرادي 341-342.

2 - انظر الكشاف 366/93.

للتشويق والاستماع الى ما بعدها من قصة وخبر(1).

ومن بقية الايات التي جاءت فيها /هل/ تتصدر الفعل الماضي قوله تعالى: «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم» (الاعراف/44/7).

غير أنّ /هل/ في هذه الآية وإن دخلت على الماضي ودلت عليه، فإنها جاءت في سياق ماضٍ خاص، هو ماضي المستقبل لأنّ الآية تصور ما يجري في الدار الآخرة (في المستقبل البعيد).

ومن الايات التي جاء فيها الفعل المضارع يتلو /هل/ قوله تعالى : «قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا» (الكهف/1039/18)

وقوله عز وجل : «قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه» (المائدة/60/5).

حيث جاءت /هل أنبئكم/ في الآيتين للحاضر أو المستقبل القريب من المحاضر باعتبار أن المتنبأ عنه يأتي مباشرة بعد حملة الاستفهام وهو قوله تعالى (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) في الآية الأولى (من لعنه الله وغضب عليه) في الآية الثانية. وقد جاء الفعل المضارع بعدها دالا على الزمن العام لأنه جاء في سياق مثل ضربه الله لصنف من الرجال يوجدون في كل زمان وفي كل مكان وذلك قوله تعالى : «وضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستترون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأبى هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على

1 - انظر إعراب ثلاثين سورة في القرآن الكريم لابن خالوية 64.

صراط مستقيم» (النحل 75/16-76).

ف /هل يستون/ في الآية و /هل يستوي/ في الآية الثانية لا يمكن أن تتحدد بزمن معين لأن الحدث الذي يدل عليه يمتد امتداد الانسان في عمق الزمان...

هل بمعنى قد

يرى بعض النحاة والمفسرين أنّ /هل/ تأتي بمعنى /قد/ (1) وذلك في قوله تعالى : « هل أتاك حديث الغاشية » (الغاشية 1/88).

وعلى أية حال فإن زمن الفعل لا يتغير بعد /هل/ سواء كانت بمعنى /قد/ أم كانت استفهامية. إذ يبقى الفعل /أتاك/ على مضيه.

همزة الاستفهام وزمن الفعل

همزة الاستفهام حرف مشترك يدخل على الاسماء والافعال لطلب التصديق أو التصور. وسنحاول أن نتبع معانيها الزمنية وهي داخلة على الصيغ الفعلية في جملة من الآيات القرآنية. ومن معانيها التي اطرقت في القرآن الكريم ما يسميه النحاة بهمزة التسوية وما يترتب على الجملة بعدها من آثار زمنية.

من ذلك قوله تعالى : « سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذهم لا يؤمنون » (البقرة/6). (2).

1 - قال أبو حيان في البحر 393/8 « هل حرف استفهام فإن دخلت على الجملة الاسمية لم يكن تأويله بقدر لأن قد من خواص الأفعال، فإن دخلت على الفعل فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض. وقال القرطبي وهو يشرح /هل أتاك/ هي بمعنى /قد/ قاله قطرب (الجامع 24/20) أي قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم. ويقول الرضي : /هل/ وصلها /قد/ وجاءت على الأصل. انظر شرح الكافية 388/2.

إذ يحتمل معناها الزمني عند بعض النحاة الماضي والاستقبال. إذ هي بمعنى سواء عليهم الانذار وعدمه «فلا فرق بين ذلك، وبين أن يقال سواء أأنذرت أم تركت الانذار» (1) يقول ابن القيم «إذا اقترن الفعل بعد أم بـ/لم/ فلن يتعين الفعل الماضي» (2) وتصبح دلالتها الزمنية عامة كدلالة المصدر على الزمن العام.

ونفهم من شرح الزمخشري للآية أن معنى الاستفهام قد انسلخت عنه الهمزة واستحالت الى معنى الشرط الدال على الزمن العام (3).

«وإنما أفادت الهمزة فائدة /إن/ الشرطية لأن كلمة /إن/ تستعمل في الأغلب في أمر مفروض مجهول الوقوع وكذلك حرف الاستفهام يستعمل فيما لم يتيقن حصوله» (4).

وقد جاءت الهمزة تتصدر الفعل الواقع في سياق ماضٍ وذلك في قوله تعالى: «أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم» (طه/86). (20)

ومنها قوله تعالى: «أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاؤتينا مالا ولدا اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا» (مریم/78/19).

كما جاءت همزة الاستفهام متلوة بـ /لم/ النافية للفعل المضارع فإذا هي تفيد التقرير في الماضي وذلك في مثل قوله تعالى: «ألم نشرح لك صدرك» (الانشراح/1/94).

1 - انظر بدائع الفوائد 51/1 وما بعدها، ونتائج الفكر للسبلي 70، وانظر الفصلين الذين خصصناهما لزمن الفعل عند النحاة وعند الفقهاء.

2 - بدائع الفوائد 51/1.

3 - الكشاف 153/1.

4 - هامش الكشاف 153/1.

ومثل قوله تعالى : « ألم نجعل الأرض مهادا » (النبا 69/78).

وقد تأتي مع الفعل /رأيت/ ويرى المفسرون أن رأيت تأتي مناسبة للوجدان الشائر والانفعال المحتدم وأنها تأتي بمعنى التنبيه والتعجب، لأن الهمزة إذا دخلت على رأيت امتنع أيكون من رؤية البصر والقلب (1) أي أنها تأتي بمعنى فعل أمر فتصبح دالة على الاستقبال ونحن نرى أنها من قبيل الأفعال الانشائية التي لا زمن لها في الخارج وأن زمنها هو زمن التلفظ بها وقد قال بمثل ذلك الرضي عندما بين أنها لا تكون إلا للاستخبار عن حال عجيبة (2) كما ذهب آخرون إلى أن كل استفهام دخل على الرؤية فهو للتعجب ومن أمثلة /رأيت/ الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى : « قال رأيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني إلى يوم القيامة لاحتنكن ذرته الا قليلا » (الإسراء 62/17).

ومنه قوله تعالى : « أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه » (الواقعة 58/56-59).

كما وجد أن همزة الاستفهام إذا تلتها /لن/ الدالة على الاستقبال فإن الجملة المنفية بعدها تبقى على دلالتها الاستقبالية وذلك في مثل قوله تعالى : « إذ تقول للمؤمنين ألن يكفبكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين » (آل عمران 124/3).

من الاستفهامية المتصدرة للفعل

هي من أكثر الأدوات ورودا قبل الفعل، فقد جاءت في القرآن 103 مرات منها 15 مرة وليها فعل ماض، ومرة وليها المضارع (3) وقد وردت /من/ في أساليب مختلفة كالتقرير، والانكار وغيرها من الأساليب البلاغية لكن دلالتها

1 - انظر البحر 166/5 والاتقان 146/1 وانظر أساليب الاستفهام في القرآن 32 وما بعدها.

2 - شرح الرضي على الكافية 282/1 وأساليب الاستفهام في القرآن 34.

3 - مغني اللبيب لابن هشام 327/1 والاتقان للسيوطي 177/1 انظر أساليب الاستفهام في

القرآن 113 وما بعده.

الزمنية تعددت حسب تلك الاساليب والسياقات التي وردت فيها حيث نجد أنها لازمت الدلالة على الماضي مع صيغة /فعل/ بعد الفعل /سأل/ وذلك في قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله » (العنكبوت 61/29).

ومنه كذلك قوله تعالى : « قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين » (الأنبياء 59/21) حيث جاءت من فعل للدلالة على الماضي إذ هي واقعة في أسلوب سردي قصصي دل عليه سياق الآيات التي قبل هذه والتي بعدها (انظر الآيات 62-61-60/85).

وقد تتصدر الفعل المضارع فتدل على الزمن العام أو الزمن الأزلي إذ غالبا ما تكون هذه الأفعال المضارعة مسندة الى الله سبحانه وتعالى. وكل الأفعال التي تسند اليه تعالى لاتتقيد بزمان ما لم يدل على ذلك دليل كخلق السموات والأرض الى غير ذلك فمن الايات التي جاءت فيها /من يفعل/ دالة على الزمن العام قوله تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله » (يونس 31/10).

وقد جاء الفعل بعدها دالا على الاستقبال من ذلك قوله تعالى : « فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا » (النساء 09/4).
وقوله تعالى : « فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا » (غافر 29/40).

ما الاستفهامية

جاءت في القرآن غالبا للدلالة على الاستفهام الحقيقي ووردت قبل الفعل الماضي 58 مرة والمضارع 48 مرة (1) وقد تعددت دلالتها الزمنية مع الافعال

1 - انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي 175/1.

حسب الصيغة التي تليها فجاءت مع صيغة /فعل/ دالة على الماضي لفظا ،معنى كما جاءت مع /يفعل/ دالة على الحاضر والمستقبل وهي الدلالة الأصلية لصيغة /يفعل/ فمن الايات التي جاءت فيها ما "فعل" دالة على الماضي لفظا ومعنى قوله تعالى : « قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي»(ص75/38).

منها كذلك قوله تعالى : « قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا»(طه92/20) ومنه قوله تعالى : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم»

وقد جاءت /من فعل/ دالة على الماضي ولكن في سياق استقبالي فهي من قليليل التراكيب الدالة على ما سميناه بماضي المستقبل وذلك في مثل قوله تعالى «ويم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين»(القصص65/28).

إذ ليس يخفى أن /يناديهم/ في الآية دالة على زمن استقبالي بعيد هو زمن يوم القيامة.

وعندما تسبق /من يفعل/ الفعل المضارع فانها تأتي إما للدلالة على الحاضر كما في قوله تعالى : « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك » (التحريم 1/66).

وقوله : « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر»(مریم42/19).

وأما للدلالة على الاستقبال كقوله تعالى : « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي»(البقرة133/2).

وقد لاحظنا ونحن ندرس بقية أدوات الاستفهام أنها في الغالب تدل على الحاضر والاستقبال مع الفعل المضارع /يفعل/ وعلى الماضي مع الماضي /فعل/ من ذلك دلالة /أين/ مع الفعل المضارع علي الحاضر في قوله تعالى : «وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون»(التكوير26/81).

وجاءت /أيان/ مع الفعل المضارع دالة على الاستقبال وذلك في قوله تعالى «قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون» (النحل 65/27)..

أما كيف فقد جاءت مع الفعل المضارع كما جاءت مع الماضي فدلّت مع الحاضر على الحاضر ودلّت مع الماضي على الماضي. من ذلك قوله تعالى : « هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء » (آل عمران 6/3).

وقوله : « اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون » (الصفات-154 153/37). حيث دلّت /كيف يشاء/ و/كيف تحكمون/ على الحاضر.

وقد ولي /كيف/ الفعل "كان" فدلّت على الماضي لفظاً ومضى وذلك في قوله تعالى : « ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتم فكيف كان عقابي » (الرعد 32/13).

وجاءت /كم/ الاستفهامية للدلالة على الماضي مع الفعل /لبث/ في ثلاث آيات وذلك في قوله تعالى : « قال كم لبثت قال لبث يوماً أو بعض يوم » (البقرة 259/2).

« قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم » (الكهف 18/19).

« قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ».

أما /أنى/ الاستفهامية فقد وليها الفعل المضارع فدلّت على الحاضر لأنها يراد بها إنكار حال الفعل بعدها من ذلك قوله تعالى : « إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى توفكون » (الانعام 95/6).

ومنه قوله تعالى : « ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى

تصرفون» (الزمر 6/10).

«سيقولون لله فأنى تسحرون» (والمؤمنون 89/22).

أما /أين/ فقد وردت مع الفعل المضارع في مرة واحدة في القرآن للدلالة على الحاضر وذلك في قوله تعالى : «وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون» (التكوير 26/81).

أي أنّ جملة /"أين تذهبون" جاءت للاستفهام عن فعل مضارع دال على الحال. ولا يفوتنا في خاتمة هذا الفصل أن نؤكد ما قلناه في مقدمته، من أنّ أدوات النفي والاستفهام تتحدد معانيها حسب دلالتها الذاتية وقليلًا ما يصرفها السياق عن هذه الدلالة الأصلية وكأن معانيها الزمنية في القرآن جاءت مطابقة لدلالاتها الوضعية ومن أجل ذلك لم نر جدوى من وضع الجداول الخاصة بدلالات الأداة واكتفينا بما أشرنا إليه في ثنايا هذا الفصل من وجود دلالات سياقية خاصة لهذه الأدوات.

الفصل الثالث

الصيغ الفعلية مع الأدوات المختلفة

- * الدلالة على الماضي.
- * الدلالة على الحاضر.
- * الدلالة على الاستقبال.
- * الدلالة على الزمن العام.

الصيغ الفعلية مع الأدوات المختلفة

درسنا في الفصلين السابقين طائفة من الأدوات المختلفة وجعلنا كل فصل يضم أدوات تشكل أسرة تربط بينهما دلالة جامعة مشتركة هي الشرط في الفصل الأول، والنفي والاستفهام في الفصل الثاني أما الفصل الثالث، فقد جعلناه يضم أدوات مختلفة الدلالة والوظيفة النحوية (منها العامل وغير العامل، ومنها الناصب ومنها الحازم... الخ)، وكل ما يجمع بين هذه الأدوات، أنها تؤثر في الدلالة الزمنية للفعل الذي تسبقه، أو تلحقه، حسب دلالتها الذاتية، وحسب السياق الذي ترد فيه، ومن هذه الأدوات ما هو خاص بالدخول على الفعل المضارع، ومنها ما هو خاص بالماضي ومنها غير المختص الذي يسبق الفعل الماضي والمضارع.

ومن بين تلك الأدوات الخاصة بالفعل المضارع، سوف والسين.

دلالة السين وسوف على الاستقبال :

السين الداخلة على المضارع يسميها النحاة بسين التنفيس ويجعلونها خاصة بتخليص المضارع للاستقبال في مثل قوله تعالى : «كلا سيعملون» (النبا/4-78)، والسين عند البصريين حرف مستقبل، أي أنها أصل بنفسها بينما ذهب الكوفيون إلى أنها مقتطعة من سوف. كما قالوا : سوا، و"سي" و "سف" وقد اختار ابن مالك هذا الرأي لأنه أبعد عن التكلف، ولأنهم أجمعوا على أن هذه الثلاثة فروع لـ : "سوف" فلتكن السين كذلك (1) ولقد نص سيبويه على أن هذه الدلالة الزمنية للسين الخاصة بالاستقبال، فقال : "إذا قال سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان" (2).

1 - انظر الجني الداني في حروف المعاني للمرادي 60/59. والكتاب 35/1 والانتقان للسيوطي 163-162/1.

2 - الكتاب 35/1.

كما نص عليها ابن جني عندما قال : "أردت بالفعل المضارع الاستقبال
أدخلت عليه السين لتدل بها على الاستقبال"(1).

وسنرى -ونحن ندرس آيات من القرآن تضمنت (سنفعل)، أنها لا تقتصر
على الدلالة على المستقبل القريب، بل لها دلالات أخرى وقد اكتشف النحاة
أنفسهم أن السين هذه قد تنحرف دلالتها الزمنية عن القاعدة التي وضعوها
لها. فقد وجدوا أنها جاءت مقترنة بـ "الآن" الدالة على الحاضر في قول الشاعر
«من الوافي».

فإني لست خاذلكم ولكن سأسعى الآن اذ بلغت أناها(2) كما وجدوا أن
معناها الزمني يمكن أن يدل على المعنى الزمني لسوف فقد عبر الشاعر في
البيت التالي عن المعنى الواحد، الواقع في الوقت الواحد(3) بـ سيفعل،
وسوف يفعل : قال : (من البحر الطويل).

وما حالة الا سيصرف حاهما الى حالة أخرى وسوف تزول(4)

ومن الايات التي جاء فيها السين للدلالة على مستقبل غير بعيد. قوله
تعالى : «والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا
يعلمون»(الاعراف/182/7) اذ نجد أن مؤدي الاية وسياقها يوحيان بمباشرة
(الاستدراج) في الزمن القريب، يقول الرازي وهو يشرح (سنستدرجهم).
"الاستدراج" : الاستفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد، أو الاستنزال درجة بعد
درجة..... اذا عرفت هذا، فالمعنى سنقربهم الى ما يهلكهم وتضاعف عقابهم
من حيث لا يعلمون ما يراد بهم، وذلك أنهم كلما أتوا بجزم، أو أقدموا على
ذنوب فتح الله عليهم بابا من أبواب النعمة والخير في الدنيا فيزدادو بطرا

1 - الاشباه والنظائر 257/1.

2 - انظر البيت في الجني الداني في حروف المعاني للمراي 59.

3 - نفسه. المصدر.

4 - نفسه:

وانهما كما في الفساد وقماديا في الغي.... ثم يأخذهم الله دفعة واحدة على غرقهم أغفل ما يكون" (1) وهو شرح يجعلنا نستنتج أم حدود "سنستدرجهم" الزمنية لا تتعدى المستقبل القريب.

ومن دلالتها على الزمن البعيد نسبيا قوله تعالى : «الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم بعد غلبهم سينغلبون في بضع سنين» (الروم 30/1,2,3) وقد جعل المفسرون المدى الزمني للسنين في هذه الآية يمتد الى تسع سنوات أو سبع سنوات في روايات أخرى إذ يروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شرح "يضع" في الآية وحددها بتسع سنوات ولكن الروم ظهر وعلى فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين (2) أي أن الغلبة للروم كانت بعد سنين وهو ما يحملنا على القول أن زمن "سيغلبون" في الآية هو زمن استقبالي متوسط المدى ومن الآيات التي جاءت فيها السين دالة على المستقبل البعيد قوله تعالى : «سأرهقه صعودا» (المذثر 74/26) لأن زمن الفعل انتقل في هذه الآية الى زمن الدار الآخرة لأن معنى (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد، وهو مثل لما يلقي الكافر من العذاب الشاق الذي لا يطاق و قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يشرح هذه الآية "يكلف أن يصعد عقبة في النار، كلما وضع عليها يده ذابت، فاذا رفعها عادت أو اذا وضع رجله ذابت، فاذا رفعها عادت" وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود : جبل من نار يصعد فيه سبعين خريف، ثم يهوي فيه كذلك أبدا (3) وهي شروح تبين كلها أن حدث الفعل (سأرهقه) يكون في الدار الآخرة وهو زمن استقبالي بعيد.

وقد تأتي السين مع الفعل المضارع للدلالة على الزمن الماضي وهو اختبار القرطبي الذي ذهب الى أن السين قلبت معنى المضارع الى الماضي في قوله

1 - التفسير الكبير للفخر الرازي 73/15.

2 - الكشاف 214/3 وأسباب النزول للنسابةوري 258-259.

3 - انظر شرح الآية والحديثين في الكشاف 182/4 وانظر البحر المحيط 375/8.

تعالى : «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها» (البقرة/2/142).

قال : سيقول بمعنى قال "جعل المستقبل موضوع الماضي، دلالة على استدامة ذلك وأنهم يستقرون على ذلك القول.(1) وقد عرض الرازي قولين في شرح (سيقول) : القول الأول وهو مسابير لرأي القرطبي. اذ يرى أن هذا اللفظ وان كان المستقبل ظاهرا، لكنه قد يستعمل في الماضي أيضا. مثل ذلك كمثّل رجل يعمل عملا فيقطع فيه بعض أعدائه، فيقول : أنا أعلم أنهم سيطعنون عليّ فيما فعلت أي أن هذا الفعل أصبح في حكم العادة، فاذا ذكره مرة فسيذكرونه بعد ذلك مرة أخرى. وعلى هذا التأويل يصح أن يقال : سيقول السفهاء من الناس ذلك وقد وردت الأخبار أنهم لما قالوا ذلك نزلت الآية القول الثاني : ان الله تعالى، أخبر عنهم قبل أن ذكروا هذا الكلام أنهم سيذكرونه وبهذا التفسير يبقى الفعل المضارع على أصله دالا على المستقبل. وفائدة هذا الرأي فيما يقول الرازي أنه عليه الصلاة والسلام اذا أخبر عن ذلك قبل وقوعه، كان هذا اخبار عن الغيب فيكون معجزا(2) لأن الكفار قالوا هذا الكلام فعلا.

ولا يفهم من هذا التحليل أن السين قد فقدت دلالتها الزمنية الخاصة بالاستقبال. ذلك أن السياق الذي ترد فيه الآية هو الذي يضيف عليها دلالة زمنية تنسجم مع المعنى العام للموضوع المتحدث عنه.

من ذلك مثلا أننا نجد السين تقع في معنى الماضي عندما ترد مع الفعل المضارع في أسلوب قصصي. ففي قوله تعالى : «قالوا سراود عنه أباه وأنا لفاعلون» (يوسف/61/12). نجد أن "سراود" دالة على المستقبل بالنسبة لزمن القول، ولكنها ماضية بالنسبة لزمن القص. فقد راودوا أباهم فعلا (وهو حدث

1 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 147/2.

2 - التفسير الكبير للفخر الرازي 91/4.

وتمّ قبل نزول القرآن بقرون كثيرة).

أما "سوف"، فيتفق النحاة على أنها لا تكاد تختلف عن السين من حيث الدلالة الزمنية⁽¹⁾ "إلا أن سوف أوسع زماناً من السين نظراً إلى أن كثرة الحروف على كثرة المعاني⁽²⁾ وقد رأينا أن السين تدل على الزمن القريب والبعيد في القرآن وسنرى -في القرآن كذلك- أن سوف تدل على الزمن القريب في بعض المواضع وتدل على الزمن البعيد في مواضع أخرى، أي أنها لا تختلف عن السين ومن الدلائل التي تبين أن سوف ليست خاصة بالمستقبل البعيد أن المفسرين لم يتفقوا على المدى الزمني الذي تشير إليه سوف في قول الله تعالى على لسان سيدنا يعقوب : «قال سوف أستغفر لكم ربي» (يوسف 98/12).

فقد قالوا : ان قوله (سوف أستغفر لكم) عدة لهم بالاستغفار بسوف وعن ابن مسعود أنه أخر الاستغفار لهم إلى السحر، كأن سوف -على هذا الرأي- جاءت للزمن القريب وعن ابن عباس أنه أخر الاستغفار إلى ليلة الجمعة، أو إلى سحرها وفي كل هذه الشروح تكون "سوف" للزمن القريب ولكن هناك شروح تجعل سوف في هذه الآية للزمن البعيد منها أنه أخرهم ليعلم حالهم في صدق التوبة وإخلاصها. ومنها أنه أراد الدوام على الاستغفار إلى أن يحصل الغفران بقوله أنه هو الغفور الرحيم⁽³⁾ وهكذا نجد أن المدى الزمني لسوف يحتمل مقادير زمنية مما يبين أن سوف في القرآن لم تتقيد بدلالة واحدة.

وقد اشتركت "سوف" مع السين للدلالة على معنى زمني واحد في القرآن بحيث أصبح الفعل بعدها يدل على زمن دنيوي يمكن أن يحدث بعد مدة قصيرة. وذلك في قوله تعالى : (قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه

1 - الجنى الداني في حروف المعاني 458-459.

2 - معني اللبيب لابن هشام 139/1.

3 - انظر هذه الآراء في البحر المحيط لأبي حيان 346/5.

فيعذبه عذاباً.....

وسنقول له من أمرنا يسرا) : أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل
الميسر" (1) وبهذا الشرح يمكن أن نعرف أن الفعلين بعد السين وسوف يدلان
كلاهما على زمن دنيوي قريب.

نون التوكيد والدلالة على الاستقبال

يجمع النحاة على أن نون التوكيد خفيفة وثقيلة حرف يصرف المضارع
للاستقبال ويمنعه من الدلالة على الحال. لأنهما (نوني التوكيد) يليقيان بما لم
يحصل (2) قال المرادي "وأما المضارع، فإن كان حالاً لم تدخل النون عليه، وإن
كان مستقبلاً أكد بها وجوباً إذا وقع جواب قسم بأربعة شروط (3)... " وقد
ذهب البصريون إلى أن الخفيفة والثقيلة أصلان لتخالف بعض أحكامهما، ولأن
التوكيد بالثقيلة أشد... ومذهب الكوفيين أن الخفيفة فرع الثقيلة (4) وقد
اجتمعتا في قوله تعالى : "وان لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من
الصاغرين" (يوسف 32/12).

وقد جاءت نون التوكيد دالة على المستقبل القريب في قوله تعالى : «وتفقد
الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذاباً شديداً أو
لأذبحنّه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به
وجئتك من سبأ نبأً يقين» (النحل 20/27-22).

اذ نفهم من سياق سرد قصة سيدنا سليمان عليه السلام أن الأفعال

1 - التفسير الكبير للرازي 168/21.

2 - انظر الخصائص لابن جني 83/3 والمقتضب للبرد 11/3 والتسهيل 216.

3 - الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 142,141.

4 - الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الابياري المسألة الرابعة
والسعمون 653-650/2.

المضارعة المؤكدة. النون في الآية دلت على مستقبل قريب مباشر.

اذ ما هي الا فترة مضت بعد توعد سيدنا سليمان الهدهد جتى جاء من سبأ
بنبأ يقين أما أن الأفعال المضارعة المؤكدة في الآية دالة على الاستقبال القريب
فلأن مدة غياب الهدهد كانت قصيرة قال الرازي وهو يشرح هذه الآية : "أما
قوله اذ مكث غير بعيد كقولك عن قريب، ووضف مكثه بقصر المدة للدلالة
على اسرعه خوفا من سليمان، وليعلم كيف كان الطير مسخرا له" (1)

كما جاءت نون التوكيد دالة على الزمن البعيد في قوله تعالى : « كلا
لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة » (الهمزة 4/104-6).

ونفهم من الفعل لينبذن أنه يشير الى زمن يوم القيامة اذ يمكن أن يقال في
غير القرآن : (سوف ينبذ) لأن المراد بالحطمة : هي النار التي من شأنها أن
تحطم كل ما يلقى فيها "أو هي الدرك الثاني" أو هي باب من أبواب جهنم (2)
فان معنى الحطمة ينقل معنى الفعل ينبذن الى زمن يوم القيامة، وهو زمن
بعيد.

وجاءت النون الخفيفة كذلك دالة على الزمن البعيد في قوله تعالى : « كلا
لئن لم ينته لنسفنا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة » (العلق 96/15-16). فقد
شرح المفسرون هذه الآية بما يدل على أن الفعل المضارع المؤكد (لنسفنا) يدل
على زمن يوم القيامة أو قد نزلت الآية لردع أبي جهل ومن طبقته عن نهى
عباد الله عن عبادة الله وأنه ان لم ينته عما هو فيه سيأخذه الله بالناصية
سجبا الى النار (3) (يوم القيامة) وقد جاءت نون التوكيد بعد المضارع
المسبوق بـ"لا" الناهية في آيات كثيرة (نحو 40 مرة) ولكننا نرى أن دلالة

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 89/24-190.

2 - البحر المحيط لأبي حيان 510/8.

3 - المصدر نفسه 494/8.

لمضارع على المستقبل ناتجة عن لا الناهية وليست من تبعات نون التوكيد وتكون وظيفة النون في هذه الحالة توكيد النهي عن الفعل فيما يستقبل من الزمان ومن ذلك قوله تعالى : « يا بني آدم لا يفتننك الشيطان » (الاعراف/27). (7).

وقوله تعالى : « فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا » (الكهف/70/18).

"قد" ودلالاتها الزمنية مع الصيغ الفعلية :

"قد" الحرفية تختص بالفعل، وتدخل على الماضي بشرط أن يكون متصرفا، وعلى المضارع بشرط تجرده من جازم، وناصب، وحرف تنفيس. ولها دلالات زمنية مختلفة مع الفعل الماضي والفعل المضارع (1).

فهي تفيد مع فعل، الماضي القريب من الحال أو معنى التوقع في مثل قول المؤذن (قد قامت الصلاة) كما تفيد التحقيق، والماضي المطلق في نحو قوله تعالى : « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل » (النساء/164/4). وهي تفيد التوقع في المستقبل غالبا مع المضارع، وقد تفيد الماضي على نحو ما سنرى (2).

وقد دلت "قد" على الماضي القريب من الحال في قوله تعالى : « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله » (المجادلة/1/58). فقد جاءت للتوقيع وإفادة الماضي القريب من الحال لأن سياق الآية يدل على ذلك. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها سبحان من وسع سمعه الأصوات. كان بعض كلام خولة يخفي عليّ.

1 - الجنى الداني في حروف المعاني للمراي 254-259.

2 - المصدر نفسه وانظر الفصلين اللذان خصصناهما لزمان الفعل عند النحاة و زمن الفعل عند المفسرين.

وسمع الله جدالها(1). وكان عمر رضي الله عنه يكرم خولة اذا دخلت عليه
ويقول : قد سمع الله لها(2) قال الزمخشري : ومعنى "قد" التوقع لأنه صلى
الله عليه وسلم والمجادلة كانا متوقعين أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل
في ذلك ما يفرج عنها(3) وخلاصة القول أن التركيب قد سمع، دل على
الماضي القريب جدا من الحال لا تفصله عنه إلا حيز زمني بسيط واقع بين سماع
الله تعالى قول المجادلة وبين مخاطبته رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
دلالات "قد فعل" على الماضي القريب، قوله تعالى : « قالوا وما لنا ألا نقاتل
في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا»(البقرة2/146).

ومن دلالات "قد فعل" على المستقبل، قوله تعالى : « قد افترينا على الله
كذبا إن عدنا في ملتكم»(الاعراف7/89).

إذ يجعل العبري : "قد افترينا" للاستقبال لوقوعها في أسلوب
شرطي(4) كما جاءت "قد فعل" في سياق دال على الاستقبال وذلك في قوله
تعالى « فهل ينظرون الى الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها»(محمد/18
47). إذا المراد بالأشراط علامات يوم القيامة وبذلك يكون معنى قد جاء
أشراطها، ستأتي علاماتها(5) جاء التعبير بالماضي لتصوير الفعل وكأنه واقع
لا محالة وهو تعبير قرآني مطرد في كثير من الايات.

وقد جاءت "قد فعل" في سياق سرد قصص الأنبياء أو أخبر الأولين فدللت
على زمن ماض بعيد غالبا، وذلك في نحو قوله تعالى : « أم يحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب

1 - البحر المحيط 232/8.

2 - المصدر نفسه.

3 - الكشاف 70-96/4.

4 - املاء ما من به الرحمن لأبي البقاء العكبري 62/1.

5 - الكشاف 553/3 والبحر 80/8.

والحكمة»(النساء4/54) ومن قوله تعالى : «يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكثر من ذلك»(البقرة4/153) وقوله عز وجل : «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم»(الانعام6/4-5) وقوله تعالى : «قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله»(يونس10/16).

كما جاءت "قد فعل" للدلالة على الزمن العام، وهذا عندما تكون جوابا للشرط. من ذلك قوله تعالى : «ومن يأت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا»(البقرة2/269).

وقوله تعالى : «ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم»(آل عمران3/101).

وقوله عز وجل : «ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما»(النساء4/48).

وقوله سبحانه وتعالى : «من يطع الرسول فقد أطاع الله»(النساء4/80).

وقوله عز وجل : «ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتاننا واثما مبينا»(النساء4/112).

وقوله تعالى : «ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا»(النساء4/119).

"قد" مع الفعل المضارع "قد يفعل"

من دلالات "قد يفعل" في القرآن الكريم تحقق الفعل في الماضي في نحو قوله تعالى : «يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنني رسول الله إليكم»(الصف6/5). اذ جاءت (قد تعلمون) بمعنى قد علمتم.. وفي البحر: (وقد تدل على التحقق في الماضي، والتحقق في المضارع؛ والمضارع هنا، معناه

المضي أي وقد علمتم.... وعبر عنه بالمضارع ليدل على استصحاب الحال(1) ومنها قوله تعالى : «ألا إن الله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه»(النور64/24).

وقوله تعالى : «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها»(البقرة144/2).

حيث نجد أن "قد يعلم" في الآية الأولى "قد نرى تقلب وجهك" في الآية الثانية جاءتا بمعنى قد علم وقد رأينا(2).

قد يتفق المفسرون أن "قد" تصرف المضارع الى الماضي في بعض المواضع(3) منها الايات التي ذكرناها. ومنها قوله تعالى : «قد نعلم أنه ليجزئك الذي يقولون»(الأنعام33/6).

وقوله تعالى : «ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون»(الحجر97/15).

وقوله عز وجل : «قد يعلم الله المعوقين منكم»(الاحزاب18/33).

لها التعليقية الحينية

يذهب النحاة في "لما" هذه مذهبين : أحدهما : أنها حرف وهو مذهب سيبويه، والثاني أنها ظرف بمعنى حين، وهو مذهب علي الفارسي وبعض المتأخرين من النحاة(5).

1 - البحر 262/8.

2 - المصدر نفسه.

3 - انظر المصدر السابق 262/8, 428-427/1, 111-110/4. وانظر املاء ما من به الرحمن لأبي البقاء العكبري 40/1 ودراسات لأسلوب القرآن الكريم القسم الأول، الجزء الثاني 307-39 للأستاذ عبدالحالق عضية.

5 - انظر الخصائص لابن جني 253/2 و222/3 وانظر الجني الثاني في حروف المعاني 594 وما بعدها.

وقد جمع ابن مالك بين المذهبين في التسهيل، فقال : اذا ولي "لما" فعل ماض لفظا ومعنى، فهي ظرف بمعنى "اذا" (1).

وقد حدد النحاة زمن الفعل الذي يلي "لما" في اطار الماضي فقط، قال المرادي : "واعلم أن لما هذه لا يليها الا فعل ماض مثبت أو منفي بـ "لم" وقد تزداد "أن" بعدها، قوله تعالى : «فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا» (يوسف/96).

فهي مختصة بالماضي وتتقضي جملتين، وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما. وعندما ندرس المواقع الزمنية لـ :لما" نجد أنها لا يليها الا ماض لفظا ومعنى. ومن ذلك قوله تعالى : « فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون» (الاعراف/135/7). اذ يبين سياق الآية أن الفعل "كشف" جاء للماضي لفظا ومعنى.. وعندما يشرح أبوحيان هذه الآية، فانه يفسرها في سياق الماضي، قال فلما كشفنا عنهم العذاب المقرر عليهم الى أجل فاجأوا بالنكث..... ولكن لما كشف عنهم انتهوا(2).

منها كذلك قوله تعالى : «دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق» (يونس/22,23).

فسياق الآية يسن كذلك أن "لما أنجاهم" للماضي فقد جاءت الآية خطابا "لأولئك الذين أنجاهم الله وبغوا" (3).

وقد جاءت "لما" كذلك للماضي في قوله تعالى«فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط» (هود/47/11). لأن معنى الآية عند

1 - التسهيل لابن مالك 241.

2 - البحر 374/4-375.

3 - البحر المحيط لأبي حيان 140/5.

المفسرين : "لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة" (1) و "يجادلنا" افما جيء به مضارعا لحكاية الحال لأن "لما" ترد المضارع الى معنى الماض كما ترد "ان" الماضي الى معنى الاستقبال(2).

ومن الآيات التي جاء فيها الفعل التالي لـ"لما" ماضيا لفظا ومعنى قوله تعالى : « فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية » (النساء، 77/4).

وقوله عز وجل : « فلما أحسوا بأسنا اذا هم منهما يركضون » (الأنبياء، 12/21).

وقوله تعالى : « ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون » (الزخرف، 57/43).

ومنه قوله تعالى : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجُبِّ » (يوسف، 15/12).

ومنه كذلك قوله تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » (البقرة، 89/2).

"اذ فعل" "اذ يفعل"

"اذ" يتفق النحاة على أنها ظرف لما مضى من الزمن وتستعمل أربعة استعمالات.

أحدهما : أن تكون ظرفا نحو : « إلا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا » (التوبة، 16/9).

1 - الكشاف 282/2.

2 - المصدر نفسه.

ثانيهما : أن تكون مفعولا به نحو : «واذكروا اذ كنتم قليلا فكثرت» (الاعراف/86/7).

ثالثهما : أن يكون بدلا من المفعول نحو : «واذكروا في الكتاب مريم اذا انتبذت» (مريم/16/19).

رابعهما : أن يكون مضافا اليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه نحو : يومئذ وحينئذ(1). وغالبا ما تأتي اذ مدرجة في سياق قصصي في القرآن الكريم وفي أوائل سور القصص فيه على الخصوص لذلك جاءت في آيات كثيرة دالة على الزمن الماضي. وان دلت على غير الماضي في آيات أخرى على نحوي ما سنرى.

فمن الآيات التي دلت فيها : "اذ فعل" على الماضي قوله تعالى : «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قريا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر» (المائدة/27/5).

فليس يخفى ان "قريا" دلت على الماضي البعيد وهو ماض يرقى الى زمن ابني آدم قابيل وهابيل. لذلك يجعل صاحب الكشاف جملة اذ قريا بدلا من النبأ. أي "أقل عليهم النبأ، نبأ ذلك الوقت"(2)، نبأ إقدام قابيل على (قتل النفس التي حرم الله قتلها حيث كان أول من سن القتل، وكان عليه وزره، ووزر من عمل به الى يوم القيامة(3)).

ومن الآيات التي جاءت فيها "اذ فعل" واضحة الدلالة على الماضي قوله تعالى : «إذ قال يوسف لأبيه إني رأيت أحد عشر كوكبة والشمس والقمر

1 - انظر معنى اللبيب لابن هشام 80/1 وما بعدها والجني الداني في حروف المعاني للمراي 185 وما بعدها، والاتقان 147/1.

2 - الكشاف 606/1.

3 - البحر المحيط لأبي حيان 460/3.

رأيتهم لي ساجدين» (يوسف 2/12).

ونحو قوله تعالى في سورة نفسها : «قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه» (يوسف 51/12).

ومنه قوله تعالى : «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا اذ أوى الفتنة الى الكهف» (الكهف 10/18).

وقوله عز وجل : «كفهيصص ذكر رحمة ربك عبده زكرياء اذ نادى ربه نداء خفيا» (مريم 1/19-3).

وقوله سبحانه وتعالى : «واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا» (الكهف 16/19).

ومنه كذلك قوله تعالى : «واذ نادى ربك موسى أن ايت القوم الظالمين قوم فرعون» (الشعراء 10/26).

وقوله تعالى : «ومن يرعب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين، إذ قال ربه "أسلم" قال أسلمت لرب العالمين» (البقرة 2/130-131). ومنه قوله تعالى : «واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة» (البقرة 2/30).

وقوله تعالى : «وإن من شيعته لابراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم واذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون» (الصافات 37/83-85).

ومنه قوله تعالى : «اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل» (المائدة 5/110).

وقد دلت "اذ فعل" على المستقبل في قوله تعالى : «ولو ترى اذ وقفوا على

النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا» (الانعام 27/6)

إذ نجد أن "اذ وقفوا" تدل على الاستقبال البعيد الذي يمتد الى زمن الدار الآخرة. وبذلك تكون "وقفوا" ماضيا لفظا مستقبلا معنى وانما جاء كذلك تقريبا للأمر وتنزيل المستقبل منزلة الماضي "لأن الشيء كائن، وان لم يكن بعد ذلك عند الله جل ثنائه قد كان، لأن علمه به سابق، وقضائه به نافذ فهو كائن لا محالة (1). وقيل : (ترى) باقية على استقبالها، و (اذ)معناه اذا، فهو ظرف مستقبل (2) ويكون المعنى الزمني لـ : "واذ وقفوا" : حين يقفون. ومنه قوله تعالى : «ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب» (سبأ 51/34).

لأن اذ فزعوا للاستقبال البعيد اذ جاءت في سياق يصور ما سيكون يوم القيامة. قال الكشاف : "ولو" و "اذ" والافعال التي هي فزعوا وأخذوا، وحيل بينهم جلها للمضي، والمراد بها الاستقبال لأن ما الله فاعلة في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع : وقت البعث، وقيام الساعة (3) ومن ذلك قوله تعالى : «اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب» (البقرة 2/166).

ومن المواضع التي جاءت فيها "اذ فعل" قابلة للدلالة على الماضي والمستقبل معا قوله تعالى : «واذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا» (المائدة 20/5). اذ يرى أبو حيان أن "جعل" هنا لا يراد بها حقيقة الماضي "اذ أن بعض الانبياء كان قد ظهر عند خطاب موسى اياهم، وبعضهم لم يكن قد خلق بعد (4).

1 - انظر الصحابي 111-112.

2 - البحر المحيط لأبي حيان 101/4.

3 - الكشاف 296/3.

4 - البحر المحيط لأبي حيان 452/3.

اما "اذ فعل" فقد دلت في الغالب -هي كذلك- على الماضي على الرغم من أنها على صيغة المضارع، أي أن "اذ" تصرف المضارع الى الماضي.

وهذه أمثلة من آيات جاءت فيها "اذ يفعل" دالة على الماضي وهي قوله تعالى : «واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تُكلم الناس في المهد وكهلا، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهينة الطير..... واذ تخرج الموتى بإذني.....» (المائدة/110-111).

فإن "اذ تخلق" و "اذ تخرج" دلت على الزمن الماضي من وجهين :

الوجه الأول : أنها جاءت في سياق سرد أخبار سيدنا عيسى عليه السلام.

الوجه الثاني : أنها جاءت معطوفة على فعلين ماضيين لفظا ومعنى وهما "أيدك" "علمتك" (1).

ومنها كذلك قوله تعالى : « إذ تستغشون ريكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين» (الانفال9/8). اذ جاء الفعل الماضي لفظا ومعنى معطوفا على الفعل المضارع "اذ تستغشون" فدل على مضيئه، فيما أن الاستجابة التي هي تالية في الزمن لـ : "تستغشون" قد حدثت وأثبتت فعلا ماضيا حقيقة، فبالاحرى أن يكون الفعل "تستغشون" قد جاء بمعنى الماضي كذلك.

ومن أمثلة ورود "اذ يفعل" في سياق الماضي قوله تعالى : «واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يغدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا» (الاعراف/163/7) حيث دلت "اذ يغدون" "اذ تأتيهم" على الزمن الماضي. قال أبوحيان وهو يشرح الآية ويرد على ما جعل "اذ" متعلقة بـ :

"أسألهم" و "لا يتصور" (أي لا يجوز هذا الرأي)، لأن اذ ظرف لما مضى،
وسلهم مستقبل ولو كان ظرفا مستقبلا لم يصح المعنى، لأن الغادين وهم أهل
القرية مفقودون، فلا يمكن سؤالهم(1). الى أن يقولوا وهو يشرح المعنى الزمن
ل : "يغدون" و "تأتيهم" : أي عدوان اذ في السبت اذ آتيهم" (2) ومؤدي رأي
أبي حيان أن الخطاب في "أسألهم" موجه الى من هم بحضرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اليهود الذي أنكروا أن يكون لبني اسرائيل عصيان بينما
تدل "اذ" على ما مضى من الزمن فلا يمكن أن تتعلق "اذ" بـ اسألهم لانعدام
المناسبة الزمنية أي أن الفعلين المضارعين الواردين في الآية وهما "اذ يعدون" و
"اذ تأتيهم" يدلان على زمن مضى وانقضى منذ مدة طويلة.

وهذه أمثلة من الايات التي جاءت فيها "اذ يفعل" دالة على الزمن الماضي،
قوله تعالى : «ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون
فيه»(3)(يونس61/10).

«وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرت»(الانبياء78/21). وقوله : «قل هل
يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعوكم أو يضرون، قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك
يفعلون»(الشعراء72/26-74).

ومنه كذلك قوله تعالى : «تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب
العالمين»(الشعراء97/26-98).

وقوله تعالى : «لقد رضي الله على المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما
في قلوبهم»(الفتح18/48).

وقد دلت "اذ يفعل" كذلك على ما يستقبل من الزمان. وهذا على الرغم من

1 - البحر المحيط لأبي حيان 410/4.

2 - المصدر نفسه 411/4

3 - يشرح صاحب البحر : (141/5) اذ تفيضون بـ. اذ أفضتم.

أن النحاة يجعلونها خالصة للمضي. ومن ذلك قوله تعالى : «واذ يتحاجون في النار»(غافر40/47). اذ أن يساق الآية بين أن المحاجة تتم في الدار الآخرة أي فيما تستقبل من الزمان البعيد(1).

ومن ذلك قوله تعالى : «ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأنَّ الله شديد العذاب». واذا تبدوا دلالة "اذ يرى" على الاستقبال واضحة، لا لبس فيها ومعناها الزمني عند المفسرين.

"ولو يرى الذين ظلموا يوم القيامة اذ يرون العذاب حين تخرج اليهم من مسيرة خمسمائة عام"(2). وقال في الكشاف : "لو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله..... ويعملون شدة عقابه للظالمين اذ عاينوا العذاب يوم القيامة فكان مالا يدخل تحت الوصف...."(3).

منا دلت على الزمن العام في قوله تعالى : «اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد»(ق17/50).

لأن "اذ يتلقى" جاءت في الآية دالة على جميع الأزمنة التي يعيشها ابن آدم ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها : فالمتلقيان هما الملكان اللذان يسجلان كل ما يتلفظ به الانسان في كل زمان(4) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ان مقعد ملكيك على ثُنَيْتَيْكَ، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يفيدك، لا تستحي من الله، تعالى، ولا منهما". فكان "اذ" هنا صرفها السياق عن دلالتها الزمنية الاصلية (الماضي الغالب). وجعلها تدل على الزمن العام.

1 - انظر شرح الاية في البحر المحيط لأبي حيان 468/7-469.

2 - البحر 472/1-473.

3 - الكشاف للزمخشري 326/1.

4 - الكشاف 6/4-5 المصدر نفسه.

وقد جاءت "اذ" بمعنى الشرط في قوله تعالى : «أأشفقتم أن تقدموا بين
نحواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة» (المجادلة13/58).

قال الرضي : أما قوله تعالى : « فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم) فالإجراء
الظرف مجرى كلمة الشرط(1) وغالبا ما يأتي الشرط للدلالة على زمن عام
غير مختص بمرحلة معينة ونحن عندما نتأمل الفعل "فأذ لم تفعلوا" نجد أنه
ينطلق من الزمن الماضي الى المستقبل وذلك لوجود "لم" التي تدل على الماضي
دائما، وفعل الأمر الدال على الاستقبال.

لذلك قال الرضي وهو يدرس مثل هذه التراكيب : حتى كأن هذه الأفعال
المستقبلية وقعت في الأزمنة الماضية(2).

ونجد أن المفسرين عندما أرادوا شرح الآية، جعلوا "اذ لم تفعلوا" تحتل
الماضي، كما تحتل الاستقبال، والعبارة التي تدل على عموم زمن هذا الفعل هو
قول المفسرين في شرح الآية : "أنكم اذا كنتم تائبين راجعين الى الله وأقمتم
الصلاة وآتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف"(3).

**الدلالة الزمنية لـ"فعل" - "تفعل" مع "أن" الناصبة للفعل
المضارع :**

يعد النحاة "أن" المصدرية الناصبة للفعل المضارع أم حروف النصب وهي
توصل بالفعل المضارع المتصرف، كما توصل بالفعل الماضي(4).

1 - انظر شرح الرضي على الكافية 399/2.

2 - المصدر نفسه.

3 - انظر التفسير الكبير للامام الرازي 272/29.

4 - انظر الجنبي الداني في حروف المعاني للمرادي 216-217 والاتقان 156-155/1 ومعنى

اللبيب 27/1 وما بعدها.

فمثال دخولها على المضارع ونصبه قوله تعالى : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » (القصص 82/28). ومثال دخولها على الماضي قوله تعالى : لولا أن من الله علينا لخسف بنا ».

وقد تبين لنا ونحن ندرس "أن فعل" في مواطن عدة في القرآن، أن هذا التركيب يدل على الماضي لفظا ومعنى، ومن ذلك قوله تعالى : « يمينون عليك أن أسلموا » (الحجرات 17/49).

فالتركيب "أن أسلموا" وإن جاء تاليا للفعل المضارع "يمينون" فإنه جاء في سياق اخباري دل على حدث مضي وانقضى أثره. يقول صاحب الكشف وهو يشرح هذه الآية ويبرز الجوانب البلاغية الزمنية فيها "وسياق الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الأعراب قد سماه الله اسلاما، وقضى أن يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة أن هؤلاء يعتدون عليكم بما ليس جديرا بالاعتداء به من حدقهم الذي حق تسميته أن يقال له اسلام" (1) وهو شرح يبين أن فعلي المنّ وزعمهم الاسلام قد حدثا فيما مضى من الزمن. ذلك ما بيّنه سياق الآية وتبرزه الآيات السابقة في قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » (الحجرات/14) (49).

ومن الآيات التي جاء فيها "أن تفعل" دالة على الماضي لفظا ومعنى، قوله تعالى : « ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ » (هود 69/11) حيث أن مضي "أن لبث" لا يحتاج الى بيان، فهو وارد في سياق قصصياخباري" وقد شرح أبوحيان هذا التركيب بما يدل على

أنه ماض : فقال : لبث معناه تأخر وأبطأ(1) ويكون معنى ما لبث أن جاء :
ما تأخر أن جاء بعجل حنيذ "كأنك" قلت : فما أبطأ عن مجيئه بعجل.(2)
ومن تلك الآيات كذلك قوله تعالى : «وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني
اسرائيل»(الشعراء11/26).

وقوله تعالى : «ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات
الله»(الروم10/30).

وقوله عز وجل : «أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم»(الاعراف69/7).

وقوله سبحانه وتعالى : «ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوركم على المسجد
الحرام أن تعتدوا»(المائدة2/5).

ومنه كذلك قوله تعالى : «ما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من
فضله»(التوبة74/9).

وقوله عز وجل : «وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها
الأولون»(الاسراء59/17).

وقوله عز وجل : «عبس وتولى أن جاءه الأعمى»(عبس1-80).

وقوله سبحانه : «ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله
الملك»(البقرة258/2).

أما "أن" الناصبة للفعل المضارع، ففيها ألوان زمنية مختلفة في القرآن
على الرغم من أن النحاة يجعلونها تدل بالاصالة والتغليب على المستقبل

1 - البحر 241/5.

2 - معاني القرآن 21/2.

فهي تأتي في سياق ماضٍ عندما تلي فعلا ماضيا لفظا ومعنى.

ومن ذلك قوله تعالى : « فأراد أن يستفزه من الأرض فأغرقتاه ومن معه جميعا » (الاسراء 103/17).

حيث نجد أن " أن يستفزه " تدل على زمن مضى وانقطع أثره نظرا لوجود قرائن لفظية ومعنوية فهو واقع في سياق سرد أخبار سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وهي أحداث بعيدة المضي.

وقد جاء بعد ماضٍ لفظا ومعنى هو قوله تعالى : " فأراد " ثم انه قد ترتب عليه فعل آخر ماضٍ لفظا ومعنى هو قوله تعالى : فأغرقتاه " وهو فعل يدل على أن ارادة الاستفزاز من فرعون قد حدثت قبل اغراقهم. إذ الفاء للترتيب.

ومن الايات التي جاءت متشابهة للاية السابقة في الدلالة الزمنية والتركيب قوله تعالى : « فأراد ربك أن يبلغها أشدها ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » (الكهف 82/18).

وقوله تعالى : « فلما أن أراد أن يبطش بالذي عو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس » (القصص 19/28).

وقوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يسطروا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم » (المائدة 11/5).

ومنه قوله تعالى : « اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما » (آل عمران 122/3).

حيث نجد أن " أن يفعل " في كل هذه الآيات جاءت دالة على مستقبل أحداث ماضية ولكنها في حد ذاتها أفعال ماضية بالنسبة لزماننا أي أنها مركبات تدل

على مستقبل الماضي المتحدث عنه وماضي الحاضر الذي نعيشه.

وهي تدل على المستقبل في آيات كثيرة منها قوله تعالى : « لا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله » (البقرة 282/2).

حيث جاءت "أن تكتبوه" في سياق نهى والنهي بصرف ما بعده للاستقبال. قال أبوحيان: "لما نهى عن امتناع الشهود اذا ما دعوا للشهادة، نهى أيضا عن السامة في كتابة الدين" (1).

ومنه قوله تعالى : « ولا يأب كاتب أن يكتب » (البقرة 282/2) حيث جاء "أن يكتبوه" في سياق نهى دال على استقبال كذلك.

وقد جاءت "أن يفعل" دالة على المستقبل البعيد في قوله تعالى : « والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » (الشعراء 82/26).

حيث ذلت القرينة "يوم الدين" على أن التركيب "أن يغفر" مصروف الى المستقبل البعيد وزمن يوم القيامة ومن ذلك قوله تعالى : « قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلاوية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال » (ابراهيم 31/14).

حيث انصرف التركيب "أن يأتي" الى المستقبل البعيد بفضل القرينة "يوم" التي يراد بها يوم القيامة وقوله تعالى : « فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون » (الروم 43/30). فقد دلت "أن يأتي" في الآية على المستقبل البعيد الذي يمضي الى زمن يوم القيامة. قال أبوحيان وهو يشرح هذه الآية "من قبل أن يأتي يوم القيامة، وفيه تحذير يعم الناس" (2).

1 - البحر 350/2.

2 - المصدر نفسه 176/7.

والمعنى عنده : "من قبل أن يأتي يوم من الله لا يرده أحد" (3).

وقد جاءت "أن مثلوه" بـ "لن يفعل"، فانصرفت الى المستقبل المنفي وذلك قوله تعالى : «من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيظه ما يغيظ» (الحج 15/22).

وقوله تعالى : «بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهلهم أبدا» (الفتح 12/48).

وقوله عز وجل : «أيحسب أن لن يقدر عليه أحد» (البلد 7/90).

كما وردت "أن يفعل" في آيات كثيرة دالة على الزمن العام الذي يحتمل الأزمنة الثلاثة : من ذلك قوله تعالى : «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» (البقرة 177/2).

فقد تبين لنا ونحن ندرس الآية في السياق التي وردت فيه مستأنسين بشروح المفسرين لها. أن "أن تولوا" جاءت لعموم الزمان ولم تأت لتخص زمنا بعينه ودليلنا في ذلك قوله تعالى بعد ذلك (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) اذ لا خلاف في أن "من" تأتي للتعميم في الزمان والمكان أي أنها تدل على تعميم حكم الجملة بعدها ومثل ذلك كثير في القرآن منه قوله تعالى : «من عمل صالحا فلنفسه ومن ساء فعليها» (فصلت 46/41). وقوله عز وجل : «من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب» (غافر 40/40). وقد اختلف العلماء في أن الخطاب في "أن تولوا" دال على العموم أو على الخصوص. فقال بعضهم : المقصودون في الخطاب هم أهل الكتاب لما أصروا على التوجه نحو بيت المقدس.

فقال تعالى : « ليس البر بهذه الطريقة ولكن البر من آمن بالله »(1).

وقال بعضهم : المراد مخاطبة المؤمنين لما ظنوا أنهم نالوا البغية بالتوجه الى الكعبة فخطبوا بهذا الكلام. وقال بعضهم : بل هو خطاب للكل، حيث ظن بعضهم أن الفرض الأكبر في الدين هو الاغتباط بهذه القبلة. فبعث الله تعالى بهذا الخطاب المتضمن اسفاء جميع العبادات والطاعات. وبين أن البر ليس بأن تولوا وجوهكم شرقا و غربا، وإنما البر كيت، وكيت. "فكأنه تعالى قال : ليس البر المطلوب هو أمر القبلة بل البر المطلوب هذه الخصال التي عدها(2).

وعمومية زمن الفعل "أن تولو" هو الذي يرجحه العلماء. وهذا باعتبار أن كل مسلم في أي زمان ومكان يجب أن يعرف أنه معني بهذا الخطاب وليس في "حل" مما جاء في الآية بوجود الايمان بالله واليوم الآخر وعدم الاكتفاء بالتوجه الى المشرق والمغرب.

وقد وجد المفسرون أن "أن" مع الفعل قد وردت في آيات كثيرة لا يتعين فيها الزمن بل تبقى دالة على الازل. في نحو قوله تعالى : «انما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون»(النحل/40/16).

لأن قوله تعالى : "إذا أردنا منزلة مراد، ولكنه أتى بهذه الألفاظ المستأنفة بحسب أن الموجودات تجيء، وتظهر شئا بعد شيء فكأنه قال إذا ظهر المراد فيه(3).

وقد لاحظ ابن عطية أن "أن" مع الفعل تعطي استثناء في المصدر. (المزول من أن والفعل : أن يقول= القول) في أغلب أمرها وقد تجيء في

1 - التفسير الكبير للامام الرازي 34/5.

2 - عن التفسير الكبير للامام الرازي 34/5. بتصرف.

3 - البحر المحيط لأبي حيان 92-91/5.

مواضيع لا يلحظ فيها الزمن واستشهد بالآية السابقة (1) أي أن "أن يكون" في الآية لا تنقيد بزمن معين. وإنما هي صالحة للحدوث في كل زمان ولكن أبا حيان رفض هذا الرأي وقال ان "أن يفعل" تدل على المستقبل في جميع أمورها وما يظهر على هذا التركيب من عمومية الزمن لا يفهم من دلالة "أن" (وإنما ذلك من نسبة قيام الأرض بأمر الله، لأن هذا لا يختص بالمستقبل دون الماضي في حقه تعالى ونظيره ان الله كان على كل شيء قديرا) فكان تدل على اقتران مضمون الجملة بالماضي وهو تعالى متصف بهذا الوصف ماضيا وحالا، ومستقبلا، وتقييد الفعل بالزمن لا يدل على نفيه عن غير ذلك الزمن" (2) أي أن السياق فيما يرى ابن حيان "هو الذي أضفى هذه الدلالة الزمنية الخاصة على مضمون الجملة، ولا فضل لـ : "أن" في ذلك، ولسنا مع أبي حيان في تجريد "أن" من دلالتها الزمنية لأن الأداة في التركيب قد تستمد دلالتها الخاصة من السياق مثال ذلك أننا نقف عند الأداة "ما" فلا ندري هل هي للنفي أو هي للاستفهام أو للشرط، أو مصدرية الا عندما نعرف السياق الذي وردت فيه، فاذا عرفنا ذلك قلنا أنها للنفي أو غيره وهذا ما يجب عمله مع "أن" في الآية السابقة : فأن تدل على الزمن العام لأنها جاءت في سياق يوحى بذلك "وهو ما يسميه اللسانيون بـ : الانزياح (3) : أي انحراف الكلمة من معناها الاصلى الى معنى آخر، مستوحى من السياق كما دلت "أن يفعل" على الزمن العام وعندما جاء تالية لـ : "ما يكون" أو "ما كان" من ذلك قوله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام «قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق» (المائدة/116/5). اذ جاء "أن أقول" في سياق يوحى بنفي القول أو بنفي انبعاث القول في جميع مراحل حياة سيدنا عيسى عليه السلام. ماضيها

1 - المصدر نفسه 92/5.

2 - المصدر نفسه.

3 - انظر في هذا الموضوع : الاسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي 158-159.

وحاضرها، ومستقبلها قال الزمخشري عندما شرح "ما يكون لي أن أقول" (ما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله (1) ومنه قوله تعالى : «وما كان لنبي أن يُغَلَّ» (آل عمران 161/3).

اذ دلت " أن يفعل" على نفي الغلول على الانبياء في جميع الأزمنة ونفيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في جميع مراحل حياته. ومعنى (ما كان لنبي أن يغل : "وما صح له ذلك، يعني أن النبوة تنافي الغلول" (2) وقد دلت "أن يفعل" على الزمان العام في آيات كثيرة منها قوله تعالى : «انما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا» (النور 51/24)، وقوله تعالى : «أفمن يهدي الي الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي لآ أن يهدي» (يونس 35/10).

ومنه كذلك قوله تعالى : «ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» (العنكبوت 2/29).

وقوله عز وجل : «ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها» (البقرة 2/26).

وقوله عز وجل : «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها» (البقرة 114/2).

لا الناهية مع الفعل المضارع "يفعل"

عندما تأتي "لا" لطلب الترك أو لمجرد الطلب، فان الفعل المضارع بعدها ينجزم ويتخلص للاستقبال، قال في الاتقان عن "لا" بنوعيتها (الطلب والنهي): "تختص بالمضارع، وتقتضي جزمه واستقباله، سواء كان نهياً نحو (لا

1 - الكشاف للزمخشري 655/1 والتفسير الكبير للإمام الرازي 234/12.

2 - الكشاف 475/1.

تتخذوا عدوي وعدوكم) (المتحنة1/60).... أم دعاء نحو : (لا تؤاخذنا)
(البقرة2/286) ومن الآيات التي جاءت فيها "لا الناهية" دالة على المستقبل
الواقع حيز الماضي (كسرر أخبار الأنبياء والمرسلين وغير ذلك) قوله تعالى :
وأوصى بها إبراهيم نبيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
الأ وأنتم مسلمون»(البقرة2/132).

وقوله تعالى : «ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع
الكافرين»(هود42/11).

وقوله عز وجل : «كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون
أي لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الأ
على رب العالمين، وأوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين»(الشعراء-181
176/26).

ومنه كذلك قوله تعالى : «واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم»(لقمان13/31).

ومما جاء في سياق طلب أو دعاء في الزمن نفسه قوله تعالى : «وزكرياء اذ
نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين»(الأنبياء21/89).

وقوله عز وجل : «وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين
ديار»(نوح71/26).

وقد جاءت "لا الناهية" دالة على الاستقبال في أغلب الايات القرآنية وقد

1 - انظر الاتقان في علوم القرآن للسبوطي 171/1-172 وانظر الجني الداني في حروف المعاني
للمرادي 300.

وانظر أقسام الكلام في اللغة العربية من حيث المعنى، المبنى، رسالة دكتوراه مقدمة من الدكتور
اسماعيل محمد خليل الخطيب بجامعة الاسكندرية ص319.

قال المفسرون أنّ هناك آيات كثيرة نوجه فيها النهي الى النبي صلى الله عليه وسلم والمقصود بهذا النهي هم سائر البشر لأنه معصوم من ملابسه هذه الأفعال (1)، أي أن المدى الزمني لـ : "الناهية" في هذه الآيات يمتد في الاستقبال ما دامت البشرية في هذه الحياة الدنيا من تلك الايات (لا يفرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) «آل عمران 3/196».

اذ يشمل النهي في "لا يفرنك" كل الأمة الاسلامية في جميع الأزمنة حسب تفسير صاحب البحر لهذه الآية، لأن مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشي،، فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكان قبل لا يفرنكم(2) ومنها قوله تعالى : «ولكل أمة جعلنا متسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك» (الحج 22/67) ومنها قوله تعالى : «فلا تدع مع الله الها فتكون من المعذبين» (الشعرا، 26/213).

قال أبوحيان : "الخطاب في الحقيقة للسامع، لأنه تعالى قد علم أن ذلك لا يمكن أن يكون من الرسول صلى الله عليه وسلم.... والمعنى قل يا محمد لمن كفر لا تدع مع الله الها آخر" (3)، واذا كان الخطاب موجها لسامع القرآن فان زمن النهي هنا يصبح دالا على المستقبل البعيد لأنه مرتبط بتلاوة القرآن الكريم في هذه الدنيا كلها الى نهايتها.

وقد جاءت "لا الطلبيه" دالة على الزمن العام حسب فهمنا من شرح المفسرين لهذه الآية وهي قوله تعالى : «والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب ربنا لا تزع قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة» (آل عمران 3/7-8).

1 - انظر : البحر المحيط لأبي حيان 146/3-147 وانظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم لأستاذ

عضيمة القسم الأول، الجزء الثاني 522.

2 - انظر هنا المعنى في البحر المحيط 387/6.

3 - البحر 46/6.

اذ دلت "لا الطلبية" على زمن عام يشمل جميع الأزمنة التي وجد فيها الراسخون في العلم أو سوف يوجدون فيها.

فال الرازي ما معناه : ان العلم بالمشابه حاصل عند الله تعالى وعند الراسخين في العلم.... وهذا القول مروى عن ابن عباس ومجاهد.... وأكثر المتكلمين.... الى أن يقول واعلم أن تعالى كما حكى عن الراسخين انهم يقولون آمنة به، وحكى عنهم أنهم يقولون ربنا لا تزع قلوبنا" (1).

وهكذا نفهم من الآية أن كل الراسخين في العلم مهما اختلفت أمكنتهم وأزمنتهم يعملون متشابه القرآن ويقولون ربنا لا تزع قلوبنا. أي أن "لا الطلبية" واقعة في سياق دال على الزمن العام والله أعلم.

ومنها قوله تعالى : «ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد» (آل عمران3/194). لأن "لا تخزنا" واقعة في سياق دال على الزمن العام وهي دلالة نستمد من قوله تعالى في الايات التي قبلها : «ان في خلق السماوات والأرض لايات لأولى الأبواب الذين يذكرون الله قياما و قعودا....» (آل عمران3/190 وما بعدها).

حيث يقول المفسرون أن الآية تعني جميع أولى الأبواب في كل زمان ومكان(2).

حتى الناصبة للفعل المضارع :

تصرف حتى معنى المضارع الى ما يستقبل من الزمان، لأنها تأتي لبلوغ الغاية، أو لتعليل حدث سيقع في المستقبل(3).

-
- 1 - انظر التفسير الكبير للرازي 177/7-179.
 - 2 - المصدر نفه 134/9-135.
 - 3 - انظر معاني القرآن للفراء 136/1 والانتقان 161/1.

"وعلامته كونها للغاية، أن يحسن في موضعها" الى أن" وعلامته كونها للتعليل، أن يحسن في موضعها "كي" (1) ومن الايات التي جاءت فيها حتى للغاية قوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود » (البقرة/187/2).

حيث نلاحظ أن "حتى" جاءت لتحدد زمنا كان مطلقا مفتوحا وهو قوله تعالى "كلوا واشربوا". قال أبوحيان وهو يشرح هذه الآية : "كلوا واشربوا" : أمر اباحة... أبيع لهم ثلاثة الأشياء التي كانت محرمة عليهم في بعض ليلة الصيام، وحتى يتبين "غاية الثلاثة الأشياء من الجامع والأكل والشرب" (2)، أي أن "حتى" جاءت هنا لتدل على مستقبل قريب، (الفترة الفاصلة بين موعد الافطار، وبين موعد الامساك).

ومنه قوله تعالى : « ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله » (البقرة/196/2).

حيث جاءت "حتى" لتحدد زمن النهي الذي كان مطلقا لأن المعنى : "إذا بلغ الهدى محله فاحلقوا رؤوسكم... ولا تحلوا حتى تعلموا أن الهدى الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله، أي مكانه الذي يجب نحره فيه" (3).

وقد دلت "حتى" على الغاية والزمن المستقبل في ايات كثيرة منها قوله تعالى : « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (الأنفال/53/8).

ومنها قوله تعالى : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه » (البقرة/191/2).

1 - الجنى الداني في حروف المعاني للمراي 554.

2 - البحر المحيط لأبي حيان 50/2.

3 - المصدر نفسه 74/2.

وقوله تعالى : «وما يعلمان من احد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر» (البقرة/102).

وقوله عز وجل : «ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن» (البقرة/221).

وقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيلا حتى تفتسلوا» (النساء/43).

كما جاءت "حتى" في آيات كثيرة دالة على غاية تتعلق بأمر مستحيل الوقوع مستقبلاً منها قوله تعالى : «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» (البقرة/120).

ومنها كذلك قوله تعالى : «ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط» (الاعراف/40).

فالزودي الزمني لـ : "حتى تتبع" و "حتى يلج" هو نفي مضمون الجملة في المستقبل (1).

كما جاءت "حتى" لتعليل حدث سيقع في المستقبل من ذلك قوله تعالى : «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله» (القرعة/193).

وقوله سبحانه وتعالى : «ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا» (البقرة/217).

وقوله سبحانه وتعالى : «فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله» (الحجرات/9).

1 - قال في الكشاف وهو يشرح معنى "حتى يردوكم" : حتى معناها التعليل أي يقاتلونكم كي يردوكم "الكشاف 357/1 وذهب ابن هشام في المعنى 125/1 والمكبري في البيان في غريب القرآن 50/1 أن بقية الآيات يمكن أن تكون للتعليل.

وقوله عز وجل : « هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا » (المنافقون 7/63).

وقد جاءت "حتى" مع الفعل المضارع مصروفة الى زمن الماضي بفضل السياق الذي وقعت فيه وذلك في قوله تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله » (البقرة 214/2).

إذا جادت "حتى" والفعل بعدها في سياق حكاية الماضي، فقد نزلت في غزوة الخندق، حيث أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد وسوء العيش وأنواع الأذى.... وبلغت القلوب الحناجر وأسر قوم من الأغنياء النفاق فأنزل الله تعالى هذه الآية تطيبها لقلوبهم (1). ومن أجل ذلك قرأ نافع حتى نقول بالرفع، على أن الفعل قد مضى وانقضى، وأنه يخبر عن الحالة التي كان فيها الرسول لأن "حتى" لا تنصب بعدها الفعل إلا إذا كان للمستقبل فكأن المعنى الزمني لـ "حتى يقول" بالرفع : وزلزلوا حتى قال الرسول، أو حتى كان من شأنه أن يقول.

يقول الفراء إذ رأيت قبلها فعل ماضيا (أي قبل "حتى فعل ماض على الحقيقة) وبعدها يفعل في معنى مضي.... فارفع يفعل بعدها (2).

أي أن رفع "يفعل" ووجود الفعل الماضي قبل "حتى" دليلان على أن حتى يفعل للماضي.

فاء السببية :

تأتي الفاء هذه لتدل أن الفعل بعدها يقع بسبب فعل سابق سيحدث في المستقبل، فالموقع الزمني للفعل بعدها هو المستقبل بالضرورة والبداهة،

1 - أسباب النزول لنيسابوري 44.

2 - معاني القرآن للفراء 133-134 والبيان في غريب القرآن للمكبري 151-50/1.

لأن "فاء السببية" لا تقع الا بعد نهى أو تخصيص أو استفهام، أو نحو ذلك(1). ومن أمثلة الايات التي جاءت فيها "فاء السببية" دالة على الاستقبال بعد النهي قوله تعالى : «فلا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا عدوا بغير علم»(الانعام6/108).

وقوله تعالى : «ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»(الانعام6/153).
وقولع عز وجل : «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين»(الانفال8/46).

وقوله تعالى : «ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار»(هود11/113).
ومنها كذلك قوله تعالى : «ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها»(النحل16/94).

وليس يخفى أن أسلوب النهي في الآية يضع الفعل الواقع بعد الفاء فيما يستقبل من الزمان، لأن النهي لا يكون الا للمستقبل وهو مسبب للفعل الواقع بعد الفاء.

وقد دلت "فاء السببية" على الاستقبال بعد الاستفهام في قوله تعالى : «أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي فأصبح من النادمين»(المائدة5/31).

كما دلت على الاستقبال بعد أداة التخصيص في قوله تعالى : «وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فزصق وأكن من الصادقين»(المنافقون10/63).

ومن أمثلة وقوعها جوابا للتمني قوله تعالى : «ولئن أصابكم فضل من

1 - انظر الكتاب 28/3، والجني الداني في حروف المعاني للمرادي 74.

الله ليقولن كأن لم يكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما».

ومن أمثلة الترجي قوله تعالى : «وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب، أسباب السماوات فأطلع الى اله موسى» (غافر/36-37).

وقد جاء الفعل الواقع بعد "فاء السببية" في سياق الماضي في قوله تعالى : «يا قوم هذه ناقه الله لكم آية فذورها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم» (الاعراف/73).

ومنها قوله تعالى : «يا بني لا تقصص رؤياك على إخواتك فيكيدوا لك كيدا» (يوسف/5).

وقد رأينا أن نرصد في خاتمة هذا الفصل الأدوات التي درسناها فيه لنتبين تنوع دلالتها حسب المراحل الزمنية ونعرف مقدار ورودها والتفاوت الموجود بينها (بين الأدوات) في المرحلة الزمنية الواحدة.

فكان هذا الجدول :

الأزمنة

| الأداة | الماضي البعيد | الماضي القريب | الحاضر | المستقبل القريب | المستقبل البعيد | مستقبل الماضي | الزمن العام | مجموع الصيغ المركبة |
|-------------|------------------|------------------|--------|--------------------|--------------------|------------------|----------------|---------------------------|
| السين | 00 | 01 | 00 | 13 | 07 | 02 | 00 | 23 |
| سوف | 00 | 00 | 00 | 03 | 11 | 01 | 00 | 15 |
| نون التوكيد | | | | 06 | 11 | 06 | 00 | 23 |
| قد يفعل | | 04 | 00 | 00 | 00 | 00 | 00 | 04 |
| قد فعل | 28 | 00 | 00 | 03 | 01 | 04 | 11 | 47 |
| لما | 15 | 00 | 00 | 00 | 00 | 00 | 00 | 15 |
| اذ فعل | 13 | 00 | 00 | 00 | 01 | 01 | 00 | 15 |
| اذ يفعل | 11 | 00 | 00 | 00 | 01 | 03 | 00 | 15 |
| أن فعل | 09 | 00 | 00 | 00 | 00 | 00 | 00 | 09 |
| أن يفعل | 00 | 00 | 00 | 09 | 13 | | 11 | 33 |
| لا الناهية | 00 | 00 | 00 | 06 | 09 | | 09 | 24 |
| حتى | 00 | 01 | 00 | 03 | 09 | 07 | 00 | 20 |
| فاء السببية | 00 | 00 | 00 | 05 | 11 | 04 | 00 | 20 |

وعند قراءتنا لهذا الجدول، نجد أن هناك أدوات دلت على أزمنة مختلفة على الرغم من أنها تدل في الأصل عند النحاة على زمن واحد (السين وسوف، اذ،).

وهناك أدوات احتفظت بدلالاتها الأصلية وظلت دالة على زمن واحد في الاستعمالات القرآنية (مثل قد، لما، أن مع فعل... الخ).

وسنرى في الجدول الآتي النسب المثوية لكل أداة في المراحل الزمنية المختلفة

وهي نسب مستنبطة من هذا الجدول.

وهذا الجدول يبين النسب المثوية للأدوات التي درسناها في المراحل الزمنية المختلفة.

الأزمنة ونسبها المثوية

| الأداة | الماضي الهميد | الماضي القريب | الحاضر | المستقبل القريب | المستقبل الهميد | مستقبل الماضي | الزمن العام |
|-------------|------------------|------------------|--------|--------------------|--------------------|------------------|-------------|
| السين | 00 | 04,34 | 00 | 56,52 | 30,43 | 08,69 | 00 |
| سوف | 00 | 00 | 00 | 20 | 73,33 | 06,66 | 00 |
| نون التوكيد | 00 | 00 | 00 | 20,08 | 47,82 | 26,08 | 00 |
| قد يفعل | | 100 | 00 | 00 | 00 | 00 | 00 |
| قد فعل | 59,57 | 00 | 00 | 6,38 | 02,12 | 08,51 | 23,40 |
| لما الخيبة | 100 | 00 | 00 | 00 | 00 | 00 | 00 |
| اذ فعل | 86,66 | 00 | 00 | 00 | 06,66 | 06,66 | 00 |
| اذ يفعل | 73,33 | 00 | 00 | 00 | 06,66 | 20 | 00 |
| أن فعل | 100 | 00 | 00 | 00 | 00 | 00 | 00 |
| أن يفعل | 00 | 00 | 00 | 27,27 | 39,39 | 00 | 33,33 |
| لا الناهية | 00 | 00 | 00 | 25 | 37,5 | 00 | 37,5 |
| حتى | 00 | 05 | 00 | 15 | 45 | 35 | 00 |
| فاء السبية | 00 | 00 | 00 | 25 | 55 | 20 | 00 |

هذا الجدول يعرض الامكانيات الزمنية للأداة الواحدة حيث نجد أنها (أي الاداة) لا تسير كل ما ذهب اليه النحاة في حدوده الزمنية. حيث دلت السين ولو بنسبة قليلة على الماضي على الرغم من أن النحاة وضعوها للاستقبال

خاصة. كما دلت "اذ" على المستقبل بنسبة معتبرة وان جعلها النحاة مصروفة للماضي.

غير أن الجدول قد بين من جهة أخرى أن النسبة الغالبة لأزمنة هذه الأدوات تؤيد ما ذهب اليه النحاة حيث نجد أن السين وسوف قد استعملتا في المستقبل القريب والبعيد بنسبة 90٪ تقريبا. اذ فعل واذ يفعل استعملتا في الماضي بنسبة 85٪ تقريبا... وهكذا نجد أن الجدول قد مكنتنا من الكشف على مبلغ توقيف قدامى النحاة في رصد الدلالات الزمنية للأدوات من جهة، وعن الاستعمالات القرآنية الخاصة بهذه الأدوات من جهة أخرى.

خاتمة

مما لا شك فيه أن الدراسات اللغوية عند العرب قد نالت اهتماما كبيرا من لدن الباحثين العرب. قديما ومحدثين. وهي دراسات لا تعزوها الجدية ولا الجدة، وقد آن لهذه الدراسات أن تلتقي بالمباحث الأدبية والنقدية في ساحة النص، من أجل استثمارها في تطبيقات دلالية وجمالية واحصائية.

وأحسب أنني حاولت في هذا البحث أن أقيم هذه الصلة الحميمة التي ينبغي أن تكون بين النص الأدبي والدراسات اللغوية. فلقد أضحت الدراسة اللغوية في هذا البحث تنظر الى النص من زوايا متعددة وتقيم الفعل فيه في أوضاع مختلفة بفضل دراسة البعد الزمني الدلالي فيه.

ولقد رأينا كيف كانت دراسة زمن الفعل في القرآن الكريم فتاتا تائها في كتب التفسير والنحو، والفقه، فاذا هي تضاع في هذا البحث عملا علميا متكامل الأجزاء يمكن أن يضاف الى الدراسات اللغوية والقرآنية وعلى الرغم من أننا نعتبر أن هذه الدراسة لا تعدوا أن تكون خطوة أولى في سبيل ارساء مشروع لدراسة البعد الزمني في القرآن، فإن البحث قد انتهى الى نتائج من أهمها :

1 - ان البحث كشف عن جهود النحاة والمفسرين والأصوليين في مجال دراسة زمن الفعل القرآني. وقوم هذه الجهود في ضوء المنهج الوصفي التحليلي المتبع في البحث.

2 - أبرز البحث الامكانيات الزمنية الهائلة التي تتوفر عليها الصيغة الفعلية الواحدة، وبين عدم جدوى تقييد الصيغة بضوابط زمنية مرحلية. اذ لا يمكن متابعة السلوك الزمني للصيغة الواحدة نظرا لتداخل الأزمنة وتشابكها في السياق.

3 - أن النواسخ في القرآن الكريم ألوانا زمنية مختلفة تضيفها على الفعل الذي يليها كما تضيفها على ذاتها عندما تليها جملة اسمية.

5 - أن للقرينة التي تسبق الفعل أو تلحقه دورا في تحديد الفترة الزمنية التي يدل عليها الفعل، فكلمات مثل : يوم القيامة، الساعة... الخ، تصرف الفعل الى المستقبل، وأسماء مثل : آدم، ابليس.... الخ تخصص الفعل في الماضي، وهكذا....

6 - أثبت البحث بالرصد والاحصاء والدراسة مدى سلامة نظر النحاة في أنهم جعلوا صيغة : فعل تفيد -وضعا- الماضي، وأنهم جعلوا صيغة : يفعل تدل -وضعا- كذلك على الحاضر والمستقبل، مما يدل على أنهم أقاموا هذا التصنيف على أساس التغليب والواقع الكلامي.

7 - أن صيغة فعل الأمر لا تكتفي بالتعبير عن المستقبل، بل تعبر عن مراحل زمنية مختلفة.

8 - ان دراسة الدلالة الزمنية للصيغ الفعلية تضي عليه ظلالا دلالية أخرى فمن ذلك أن معرفة زمن الفعل تضي الى معرفة مكان الحدث وملابساته، ومن ذلك أن التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي تعطي احياء خاصا في ذهن السامع قد لا تؤديه أساليب التعبير الأخرى كتقريب أحداث المستقبل، أو استحضارها في الحاضر من الماضي.... الخ.

9 - كشف البحث عن زمنين في أغلب السياقات القرآنية : زمن موضوعي منطقي خارجي يسير في خط واحد، وايحاء، فهو زمن غير قابل للارتداد، وزمن داخلي لا يخضع لمنطق الأحداث، أو لا يسري وفق النظام الزمني المعهود اذ يمكن له أن يتداخل أو يتقاطع مع أزمنة أخرى كما يمكنه أم يتقلص أو يمتد وحسب مقتضى الحال. وقد استعان البحث بالرسم لبيان طبيعته الزمنية.

10 - جاء البحث ردا علميا مدعوما بالرصد والاحصاء على مزاعم من ذهبوا أن اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن الفروق الزمنية بتسميتها المختلفة(1).

11 - اکتفی البحث بدراسة نماذج من الافعال الكاشفة عن الامكانات التعبيرية عن الزمن، ومن ثم تعد هذه الدراسة خطوة أولى في سبيل دراسة القرآن دراسة لغوية وظيفية تتظافر فيه جهود علماء اللغة والتفسير والأدب من أجل استيلاء بعض دلالاته وإيحاءاته المختلفة. وكل ما أرجوه هو أن يكون هذا البحث حافزا للباحثين من بعدي على الاضطلاع بهذه المهمة العلمية الجليلة.

وما توفيقني إلا باللّه.

1 - انظر، مقالة محمود أمين العالم : مفهوم الزمن في الفكر العربي الاسلامي حاضرا وماضيا. مجلة 15هـ، 21م تونس العدد 14.